بن كسبيت وإيلان كفير

أيهود براك .. الجندي الأول

رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل

ترجمة
بدر العقيلي و نور البواطلة



إصدار
دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية

ايهود براك.. الجندي الأول

رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل

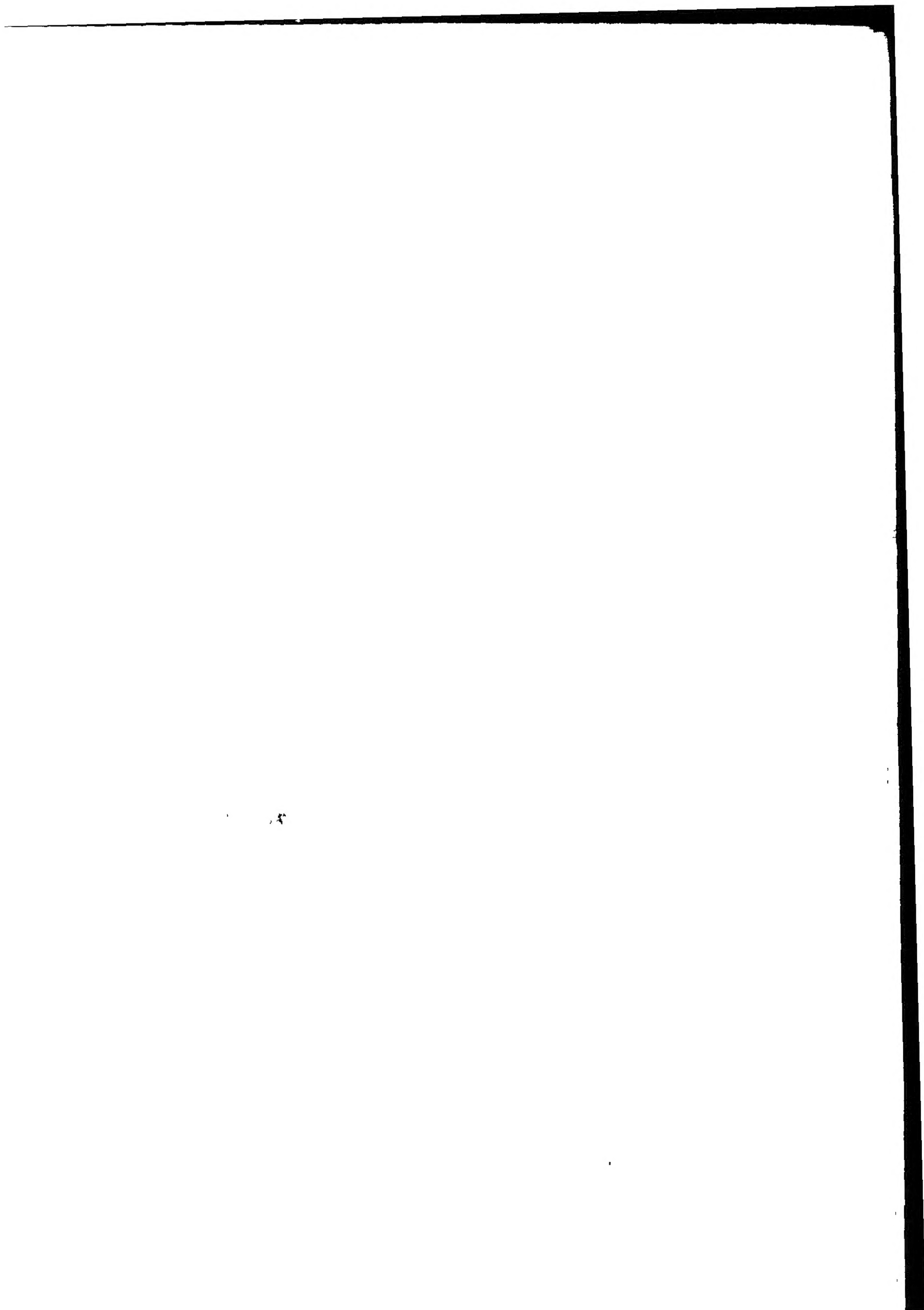
رقـــم التـــصنيـــف : ٩٢٠,٠٤٠٢
المؤلف ومن هو في حكمه : بن كسبيت ، إيلان كفير
ترجمة بدر العقيلي ، نور البواطلة
عنـــوان الكتـــاب : "ايهود براك" الجندي الأول رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل
المـــوضـوع الـرئيسي : ١ - التاريخ والجغرافيا
٢ - التراجم
٣ - الإسرائيليون
٤ - السياسيون
رقـــم الإيـــداع : ١٩٩٨/١٢/٢٠٨٢
بيـــانـــات الـــنشر : عمان : دار الجليل
* - تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل : ١٧٣٩/١٢/١٩٩٩

الطبعة الأولى
١٩٩٩

دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية - عمان
هاتف : ٥١٥٧٦٢٧-٥١٥٥٦٢٧
فاكس : ٥١٥٣٦٦٨
ص . ب ٨٩٧٢- رمز بريدي ١١١٢١
البريد الالكتروني E - Mail : Darjalil @ go. com. jo

تصميم الغلاف : أزمنة 
الطبـــاعـــة : شركة الشرق الأوسط للطباعة



الفهرس

تقديم:

عندما أصدرت هذه الدار كتاب" مكان تحت الشمس" لـ"بنيامين نتنياهو"، كان الرجل وحزبه الليكود، يجلسان في مقاعد المعارضة، وإذ كانت الظروف حينئذ تسير في قنوات حزب العمل واليسار الحاكم في حايين كثيرة، فإن تساقط الأوراق، واحدة تلو الأخرى، آذن بخريف مبكر، وأفول نجم حزب العمل، الذي ظن لوهلة، أن النصر حليفه، كتحصيل حاصل، وأن الانتخابات ليست سوى" روتين" ليس الا.

في ذلك الوقت، اكتسح اليمين الإسرائيلي الشارع بأيديولوجيته المنادية بـ"ارض إسرائيل الكاملة"، التي سلبتها اتفاقيات أوسلو والقدس الموحدة عاصمة إسرائيل الأبدية التي يسعى بيرس الى إعادة تقسيمها حتى إذا ما انطلقت رصاصات الحقد القومي-الديني ضد رابين، انتقل اليمين من موقع الهجوم الى موقع الدفاع، وانتظار الآتي، الذي أعاد الكرة إلى ملعب حزب العمل، وخاصة إثر اغتيال عياش وما تبعها من عمليات.

نقول، نبوءتنا تحققت، حيث توقعنا أن يكون نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي القادم، فقد تفحصنا آنذاك أوراق الأحزاب، والرأي العام الذي يتسم، في العادة بعدم الاستقرار، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بأمنه الشخصي حتى لكأنه يبحث عن النجاة من خلال التعلق بأهداب هذا الحزب او ذاك، وتحديدا أصحاب الأصوات العائمة.

نسوق هذا المدخل، ونحن نقدم لكتاب يتحدث عن زعيم حزب العمل، ايهود براك، الذي قد يكون رئيس وزراء إسرائيل القادم، وهو يشكل مقدمة للتساؤل عن فرص الرجل في الوصول إلى سدة الحكم.

لسنا في وضع يسمح لنا بالتأكيد أو النفي، بيد أننا لا نستبعد تغير الأحوال بين عشية وضحاها، ذلك أن "لكل إسرائيليين اثنين، ثلاثة آراء" كما يقال، على الرغم من الثغرات العميقة القائمة في حزب العمل، وعدم نضوج زعيمه براك سياسيا، الأمر الذي يستلزم جهودا تقترب من الثورة.

على أن المجتمع الإسرائيلي، يقدس زعماءه العسكريين، وبخاصة، اولئك الذين بلغوا قمة الهرم، في رئاسة الأركان، وايهود براك، رئيس الأركان الأسبق، يجمع بين نوط وأوسمة الشجاعة، والأداء العسكري المتميز، وهو رصيده الذي يباهي به.

وإذ لا ننكر قدرة براك الفذة، في المجال العسكري، فإننا لا نروج له، بل نسرد حقائق موضوعية ينبني عليها أسلوب العمل العربي المستقبلي، ذلك أن التعامل مع الزعيم الإسرائيلي الآتي من رئاسة الأركان، يعني معادلة طرفاها عسكري وسياسي.

ايهود براك، لم يؤلف الكتاب، لكننا لا نحتاج إلى كبير عناء، للاستنتاج بأن براك طرح ملفه وفرد أوراقه أمام المؤلفين ليقدماه إلى الناخب الإسرائيلي زاهيا ملمعا.

نقرأ في ثنايا الكتاب، أحداثا وعمليات، معظمها ما زال عالقا في ذهن معاصريها، أو متابعي الصراع العربي-الإسرائيلي، وإذ نظن بعضها عاديا، والآخر تحقق بفضل الامداد اللوجستي الخارجي، فإن الكتاب افرد مساحات شاسعة ليظهر براك في صورة "الرامبو" الإسرائيلي، القادر على مواجهة فرقة بكاملها، والخروج منتصرا، تجسيدا لمقولات من مثل" العقل اليهودي المتميز"، و"شعب الله المختار"، و"الجندي النوعي" وغيرها.

الجديد في العمليات التي ساقها الكتاب، ونسب بطولاتها إلى براك، يتعلق بالتفاصيل التي ظلت مخبأة في " قاصات" الأسرار، وربما بقي المزيد منها طي الكتمان، وفي اعتقادنا أن هذا الكتاب يحقق هدفين أحدهما عسكري والآخر سياسي:

أما العسكري فيتلخص في إظهار قدرة الجيش الإسرائيلي على عمل المعجزات، بما يعنيه ذلك من التخويف والردع.

أما السياسي: فهو إلقاء الضوء الساطع على شخصية الرجل الذي قد يكون رئيس الوزراء الإسرائيلي القادم، وهو بذلك يجمع بين العسكري والسياسي، الذي يوفر الامن والامان لبني إسرائيل، وايهود براك مؤهل لذلك.

كتاب: أيهود براك .." الجندي الاول.. رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل"، وعلى الرغم، من أنه ترجمة حال لرجل قال عنه اسحق رابين" انه خليفتي"، فهو رصد لعمليات رافقت مسيرة عمل براك في الجيش الإسرائيلي، تجعل منه" صقرا"، وإن كان زعيما لحزب العمل" الأقل تطرفا"، الأمر الذي ينبغي أن يرسم صورة المستقبل، ذلك أننا نحن العرب، أدمنا الاصطفاف في طابور الانتظار، كل أربع سنوات، لنتعرف على شخصية من اختاره شعب إسرائيل، ضارعين إلى الله، أن يكون "الأقل سوءا".

مترجما الكتاب، بدر عقيلي، نور البواطلة، جعلا من الحس الوطني مدخلا إلى الأمانة العلمية في الترجمة، فبدا الكتاب أكثر سلاسة، يشد القارئ نحو النهاية.

"أسرة دار الجليل"

الفصل الأول

طفولة تميزت بالفضول والعناد
برع في تفكيك الساعات وفتح الأقفال

شـــاءت الأقدار أن نبدأ قصة حيـاة ايـهود بـراك الشـــخصية -والـذي قضى عمره في القتال- بالدم. ولا زال والده "يســـرائيل بــروج" يتذكـر ذلـك جيـدا حتى اليـوم.

حدث ذلك في عالم آخر، بعيد كل البعد عـن حقـول الكيبوتـس فـي السـهل الأوسط، والذي قضى فيه جل أيامه. ولـد يسـرائيل عـام ١٩١٠ فـي قريـة بوشـيلط في لتوانيا، و كانت آنذاك جزءا مـن روسـيا البيضـاء، التـي كـانت تمـر بـأحداث جسام. ورغم رياح الثورة البلشفية العاتية التي بدأت تـهب علـى روسـيا، إلا أن هـذه الرياح لم تعكس آثارا كبيرة على حياة الجاليـة اليهوديـة الكبـيرة فـي القريـة والتـي بدأت تتذوق بداية الرفاه الاقتصادي. وقد كان من بيـن سـكان القريـة مـن توفـر لديهم المال الكـافي لشـراء قطعـة ارض صغـيرة، أو شـراء حصـان أو بقـرة والعمل في الزراعـة.

وعلى بعد عـدة كيلومـترات مـن بوشـيلط كـانت تقـوم عاصمـة اللـواء (بونييز)، وهي مدينة حاخامات معروفـة، وقـد انطلـق منـها بعـد سـنوات معـدودة رؤسـاء الطائفـة (الحراديـة) - المتدينـون الورعـون-وهـم الذيـن أقـاموا فـي إسرائيل تباشير الطائفة الحراديـة، والمدرسـة الدينيـة الكبـيرة، ذات التـأثير الواسـع "بونييز" والتي يترأسها الحاخام اليعـازر شـاخ.

كان والد يسرائيل - روبن بروج- من وجـهاء القريـة وهـو رجـل متديـن وحاخام، وعالم. ولم يكتف، روبن، على عكس غالبيـة أبنـاء القريـة مـن الحراديـم - بدراسة التوراة فقط، بل أنهى دراسته في كليـة الصيدلـة فـي (فيلنـا)، رغـم أن هـذه المهنة لم تكن، في تلك الآونة، تحظى بالشعبية فـي أوسـاط اليـهود.

وفي صيف عـام ١٩١١، اجتـاحت القريـة كارثـة، حيـث اندلعـت نـيران شديدة فيها، وأحرقت قسما كبيرا من منازلـها التـي كـانت سـقوفها مـن القـش كمـا أحرقت كنيس القرية اليـهودي.

شك رؤساء الجالية اليهودية في القرية بـأن جيرانـهم -مـن غـير اليـهود- هم الذين دبروا الحريـق فتقدمـوا بشـكوى إلـى السـلطات الروسـية، بيـد أن هـذه

السلطات ردتهم وسخرت منهم. ووجد يهود القرية صعوبة في جمع الأموال اللازمة لترميم المنازل التي أكلتها النيران.

وصلت أنباء الحريق إلى حي ايست اند وهو حي المهاجرين اليهود في نيويورك فهبوا لجمع التبرعات فورا لمساعدة سكان بوشسليط وكان من الطبيعي أن يرسلوها إلى الصيدلي المثقف روبن، الذي وافق واستعان بالوجهاء لتوزيع الأموال على المتضررين.

وفي أعقاب استكمال ترميم المنازل وصلتهم مساعدة جديدة لإعادة ترميم الكنيس، بيد أن هذا المبلغ اسهم في انقسام السكان على أنفسهم، حيث طالب بعضهم ببناء الكنيس، في حين طالب الآخر بتوزيع المبلغ على السكان اليهود، لكن روبن عارض الطرح الأخير، وقال: يجب علينا أن نحترم رغبة المتبرعين من نيويورك. وحظي بتأييد حاخام القرية.

وخلال فترة الانتظار، حتى بدء البناء، أخفى روبن المبلغ في مكان سرّي في منزله، بيد أن السر تسرب، وسادت شائعة في القرية تقول: أن الصيدلي روبن يخفي في منزله مبلغا كبيرا جدا من المال. ولا شك أن الشائعات التي تتعلق بالمال، تنتشر بسرعة النار في الهشيم، وتصل إلى الآذان المصغية بلهفة.

وهكذا وصلت الشائعة إلى آذان اثنين من غير اليهود، واللذين قاما ليلة عيد العرش، عام ١٩١٢ باقتحام منزل روبن وزوجته فريده، فحطما رأسيهما بهراوة كانت معهما، ثم توجها إلى السرير الصغير، الذي كان قريبا من سريرهما، وكالا ضربة شديدة إلى جمجمة مائير بروج ابن الرابعة والنصف، وغادرا المكان حاملين معهما صندوق المال، دون أن يعرفا أن هناك طفلا عمره سنتان ونصف السنة ينام في الغرفة الأخرى.

وفي ساعات الظهر، وصل رسول عاجل من قرية بوشسيلط إلى بلدة (كيدن) القريبة من (بونييز)، حيث كانت تقيم الجدة ايتسلع -٨٠ سنة والدة روبن بروج. وما كادت الجدة تسمع بالنبأ، حتى سارعت إلى عربتها، وأطلقت العنان

للحصان الذي يجرها. وحينما وصلــت إلــى المــنزل المنكــوب، لــم تتوجــه لرؤيــة الجثث، ولم تذرف دمعة واحدة، بل سارعت إلى مــائير وحملتــه، وطــارت بــه إلــى الطبيب، الذي ما كاد يراه، حتى قال لــها: الوضــع يــائس. والأمــل الوحيـد هــو أن تصلي به بسرعة إلــى المستشــفى فــي (دورفــت) الواقعــة علــى بعـد خمــس عشــرة ساعة سفر بالقطــار.

لم تتردد الجدة للحظة، فأبقت يســرائيل الصغــير لــدى إحــدى بنــات العائلــة، وطلبت من فتاتين تعملان لديها، أن تصاحباها فــي الرحلــة الطويلــة، كــي تمســكا رأس مائير، حتى لا تتفاقم الإصابة. وهناك قالوا لــها: إن الأمــل ضعيــف جــدا، لكــن قد تحدث المعجــزة.

وحدثت المعجزة، وبعد ثمانية اشــهر، عاد مائير إلــى مــنزل جدتــه، ولــم يبق من الإصابة القاتلة ســوى آثار جرح عميق يقســم رأســه إلــى نصفيــن. كــانت الجدة قوية، وأشــهر القصص علــى صلابتــها تتمثــل فــي إنقاذهــا لابنــها روبــن عندما أخذوه للتجنيــد.

فعندما ناهز روبن الثامنــة عشــرة ألقــى موظفــو التجنيـد القبـض عليــه، وأرســلوه لأداء الخدمة لمدة خمــس وعشــرين ســنة وهــي ظــاهرة لــم تكــن غريبة أو مســتهجنة.

كان اليهود، آنذاك، يتــهربون مــن الخدمــة العســكرية باتبــاع العديـد مــن الأساليب والطرق، كأن يقطع سبابته، أو أن يحتسي الشــاي فــترة طويلــة كــي يرفــع ضغط دمه. بيد أن روبــن رفــض عمــل ذلــك، وأرســل إلــى جبــال القوقــاز لأداء الخدمة، على بعد آلاف الكيلومترات مــن (كيــدن).

لم تكن الأم الأرملة على استعداد للتسليم بأخذ ابنــها، لــذا جمعــت المــال لمـدة ثــلاث سنوات حتى بلغ كما كبيرا، وخبأته على جســمها بعنايــة، ثــم اتجــهت إلــى القوقــاز لتخليص ابنها بــه.

وبعد ثلاثة أشهر، عادت الجدة ايتسلع ومعـــها روبـــن إلـــى (كيـــدن). ورغـم أنها وروبن لم يتحدثا أبدا عما حدث خلال تلك الأشهر، الا أنـــها كـــانت تحمـــل بطاقـة تؤكد أن روبن معفى من التجنيـــد.

وهكذا نجا روبن من الخدمة طيلة عشـــرين سـنة، ليقـع بعـد عشـرين سـنة ضحية لهراوة اللصـــوص.

وفي صبيحة أحـد أيـام آب ١٩١٤ أيقظـت حفيديـها وقـالت لـهما: ارتديـا ملابسكما بسرعة نحن مسافرون إلى بوشيلط، لقـد اندلعـت الحـرب. وعلـى الجـدران كان الجيش الروسي قد علـق منشـورات تطـالب اليـهود بمغـادرة المنطقـة، التـي سرعان ما تحولت إلى ميدان اقتتال لأكـــبر جيشـين فـي أوروبـا :الجيـش الألمـاني والروسي. وقد تم تجميع اليهود، وإرســـالهم بالقطار إلـــى بلـدة مليطوفـول الواقعـة جنوب أوكرانيـا.

وقد احتل الألمان، بعد ســنتين، البلـدة، وبقـوا فيـها حتـى ورثـهم الجيـش الروسي الأحمــــر، فـي أعقـاب انـدلاع الثـورة السـوفيتية عـام ١٩١٧، وبعـد أن وضعت الحرب أوزارها، عادت الجدة بالحفيدين إسرائيل ومــائير- إلـى (بوئيـبز).

عندما بلغ يســرائيل الســن المناسـبة، تـم تسـجيله فـي المدرسـة الثانويـة العبرية، في بلدة (كوبانه) القريبـــة، وهنـاك اكتشـف الصـراع الثقـافي الدائـر بيـن المحافظين على التقـاليد، الذيـن رغبـوا فـي إبقـاء لغـة (الايـدش) كلغـة للشـعب اليهودي، وبين أولئك الذين يؤيدون اللغة الجديدة التـــي دخلـت حديثـا إلـى المدرسـة، والشارع اليهودي وهي اللغة العبريـــة.

كانت تلك بداية اليقظـــة فـي الجاليـة اليهوديـة هنـاك، حيـث أخـذ رسـل الحركة الصهيونية: بوعلـــي تسـيون، بوعلـي تسـيون سـمول، ليـبرالين، صهاينـة عامون، بيتار، هشـــومير هتسـعير- يبذلـون قصـارى جـهدهم، لكســب الشـبيبة اليهودية في أوروبا الشـرقية بمـا فيـها كوبانـا. وقـد تعـرض الأخـوان للتـأثيرات الجديدة على الشارع اليـــهودي.

وفي عام ١٩٢٣، بدأ مـــائير يتحـــدث عـــن الــــهجرة إلــــى إســــرائيل، وبعـــد سنتين حزم حقائبه وانطلق في طريقه، في حين بقـــي يســـرائيل بصحبـــة الجـــدة يعتنـــي بها، رغم أن قواها بـــدأت تخـــور إلـــى أن توفيـــت عـــام ١٩٢٧. وفـــي عـــام ١٩٣٠، حصل على تصريح من حكومـــة الانتـــداب، لدخـــول فلســـطين لإكمـــال تعليمـــه فـــي الجامعة العبرية. وقد ساعده في ذلك، شـــقيقه مـــائير، الـــذي كـــان قـــد اصبـــح عـــاملا دائما في محطة الكهرباء (روتنبيرج) فـــي منطقـــة البـــاقورة، وقـــد تـــم تســـجيله فـــي الجامعة العبرية في كلية الآداب، وتخصص فـــي الشـــعر والأدب العـــبري.

ومن ضمن الشخصيات التي انطبعت فـــي ذاكـــرة يســـرائيل شـــخص طويـــل القامة يدعى بن تسيون ميليكوبسكي، والذي أصبح فيما بعـــد يدعـــى نتنيـــاهو.

ولا زال بروج يتذكر المحاولات التي كـــان ميليكوبســـكي يقـــوم بـــها لإشـــاعة نظرية جابوتنســـكي حول قضيـــة "ضفتـــان لنـــهر الأردن هـــذه لنـــا وتلـــك أيضـــا". وكان ميليكوبســـكي يحمل معـــه صندوقـــا صغـــيرا، يضعـــه فـــي باحـــة الجامعـــة، ويلقي من فوقه الكلمات الحماســـية.

ولم يكن الاثنـــان يدركـــان أن التـــاريخ ســـيجعل طريقيـــهما تتصالبـــان بعـــد خمـــس وســـتين ســـنة عندما يتصـــارع ابناهمـــا الواحـــد فـــي مواجهـــة الآخـــر، حول رئاسة الحكومـــة.

كانت هنـــاك جماعـــة تدعـــى "مشـــمار"، وتتـــألف بغالبيتـــها مـــن مـــهاجري لتوانيا، الذين سكنوا بداية في هرتسليا، وعملوا في شـــق الطـــرق والزراعـــة.

وفـــي عـــام ١٩٣٣، تحدثـــت جماعـــة (مشـــمار) مـــع أعضـــــاء حركـــــة (جوردينيه الشابة)، الذين استوطنوا اثر هجرتهم مـــن بولنـــدا، بـــالقرب مـــن ريشـــون لتسيون، وبنوا أول منازل في الكيبوتس الجديـــد (مشـــمار هشـــارون). وقـــد انضـــم يســـرائيل إلى هذه المجموعة في اليـــوم الأول لبنـــاء المنـــازل.

كان مـــن بيـــن الأعضـــاء اللاتـــي انضممـــن، فيمـــا بعـــد، إلـــى عضويـــة "جورديونيه الشـــابة" اســـترجودين، وهـــي شـــابة شـــديدة التحمـــس ومليئـــة بالحياة والحيوية، وســـليطة اللسان، عنـــد النقـــاش.

وقد تواصلت الرواية الغرامية التي بدأت بينها وبين يسرائيل، اربع سنوات، في أعقاب قدومها إلى الكيبوتس، وفي عام ١٩٤٠، تزوجها. وفي الثاني عشر من شباط ١٩٤٢، ولد ايهود بروج الابن البكر وفي صبيحة نفس اليوم، قتل في تل أبيب، يائير شتيرن زعيم (ليحي) على أيدي المباحث البريطانية، وقد اختار له والده اسم ايهود تيمنا باسم البطل العسكري التوراتي (ايهود بن جرا). وقد جاء شتاء ذلك العام، من اشد فصول الشتاء التي عرفتها البلاد، ولم تكن غرفة الأطفال في الكيبوتس دافئة بما فيه الكفاية، بيد أن المشكلة الأساسية كانت تتمثل في انه وعلى بعد عدة مئات الكيلومترات من هناك، كانت دبابات الجنرال الألماني رومل، تندفع في الصحراء الغربية مهددة باكتساح مصر، في طريقها إلى قناة السويس وفلسطين.

وبدا لأول وهلة، أنه لا يوجد هناك من هو قادر على وقف اندفاع الدبابات الألمانية، وان المسألة ليست سوى مسألة وقت حتى تصل إلى تل أبيب والقدس.

وبدأ الاستيطان اليهودي يعد العدة لمواجهة المعركة الأخيرة مع الألمان وبدأ أولئك المطلعون يتحدثون عن (متسادة) جديدة، يتم خلالها تجميع الرجال المقاتلين في جبال الكرمل. وأجريت تدريبات على السلاح في جميع أنحاء البلاد داخل الكيبوتس – وفي نفس الوقت أخذت تتدفق على البلاد أنباء حول المجازر التي ينفذها النازيون ضد يهود أوروبا، وبدا واضحا للجميع، بأنه إذا ما تمكن الجيش الألماني من التغلب على العوائق الأخيرة في الوصول إلى البلاد، فإن نهاية الاستيطان اليهودي ستكون محتومة، وسيؤول إلى ما آل إليه الاستيطان اليهودي في أوروبا.

وفي تشرين الثاني ١٩٤٢، وقعت المعركة الحاسمة في الصحراء الغربية. وكانت الغرفة الثامنة البريطانية بقيادة الجنرال مونتجمري تواجه قوات رومل، وقد جرت المعركة على بعد عدة عشرات الكيلومترات من الحدود المصرية. وقد أدرك الجميع، أن هزيمة قوات مونتجمري تعني اندفاع الدبابات

الألمانية نحو قناة السويس، دون أيـــة عوائـق. بيـد أن المعجـزة وقعـت وانتصـرت قوات مونتجمري ودمرت قوات رومل في إشـارة واضحـة إلـى أنـها بدايـة النهايـة للحرب العالمية الثانيـة.

وحينما تناهت هذه الأنباء إلى البلاد، احتفل اليهود فـــي جميـع الأنحـاء.

- ايهود الطفل الفضولي -

كان ايهود أحد أوائل الأولاد الذين ولـدوا فـي الكيبوتـس، وكـان فضوليـا، يحب سماع الروايات. وعندما ناهز الثالثة، عام ١٩٤٥ ولـد شـقيقه (ابينوعـم). وفـي الوقت الذي كان فيه ايهود ضعيـف البنيـة، ورقيقـا فـي طفولتـه، جـاء (ابينوعـم) ضخما وقويا. ومنذ الصغر، نشأت بينهما علاقـة تكـامل: ايـهود الـهادئ والمنطـوي على نفسه، وابينوعم المشـاغب المشـاكس.

كان هناك في مشمار هشارون – مثلـه مثـل الكيبوتسـات الأخـرى، مخـزن أسلحة كبير للهجناة وقد انكشـف هـذا السـر، أمـام أطفـال روضـة أطفـال ايـهود بالصدفة، فبينما كانوا يلعبون ذات مـرة فـي زريبـة الأبقـار، ضغـط أحدهـم علـى مفتاح ما، ولدهشة الأطفال فتح باب كان مغلقـا ومموهـا بمخلفـات الأبقـار، واكتشـف الأولاد الأسلحة، بيد أنهم كانوا يدركون، فـي ظـل ظـروف تلـك الآونـة، أن الامـر يتعلق بسر كبير لا يجوز التحدث عنه، ومنذ ذلك الحين لم يتوجـهوا للعـب فـي نفـس المكان. بيد أن المظليين البريطانيين الذين اقتحموا الكيبوتس المـرة تلـو الأخـرى، لـم ينجحوا في كشف هذا السـر.

وفي إحدى هذه الهجمات، حـاول أحـد ضبـاط المظليين إغـواء الصغـار على البوح بالسر، فقال: الذي سيكشـف لـي مكـان القنـابل سـأمنحه جـائزة- ومـن الجدير بالذكر أن كلمة قنبلة باللغة العبرية هي نفس كلمـة رمانـة- وقـد ذعـر كبـار رجال الكيبوتس، عندما قال ايهود بحماس بالغ : أنا سأكشـف لـك أيـن هـي القنـابل، وقاد الضابط إلى شجرة رمان، وقال : هـاهي. فـانفجر الضـابط بـالضحك، وانتـهت الأزمـة.

ورغم أن ايهود كان في السادسة من عمره، الا أن هناك حدثا لا زال منقوشا في ذاكرته، وهو ذلك الحدث الذي وقع ليلة الثامن والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧. كان جميع سكان الكيبوتس يجلسون إلى جوار الراديو وهم يصغون باهتمام بالغ. وعندما انتهى التصويت في الأمم المتحدة خرجوا جميعا إلى باحة الكيبوتس في فرحة عارمة، وظلوا يرقصون حتى الفجر، فقد شهدوا بداية قيام إسرائيل.

كان (مشمار هشارون)، آنذاك، يتكون من عدة عشرات من الأصحاب فقط. ولم يكن في مجموعة "درور" التي تضم ايهود سوى اثني عشر ولدا، وكان ايهود أصغرهم. ويختلف عنهم بكونه منطويا على نفسه وشديد الخجل وكان اقرب الأولاد إليه هو (افز هليفي)، الذي صاحبه فيما بعد، وشاركه في الكثير من أعماله. وقد كان هليفي أقوى ولد في المجموعة وفي العديد من المرات، قام بالدفاع عن ايهود في الشجار الذي كان يقع بينه وبين صبية آخرين.

أقيم مدرج لهبوط الطائرات المقاتلة إبان حرب ١٩٤٨ بالقرب من الكيبوتس، لاستخدام طائرات سلاح الجو، وكانت طائرات (مسرشميدت) تهبط فيه وتقلع منه في طيران منخفض محلقة على ارتفاع عدة عشرات الأمتار فوق كيبوتس مشمار هشارون. وكان ايهود يجلس ساعات طويلة على مدخل منزله، يراقب الطائرات المحلقة، ويلوح لطياريها بيديه. وبدأ، منذ ذلك الحين، يحلم بأن يكون طيارا– وقد رافقه هذا الحلم حتى التحاقه بالجيش– فقرأ كل ما نشر عن الطيران، وحفظ عن ظهر قلب الأوصاف التقنية لمبنى الطائرة والتي نشرها في تلك الآونة (اينجر ديفيد ابير) وهو مهندس وخبير طيران.

وعندما كان في الصف الثاني، حل لغزا نشرته جريدة "شيء للأولاد"، وتلقى من الجريدة إشعارا بأنه فاز بالجائزة الأولى، والمتمثلة بالقيام بجولة في سماء البلاد، بطائرة تابعة لشركة (اركيع) بيد أنه لم يتلق الجائزة حتى اليوم.

ورويدا رويدا، اكتسب ايهود لنفسه مكانة خاصة بين الأولاد، كطفل ذكي، متفتح، وفي نفس الوقت عنيد جدا، لقد لاحظ ذووه عناده، منذ الصف

الأول، ورفضه تقديم أي تنازلات للأولاد الآخرين. ولربما لهذا السبب، فضل في العديد من الاحيان، أن يبقى وحده، ويبني مبانٍ من المكعبات أو الحديد.

تم اختيار ايجال برنر – والذي كان في الصف الثامن آنذاك – كمدرب ومرشد لايهود، وقد تطورت بين الاثنين علاقة جيدة، تواصلت ودامت زمنا طويلا. وكان ايهود يرى في ايجال بطلا لطفولته.

قرر الكيبوتس، شراء بيانو لحجرة الطعام،وقد احبه ايهود حبا جما. وكان يختلس اللحظات التي لا يكون هناك من يجلس في غرفة الطعام، كي يمرر أصابعه على مفاتيحه.

وذات يوم، جاء مدرس موسيقى، وأراد أن يختبر الأولاد في العزف على الناي، بيد أن ايهود أصر على العزف على البيانو، فأذهل المعلم هو وأربعة أولاد آخرين، وقد تم اختيارهم جميعاً لمواصلة التعلم على البيانو. وكان يأتي معلم مرة واحدة أسبوعياً لإعطائهم الدروس اللازمة.

وفي الصف السادس، بدأ طابع ايهود في التبلور، كان فيه خليط من الإنسان الحالم، الفضولي، المشاكس والقائد، وسرعان ما اكتشف الأولاد، إن ايهود قادر على اتخاذ القرار عند الحاجة، حتى ولو كان ذلك القرار يتعلق بقطع الجسر القائم على وادي الكسندر المائج وتنفيذ قراره. وهكذا تقبلوا زعامته بصورة طبيعية.

هواية تفكيك الساعات

وفتح الأقفال

وفي هذه السنة، اكتسب مهارة فائقة في مجال تفكيك الساعات، وفتح الأقفال. وقد تمكن من ذلك بفضل فضوله لمعرفة السبب في تحريك عقارب الساعة بهذه الصورة المنتظمة، والسبب في إغلاق لسان القفل، وعدم فتحه الا بالمفتاح المخصص. كان يجيد فك الساعات وتركيبها بعد إصلاحها، في زمن قياسي، وكذلك فتح الأقفال.

وكانت تجري منافسات بينه وبين أولاد اكبر منه سنا من كيبوتسات أخرى، بيد أن ايهود كان دائما الأول وكان يعكف على الساعة يفككها بسرعة عجيبة، ويضع أجزائها المفككة بصورة منظمة ثم يعيد تركيبها، ولا يرفع عينيه إلى الحضور، الا عندما ينجز الهدف، وكان دائما يبتسم ابتسامة فوز لأن أياً من الأولاد، لم يكن يضاهيه في مهارته.

بدأت زعامة أولئك الصبية تتبلور في تلك الآونة، وكانت (تريتسه جل) تقود الفتيات، بينما افز هليفي، يقود الأولاد. أما ايهود الذي كان اصغر منهم بكثير فقد كان في مكانة مستشار دائما.

ولم يكن ايهود بارزا في الدراسة وكانت لديه كراسة واحدة، اعتاد أن يكتب فيها أفكاره إضافة إلى بعض الدروس، وحينما كان المعلمون يطلبون منه الإجابة عن أحد أسئلة الواجبات المنزلية من كراسته، كان يفتحها ويجيب من عقله، بيد أن هذه الطريقة انكشفت حينما أصر أحد المعلمين ليس على سماع الإجابة فقط، بل أيضا على رؤية ما كتب ايهود.

وفي سن البلوغ، أصبح ايهود قائدا لمجموعة الأولاد (درور). وذات ليلة، قرر الأولاد أن يطهوا طعاما في الخلاء، فقام ايهود بفتح قفل مخزن المؤن في غرفة الطعام بسهولة. وقام هو وزملاؤه بملء دلو ببيض الاوز والبطاطا دون أن يلحظ أحد شيئا.

- الأسلحة والديناميت -

وعندما اصبحوا في الثالثة عشرة أبدى الأولاد اهتماما بالأسلحة، وعثروا مصادفة، على كمية من الديناميت، منذ عهد البريطانيين، ولم يدر أعضاء الكيبوتس، ما هو سر الانفجارات التي كانت تهز، في الليل، زجاج النوافذ. بيد أن ايهود أصيب ذات مرة، بحروق في يديه الامر الذي حدا بالمجموعة، للكف عن العبث بالديناميت.

وذات مرة، جر ايهود الأولاد، وفتح قفل مخزن الأسلحة في (مشمار هشارون)، والذي كان في عهدة (عامي بورر)-ضابط في سلاح التسليح وأخذوا منه بندقية تلسكوبية ومسدسا، وتوجهوا إلى بيارة قريبة لإطلاق النار والتدرب. ثم نظفوا البندقية والمسدس، وأعادوهما إلى مكانهما.

وذات مرة، سرقوا مسدسا اخر من المخزن، وحشوه بعيارات غير مناسبة، مما أدى إلى كسر الزناد، وقد حاول ايهود إصلاحه، بيد أنه لم يفلح في ذلك، فقرر إعطاءه إلى مصلح أسلحة في الخضيرة، بيد أن المسدس لم يعد إلى مكانه حتى الآن.

وذات ليلة، قام ايهود بفتح القفل الذي يقي الدراجة النارية الخاصة بأحد أعضاء الكيبوتس وتجول فيها هو والأولاد طيلة الليل، وقبل الفجر، أعادوها، إلى مكانها دون أن يدري صاحبها بما حدث.

لقد فوجئ أعضاء المجموعة، اكثر من مرة، بقدرة ايهود على التحدث عن أماكن وأحداث لم يشهدها. وذات مرة تحدث بحماس بالغ عن فيلم كان يعرض في تل أبيب، فثارت ثائرة صديقته (نافاجولدبيرج) وقالت له: لكنك لم تشاهد هذا الفيلم، فأشار لها بيده، ثم قال لها فيما بعد: إذا ما قرأت بصورة جيدة عن الفيلم، فسوف يمكنك التحدث عنه وكأنك شاهدته.

وفي سن السادسة عشرة، قرر ايهود أن يسجل نفسه في جوالة كتائب الشبيبة (الجدناع)، وهناك، ظهرت مواهبه الفذة، في أعمال الملاحة. فلم يكن بحاجة إلى وقت طويل كي يفهم ما هو مرسوم على الخارطة، لقد كانت الخطوط

المتشـــــابكة، تبدو له بوضوح في صورة جبــــال ووديـــان وآبــار ميــاه لـــذا تحولـــت مجموعة بروج إلى إحدى المجموعات المطلوبة بيـــن مجموعـــات الجوالـــة. كـــان فـــي هذه الآونة قد اصبح له ثلاثة اخوة، هم: ابينوعـــم، ومولـــي وروبـــي.

كان ايهود في السابعة عشرة، حينما تلقى اكبر ضـــــرة فـــي حياتـــه. فقـــد تـــم توزيع أبناء صفه الذين كانوا، حتى ذلك الحين، يدرســـون فـــي فصـــل واحـــد، فأرســـل الذين يدرسون في القسم الأدبي إلى مدرســـة (بـــرال) لقضـــاء عـــام التخـــرج الأخـــير، في حين أرسل البقية ممن يدرسون في القسم العلمـــــي – وهـــو معـــهم- إلـــى مدرســـة روفين. وقبل فترة وجيزة من الالتحاق بالمدرســـة، اتضـــح أن المديـــر يرفـــض رفضـــا باتا قبوله، فقد تناهت إليه أعمال الشغب، التي كـــــان يقـــوم بـــها، مـــن ســـرقة أســـلحة وفتح أقفال وغير ذلك ولم ينفعه في ذلك المنافسة التـــي جـــرت فـــي مدرســـة (روفيـــن) لفتح الأقفال، والتي فاز فيها بالمركز الأول. وكان حـــادث آخـــر، وقـــع فـــي الكيبوتـــس بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير بالنســـبة لقبـــول المديـــر، فقـــد انفجـــرت عاصفـــة عاتية في الكيبوتس، حيث اتضح أن شباناً قاموا بســـــرقة أجـــزاء بندقيـــة رشاشـــة مـــن طراز عوزي رويدا رويـــدا، مـــن معـــرض الجيـــش الإســـرائيلي فـــي (بيـــت دجـــن) وتمكنوا من تجميع بندقية عوزي منـــــها.

وشاء حسن طالع ايهود أن يكون في تلـــــك الليلـــة فـــي تـــل أبيـــب لحضـــور درس موسيقى، وقد أعلمه زملاؤه فـــــي مجموعـــة (درور) بـــالأحداث العاصفـــة: بـــأن إحدى المدربات قد اكتشفت صندوقا ثقيلا تحـــــت ســـرير أحـــد الشـــبان، وعـــثرت فيـــه على بندقية (عوزي)، فيما أنكر الشاب أي صلـــة لـــه بالبندقيـــة.

وقد حاول بعض أعضاء الكيبوتس معرفـــة الحقيقـــة مـــن الأولاد بـــالقوة، بيـــد أن الضرب لم يفد شيئا، ولم يعترف أي منهم علـــى ايـــهود، رغـــم أنـــه كـــان واضحـــا لهم، أن ايهود هو العقل المدبـــر للحـــادث.

وفي نهاية المطاف، طرح المدير اقتراحـــا غريبـــا، فقـــال: لـــن اقبـــل ايـــهود في المدرسة، بيد أنني سأمنحه فـــي نهايـــة العـــام، شـــهادة تخـــرج مثلـــه مثـــل بـــاقي زملائه، المهم هو ألا يشوش عمل زملائه ودراستهم أثنـــاء العـــام الدراســـي.

- الأسلحة والديناميت -

وعندما اصبحوا في الثالثة عشرة أبدى الأولاد اهتماما بالأسلحة، وعثروا مصادفة، على كمية من الديناميت، منذ عهد البريطانيين، ولم يدر أعضاء الكيبوتس، ما هو سر الانفجارات التي كانت تهز، في الليل، زجاج النوافذ. بيد أن ايهود أصيب ذات مرة، بحروق في يديه الامر الذي حدا بالمجموعة، للكف عن العبث بالديناميت.

وذات مرة، جر ايهود الأولاد، وفتح قفل مخزن الأسلحة في (مشمار هشارون)، والذي كان في عهدة (عامي بورر)-ضابط في سلاح التسليح وأخذوا منه بندقية تلسكوبية ومسدسا، وتوجهوا إلى بيارة قريبة لإطلاق النار والتدرب. ثم نظفوا البندقية والمسدس، وأعادوهما إلى مكانهما.

وذات مرة، سرقوا مسدسا اخر من المخزن، وحشوه بعيارات غير مناسبة، مما أدى إلى كسر الزناد، وقد حاول ايهود إصلاحه، بيد أنه لم يفلح في ذلك، فقرر إعطاءه إلى مصلح أسلحة في الخضيرة، بيد أن المسدس لم يعد إلى مكانه حتى الآن.

وذات ليلة، قام ايهود بفتح القفل الذي يقي الدراجة النارية الخاصة بأحد أعضاء الكيبوتس وتجول فيها هو والأولاد طيلة الليل، وقبل الفجر، أعادوها، إلى مكانها دون أن يدري صاحبها بما حدث.

لقد فوجئ أعضاء المجموعة، اكثر من مرة، بقدرة ايهود على التحدث عن أماكن وأحداث لم يشهدها. وذات مرة تحدث بحماس بالغ عن فيلم كان يعرض في تل أبيب، فثارت ثائرة صديقته (نافاجولدبيرج) وقالت له: لكنك لم تشاهد هذا الفيلم، فأشار لها بيده، ثم قال لها فيما بعد: إذا ما قرأت بصورة جيدة عن الفيلم، فسوف يمكنك التحدث عنه وكأنك شاهدته.

وفي سن السادسة عشرة، قرر ايهود أن يسجل نفسه في جوالة كتائب الشبيبة (الجدناع)، وهناك، ظهرت مواهبه الفذة، في أعمال الملاحة. فلم يكن بحاجة إلى وقت طويل كي يفهم ما هو مرسوم على الخارطة، لقد كانت الخطوط

المتشـــــابكة، تبدو له بوضوح في صورة جبـــال ووديـــان وآبـــار ميـــاه لـــذا تحولـــت مجموعة بروج إلى إحدى المجموعات المطلوبة بيـــن مجموعـــات الجوالـــة. كـــان فـــي هذه الآونة قد اصبح له ثلاثة اخوة، هم: ابينوعـــم، ومولـــي وروبـــي.

كان ايهود في السابعة عشرة، حينما تلقى اكبر ضـــــرة فـــي حياتـــه. فقـــد تـــم توزيع أبناء صفه الذين كانوا، حتى ذلك الحين، يدرســـون فـــي فصـــل واحـــد، فأرســـل الذين يدرسون في القسم الأدبي إلى مدرســـة (بـــرال) لقضـــاء عـــام التخـــرج الأخـــير، في حين أرسل البقية ممن يدرسون في القسم العلمـــــي – وهـــو معـــهم– إلـــى مدرســـة روفين. وقبل فترة وجيزة من الالتحاق بالمدرســـة، اتضـــح أن المديـــر يرفـــض رفضـــا باتا قبوله، فقد تناهت إليه أعمال الشغب، التي كـــــان يقـــوم بـــها، مـــن ســـرقة أســـلحة وفتح أقفال وغير ذلك ولم ينفعه في ذلك المنافسة التـــي جـــرت فـــي مدرســـة (روفيـــن) لفتح الأقفال، والتي فاز فيها بالمركز الأول. وكان حـــادث آخـــر، وقـــع فـــي الكيبوتـــس بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير بالنســـبة لقبـــول المديـــر، فقـــد انفجـــرت عاصفـــة عاتية في الكيبوتس، حيث اتضح أن شباناً قاموا بســـــرقة أجـــزاء بندقيـــة رشاشـــة مـــن طراز عوزي رويدا رويـــدا، مـــن معـــرض الجيـــش الإســـرائيلي فـــي (بيـــت دجـــن) وتمكنوا من تجميع بندقية عوزي منـــــها.

وشاء حسن طالع ايهود أن يكون في تلـــــك الليلـــة فـــي تـــل أبيـــب لحضـــور درس موسيقى، وقد أعلمه زملاؤه فـــــي مجموعـــة (درور) بـــالأحداث العاصفـــة: بـــأن إحدى المدربات قد اكتشفت صندوقا ثقيلا تحـــت ســـرير أحـــد الشـــبان، وعـــثرت فيـــه على بندقية (عوزي)، فيما أنكر الشاب أي صلـــة لـــه بالبندقيـــة.

وقد حاول بعض أعضاء الكيبوتس معرفـــة الحقيقـــة مـــن الأولاد بـــالقوة، بيـــد أن الضرب لم يفد شيئا، ولم يعترف أي منهم علـــى ايـــهود، رغـــم أنـــه كـــان واضحـــا لهم، أن ايهود هو العقل المدبـــر للحـــادث.

وفي نهاية المطاف، طرح المدير اقتراحـــا غريبـــا، فقـــال: لـــن اقبـــل ايـــهود في المدرسة، بيد أنني سأمنحه فـــي نهايـــة العـــام، شـــهادة تخـــرج مثلـــه مثـــل بـــاقي زملائه، المهم هو ألا يشوش عمل زملائه ودراستهم أثنـــاء العـــام الدراســـي.

لم يكن لدى ايهود أي مشكلة في قبول الاقــتراح، فالدراسـة لـم تكـن تشـده بشكل خاص، ومستوى المعلمين كان متدنيـــا فـــي عينيــه، بيــد أن المشـكلة الوحيـدة تمثلت في كيفية تلقي ذويه للنبأ؟؟ وقد ساق إليهم النبأ رويـــدا رويـــدا وبأسـلوبه، وقـال لهم: أن القرار ليس شيئا، وبمقدوره إكمال التعليم خــارج إطـار المدرسـة.

بيد أن والدته (استر بروج)، لم تستطع هضم الوضـع، أمـا والـده، فلـم يبـد الكثير من التأثر، إذ كان يدرك تماما طبيعة كفاءات ابنــه. بيـد أنـه اقـترح عليـه ألا يبقى في الكيبوتس خلال العــام الدراسـي، وأن ينضـم إلـى صديقـه ايجـال جربـر، الذي يعمل على جرار زراعي في النقب. لقــد اسـتهواه النقـب، أكـثر ممـا اسـتهواه الصف الدراسي الثاني عشـر.

- يقود تراكتوراً زراعيا -

وفـي الأول مـن أيلـول ١٩٥٨، عندمـا التحـق جميـع زملائـه بمدرسـة روفين، كان هو يعتلي تراكتوراً، ويحرث في حقـول (موشـاف بطيـش) وهـي قريـة زراعية لمهاجرين من شمال إفريقيـا.

كان أعضاء هـذا الموشـاف لا يزالـون يخطـون خطواتـهم الأولـى، فـي الزراعة، واعتادت الكيبوتسات القديمة استئجار أراض منــهم، وقـد اسـتأجر كيبوتـس مشمار هشارون، ثلاثمائة دونم، من اراضيـهم، وأرسـل إليـها ايجـال جربـر الـذي أنهى خدمته العسكرية لتوه، ومناحم تحشون، وايـهود بـروج.

الفصل الثاني

غرفي سلاح المشاة المدرع
ثم عضوا في دورية الأركان

حلم ايهود بأن يصبح طيارا، كانت فكـرة إقـلاع الطـائرة تسـتهويه، وتعبـث بخياله، كيف يتمكن هذا الجسم الفولاذي الـهائل مـن التحليـق فـي الفضـاء؟؟ وكـان قائد سلاح الطيران آنذاك هو (عيزر وايزمن) وقد وضـع شـعارا يقـول: "المتمـيزون لسلاح الطيران". وكان ايهود يعتقد أنه من المتميزين. ولم يكـن لديـه أدنـى شـك فـي انه سيجتاز اختبار السلاح رغم أنه كـان أقصـر مـن أبنـاء جيلـه، وأضعـف منـهم جسديا. كانت المشكلة الوحيدة التي تثير قلقه، هي وزنـه القليـل نسـبيا، بيـد أنـها لـم تكن تمس بثقته بنفسه في أنه سيقبل فـي السـلاح.

وبعكس أبناء الكيبوتس الآخرين، لم يكن يرغـب فـي أن يغـدو جنديـا فـي سلاح المظليين، لقد كان كيبوتسه يقع علـى بعـد قليـل مـن قـاعدة تدريـب أغـرار المظليين، وكان يراهم ايهود، بيـن الفينـة والأخـرى، وهـم يعـبرون الحقـول التـي حرثها، وهم يقفزون من فوق التلال، ويحملـون النقـالات علـى أكتفـاهم، وأجسـادهم ترشح عرقا، ولم يكن يرغب في أن يؤدي خدمته العسكرية علـى هـذا النحـو.

والبديل الثاني الذي كـان ايـهود يتطلـع إليـه بعـد الطـيران، هـو سـلاح المدرعات. كانت فترة ما بعد حرب عـام ١٩٥٦، التـي بـدت فيـها مزايـا الدبابـات، وقد جذبته قوة المدرعات، والتكنولوجيا والمحركات هائلـة القـوة. شـريطة أن تكـون الأولوية للطـيران.

وفي يوم التجنيـد الموافـق ١٠-١١-١٩٥٩، توجـه مباشـرة إلـى جنـاح سلاح الجو. وقد نزع جميع الضباط الموجوديـن فـي الجنـاح -وجميعـهم طيـارون- إلى رفض هذا الصبي الذي يرتدي ملابس عسكرية، ويطلب التطـوع. بيـد انـه نجـح بعد الحديث القصير الذي أجـراه مـع ضبـاط التصنيـف، فـي إقناعـهم، بنقلـه إلـى المرحلة الثانية، وهي مرحلة الفحـوص الطبيـة.

اعتقد الطبيب الفـاحص أيضـا، أن هنـاك خطـأ مـا، وان الصبـي المـاثل أمامه جاء قبل سنتين من موعـد التحاقـه بـالجيش، بيـد أن الـوزن لـم يكـن هـو المشكلة، فقد اتضح من الفحص، أن لديه التـهابا مزمنـا فـي الحلـق، وبالتـالي، فإنـه غير صالح للطيران، وهو التشخيص الذي ثبت فيما بعد انه لـم يكـن صحيحـا.

توجه ايهود إلى جناح المدرعات، وهو يشـعر بخيبـة أمـل عميقـة، وطلـب أن يتم تجنيده في سلاح المدرعات فقبلوه، على أن يحول إلـى سـلاح المشـاة المـدرع الكتيبة التاسـعة.

لم يكن ايهود جنديا متميزا في الوحدة، لكنه أيضا، لـم يكـن سـيئا، والكفـاءة الجسمانية لم تكن إحـدى مميزاتـه، كمـا أن فـترة الأغـرار كـانت مـن الفـترات الصعبة للغاية بالنسبة لـه.

لم يكن قادة الأغرار- على وجه الخصـوص، قـائد الحظـيرة (يشـاي ليفـي) يتهاونون مع الأغرار وسرعان ما أصبح ايهود، ومعـه جنـدي آخـر يدعـي ايتسـيك جيل، هدفا من أهداف القـائد.

ويقول ايتسيك جيلا كان يشاي ليفي يحب التنكيـل بايـهود- نظـرا لانـه اقـل الجنود حجما- والتنكيل بي، لأنني كنت صلفـا، وفـي إحـدى ليـالي الشـتاء البـاردة، أخرجنا، نحن الاثنين، تحت الشتاء، إلـى سـاحة التدريبـات، ونحـن نحمـل سـريرينا على ظهرينا، ووقف تحت مظلة، وأمرنا بالركض والتحـرك طيلـة الليـل. وقـد كـاد ايهود ينهار، بيد أنه عض على نواجذه وواصل الحركة، وفـي نهايـة المطـاف، سـئم يشاي ذلك وأراد العودة إلى الخيمة، فنظر إليـه ايـهود، وقـال لـه بنصـف ابتسـامة: هل من الممكن أن نواصـل الركـض دورة أخـرى؟؟ فقـال يشـاي: أضجرتنـي .. اذهب إلى سريرك. وكان يبدو غاضبـا.

تواصلت الصداقة بين الاثنين في دورية هيئـة الأركـان، فقـد أوصـى ايلـي جيل- عم ايتسـيك جيـل- قـائد دوريـة الأركـان، أبراهـام ارنـان، بـأن يقبـل ايتسـيك في الدورية. وقبل ايهود أيضاً فـي الدوريـة.

كـان الرقيـب (يشـاي ليفـي) ينكـل بـالأغرار، ويجعلـهم يزحفـون بيـن الأشواك، ويرسلهم في رحـلات والأسـرة علـى ظـهورهم. وتحولـت لياليـهم إلـى نهار، وكان النوم ٣-٤ ساعات، هو بمثابة كماليات، ممـا حـدا بايـهود للنـوم بكـامل ملابسه، وسكينه وشوكته وملعقته إلى جانبه، استعدادا للاسـتجابة لنـداء القـادة.

وفي إجازاته القصيرة، كان يقول لأصدقائه أنه لم يكن يتخيل أبدا أن الخدمة العسكرية، على هذا النحو، فهي لا تثير أي اهتمام لديه، ولا تضع أمامه أي محفزات، لقد تركت الخدمة بالكتيبة التاسعة، في نفس ايهود ندبا ومشاعر. بيد أنها لم تترك في خاطره ذكريات مثيرة للخيال مثلما كان يعتقد.

- التغيير -

ولم يمض سوى نصف سنة، حتى تغيرت مكانة هذا الجندي تغييرا عجيبا. فقد تم الإعلان عن حالة الاستعداد القصوى في الجيش الإسرائيلي في أيار ١٩٦٠، فقد دخلت قوات مصرية إلى سيناء، دون أن تلاحظ الاستخبارات العسكرية ذلك، ودون أن يتخذ الجيش المصري استعداداته لذلك. وتلقت وحدات الجيش النظامي أمرا بالتحرك جنوبا باتجاه الحدود مع مصر.

وفي إحدى الليالي، تم إعداد قافلة ذخائر في الوحدة التاسعة، واخذ القائد يبحث عن جندي قادر على قراءة الخرائط وقيادة القافلة إلى وجهتها في الليل. وقد فاجأ ايهود قادته وتطوع للمهمة. وقد جاء الرد الأول على هذا التطوع بالاستهزاء، فلم يكن أي من القادة يعتقد أن اصغر جنود الكتيبة قادر على القيادة وتوجيه القافلة.

أصر ايهود على موقفه، وطلب تزويده بخارطة والاعتماد عليه. وفي ساعات الليل الأخيرة، انطلقت القافلة إلى وجهتها، وقد تمكن ايهود من قيادتها، بالضبط، إلى نقطة اللقاء. وعندما عاد إلى الكتيبة كان قد اصبح ايهود آخر، فقد استدعاه قائد الفصيل بنفسه، كي يشكر الجندي الذي أنقذ شرف الكتيبة وهيبتها.

ومنذ تلك اللحظة، تغيرت معاملته، بل إن قائد الحظيرة (يشاي ليفي) أخذ يتعامل معه باحترام خاص.

- إلى دورية الأركان -

وفي إحدى الإجازات العادية، قابل ايهود صديق طفولته أبراهام امون، والذي سأله عن الوضع في الكتيبة؟؟ فقال بروج: صعب ولا يثير اهتمامه.

- امون : "لو اقترحوا عليك الانتقال إلى الدورية هل تقبل"؟؟

- ايهود: "أي دورية"؟؟ وما الذي يفعلونـــه هنـــاك؟؟
- امون: "دورية ما"، وهناك يقومون بأعمال الملاحـــة، ويجــرون تدريبــات مثــيرة.

ثار خيال ايهود، وأراد معرفة المزيد عن الدوريـــة، بيـد أن امــون لــم يكــن على استعداد للكشف عن ذلك، وقال : "سنرى مـــا الــذي سـيحدث؟؟".

وبعد عدة أسابيع، شعر ايهود أن هناك توتـــرا خاصـــا حولـــه، فقـد اسـتدعاه قادته، وسألوه: من الذي يهتم بأمره؟؟ ولماذا يرغب فـــي الانتقـــال مــن الكتيبـــة؟؟ لــم يدر ايهود ما الأمر، ولم يدر أن امون قد نقل اسمه إلــــى (ســامي نحميـــاس) المســئول عن تجنيد الأشخاص الجدد لدورية هيئة الأركـــان، وقـــال لـــه: أن ايــهود قـــادر علـــى القيام بأعمال الملاحـــــة علـــى الخرائــط كبــدوي فـــي الصحـــراء، وأنـــه أحـــد أكفـــأ الأشخاص في تفكيك وتركيب الساعات، وفي فتـــح الأقفـــال، وروى لــه كيــف تمكــن ايهود في المنافسة على فتح الأقفال من فتح مائـــة قفــل وهـــو معصـــوب العينيـــن فـــي غضون ســاعة.

سارع نحمياس لحمل الروايـــة إلــــى أبراهـــام ارنـــان قـــائد الوحـــدة. وبـــدت الرواية له خيالية إلى حد ما، لكنه قال لنفسه: إذا كان قســـم منـــها صحيحـــا، فـــلا شـــك أن هذا الجندي هو أحد الجنود الذين يطمح إلـــى ضمـــهم لوحدتـــه.

استدعي ارنان سامي نحمياس، وايلي جيل، وقال لـــــهما: احصلـــوا لـــي علـــى جميع المعلومات حول هذا الجندي، من الكيبوتس، مــــن المدرســـة ومـــن كـــل مكـــان، فإذا ما اتضح أن ما يقال عنه صحيح فلست أرغب فــــي أن يســـرقوه منـــا.

عاد الاثنان إلى أرنان بعد أسبوع وقالا له: كل ما قيـــل صحيـــح، فـــهو بطـــل في فتح الأقفال، وملاح لا يشق له غبـــار، وذكــــي ... لكـــن...

سأل ارنان: لكن ماذا؟؟ فقال الاثنـــان: لقــد قـــال لنـــا ضـــابط أفـــراد الكتيبـــة التاسعة: انسوا هذا الامر تماما، وقال شيئا عن قيام ايـــهود بقيـــادة وتوجيـــه قافلـــة فـــي الليل بالاعتماد على الخرائـــط.

لم يكن ارنان على استعداد للتخلـــي عـن الاكتشـاف، فتوجـه إلـى صديقـه ديفيد اليعزر، الذي كان آنذاك يشغل منصب قائد سـلاح المدرعـات، وقـال لـه: "أنتـم تستطيعون العمل بدونه، أما أنـا فأحتاجـه".

وذات صبـاح، قـدم نحميـاس وجيـل إلـى مكتـب ضـابط أفـراد الكتيبـة التاسعة، وتم استدعاء ايهود. سأله الاثنـان عمـا إذا كـان حقـا يجيـد فتـح الأقفـال، ويجيد أعمال الملاحة ليلا؟؟ فأكد ذلك، وقال إذا أردتـم أسـتطيع أن اقـدم لكمـا الدليـل الآن. فقال له نحمياس: يوم السـبت عليـك الذهـاب إلـى شـارع سـبيون-٥ وهنـاك سيراك ابراهام ارنـان.

وصبيحة يوم السبت توجه ايهود إلى منزل ارنان. الـذي دهـش تمامـا وهـو يرى أمامه صبيا يبدو في الأول ثـانوي، بيـد انـه ادخلـه، وفـرش أمامـه خارطـة، واشار إلى جبال القدس، وقال: أنت هنـا، وتريـد الذهـاب إلـى هـذا المكـان، كيـف ستصل؟؟ اخذ ايهود يتجول فوق الخارطة واصفـا المنحـدرات والتـلال، وآبـار الميـاه بصورة مذهلة أثارت إعجاب ارنان. الذي قال له: حسـنا سـتتلقى أخطـارا.

عندما عاد ايهود إلى الكتيبة فـي اليـوم التـالي، قـال لـه ضـابط الأفـراد: سـتنتقل إلى وحدة أخرى. وفي نفس اليوم، توجـه إلـى قـاعدة الوحـدة حيـث تـم توجيهه إلى شـعبة الأفراد، فوجـد بانتظـاره (بنـي كوهيـن) وهـو يحمـل اختبـار القبول للوحـدة:

- كوهين: اصعد إلى سـطح المبنـى، وقـم بعمليـة مراقبـة للمنطقـة، وسـجل كل ما تـراه.

صعد ايهود إلى السطح وسجل كـل شـيء فعـلا، بـل لقـد سـجل مـرور طائرة مسافرين من فوق المكان في تلـك الآونـة.

تواصل الامتحان، فطلب منه (بني كوهين) أن يصعـد إلـى ناقلـة الجنـود، وأن يقـف على الجناح، والانطلاق على الأسـفلت:

-كوهين: هل كنت في سلاح المشـاة المـدرع؟؟

-ايهود: نعم سيدي القـائد.

-كوهين: هل قفزت من سيارة مدرعة وهـــي منطلقـــة؟؟

-ايهود: نعم، فقط من الباب الخلفـــي.

-كوهين: هل تجيد القفز والدحرجـــة علـى الأرض؟؟

-ايهود: نعـم.

-كوهين: هذا ما ستفعله، انزل إلى الدرجة الأولى، وعندمـــا أقــول لــك اقفــز، عليــك أن تقفــز.

زاد كوهين من سرعة الناقلة، وراقــب ايــهود عقــرب الســاعة وهــو ينتقــل من ٥٠-٦٠، إلى ٧٠ كيلومترا في الساعة. وشعر بيـــد كوهيـــن قريبـــة مـــن حزامـــه، وقال له: استعد للقفز. نظر ايهود إلى الأرض فشاهد العجــلات تنهبــها نــهبا، بيــد انــه دفع إحدى قدميه في الهواء استعدادا للقفز، لكن كوهيـــن امســك بــه بقــوة، وضحــك، وقال للضباط الجالسين معه: هذا الجندي على مـــا يـــرام.

عاد ايهود إلى الكيبوتـــس وهــو لا يعــرف بعــد مــا معنــى دوريــة هيئــة الأركان، فقرر أن يسأل أحد الرقباء في سلاح المظليين من معارفـــه، والــذي قــال لــه بحماس: "هذه هي اكثر الوحدات العسكرية التي يتمتــع عملــها بالســرية التامــة. انــهم يتسللون في الليل إلى غزة ويعودون ومعهم تذاكر ســينما مــن هنــاك.

وأضاف الرقيب، ذات مرة كنا في جولـــة عســكرية فـــي الصحـــراء، وفجـأة نزل نحونا قطيع من الأغنام من تلال الخليل، فأرســـلنا مجموعـــة مـــن الجنــود لإلقــاء القبض على الراعي. وعندما عـــادوا بـــه، لـــم اصـــدق مـــا أرى، لقـــد كـــان الراعـــي (زخاريا). الذي كان معنا في الوحـــــدة.

ورغم أن زخاريا لم يقل لنا مـــاذا يفعــل فـــي هيئـــة راعـــي. إلا أن الجميــع كانوا يدركون. أن كل ما يقال حول دورية هيئـــة الأركـــان صحيـــح".




الفصل الثالث

-ايهود "حبيب قلب" قائد الدورية -

مزايا الجندي المتميز لدى ايهود أثارت اهتمام قائد دورية الأركان

ولد أبراهام ارنان (هرلينج) في القدس عام ١٩٣٠، وفي السابعة عشرة التحق بمنظمة (البلماح) وشارك في معارك اقتحام القدس. وكان قائد اللواء في تلك الآونة العقيد اسحق رابين.

وحال انتهاء معارك ١٩٤٨ انتقل ارنان إلى شعبة استخبارات هيئة الأركان، وتمثلت وظيفته في تفعيل العملاء. وقد كانت إنجازاته محدودة بسبب طابع العملاء.

كانت لدى ارنان مخططات أخرى تتمثل في تشكيل وحدة تجمع بين القدرة التنفيذية للكوماندو، والعمل الاستخباري، واضعا نصب عينيه ديفيد سترلينج كقدوة، وهو ضابط مخابرات بريطاني كان يقود وحدة خاصة اسمها "وحدة الأشباح".

لقد حفظ ارنان كتاب سيرة حياة سترلينج عن ظهر قلب حول وحدته، التي كثيرا ما فاجأت الجيش الألماني القوي، في جبهة الصحراء الغربية. وكانت قوة سترلينج، تعمل في وحدات صغيرة وبجرأة بالغة على بعد مئات الكيلومترات خلف خطوط العدو.

وفي إحدى العمليات، دخل سترلينج على رأس خلية من وحدته إلى قاعدة التموين الألمانية كانوا يرتدون ملابس خاصة بسلاح المدرعات الألماني – وقاد سترلينج أعضاء خليته بخطى نازية واضحة، نحو مخازن الوقود، وقام بتفجيرها، ونجح هو ورجاله بالعودة إلى قاعدتهم بسلام ودون خسائر. كان ارنان على قناعة تامة، بأن الجيش الإسرائيلي في اشد الحاجة إلى مثل هذه الوحدة، والتي ستركز عملها في المجال الاستخباري والعمليات التنفيذية الخاصة. ولم يكن في أوساط القادة من يفكر بنفس هذا النمط، في أعقاب حرب سيناء ١٩٥٦، فرئيس الأركان الذي خلف موشيه ديان– الفريق حاييم لسكوف– كان يعتقد أن مهمته تتمثل في إعداد أطر عسكرية كبيرة لمواجهة الحرب المستقبلية. وهكذا لم ينجح ارنان في إقناعه بأهمية وضرورة الوحدة.

كان لسكوف يؤمن بأنه لا يجوز بذل جهود وإضاعة موارد مالية، في فترات الهدوء النسبي على الحدود، والسماح للجنود بالتجوال أثناء الليل، داخل أراضي العدو.

وفي محاولة إقناع أخيرة، قام ارنان بمناورة فأرسل ايلي جيل – أحد أعضاء وحدة تفعيل العملاء– وهو يرتدي ملابس عربي، إلى الحدود الشمالية، حاملا معه أوراقا ووثائقا استخبارية سرية.

اعتقل حرس الحدود الإسرائيلي (الجاسوس العربي)، وحققوا معه طيلة أسبوع – ولم يكن التحقيق لطيفا– بيد أنه لم يعترف بسره. ولم يكن يعلم بهذا السر سوى ثلاثة أشخاص هم ارنان، ورئيس الأركان لسكوف، وجيل نفسه –الذي كانوا يطلقون عليه اسم (داود). وإزاء نجاحه في المهمة، ضغط ارنان على لسكوف لتشكيل وحدة تضع قدوتها (داود). فوافق، وإن كانت موافقته دون حماس.

تم تشكيل الوحدة، مطلع عام ١٩٥٨، كوحدة صغيرة، بلا موارد، بل لم يكن هناك من يؤمن بأهميتها، سوى حفنة صغيرة من الأشخاص.

اختار ارنان جنود وحدته الصغيرة بعناية بالغة، على غرار ما فعل سترلينج. ومن الجائز أن هذه الوحدة، ما كانت ستنجح، لولا المساعدات التي كان يقدمها لهم نائب قائد المدرعات العقيد ديفيد بن اليعزر. وكان أول من التحق بهذه الوحدة ايلي جيل ، وسامي نحمياس.

تم بناء الوحدة على نفس الأسس التي تم اتباعها في بناء الشعبة القريبة للبلماح. وتم تشكيل نواتها التأسيسية، من خريجي الوحدة (١٥٤) التابعة للاستخبارات والعاملة في مجال تفعيل العملاء. وفي منتصف عام ١٩٥٨، وعلى أرضية الصعوبات التي واجهها ارنان، في تشكيل الوحدة، قرر ضم نواة قدامى الوحدة (١٠١) إليها، رغم أن أولئك الأشخاص، كانوا قد غادروا الجيش وشرعوا في بناء حياتهم خارجه وكان أول الذين تم استدعاؤهم، اسحق جيبلي، الذي اشتهر

لدى سقوطه في أسر الأردنيين عـــام ١٩٥٤، وقيــل لـــه، أنـــه هنـــاك شـــخصا يدعـــى ارنان يفتش عنــــه.

ويقول جيبلي: لقد عرفت ارنان منذ عـــــهد الوحـــدة (١٠١)، وقـــد قـــال لـــي: أريدك وأريد باقي الزملاء، سوف أنشئ وحـــدة شـــبيهة بـــالوحدة (١٠١)، انظـــر مـــن يمكنك أن تجنده من الأصدقاء القدامى، وسأتحدث أنا مـــع مـــائير هارتســـيون.

بدأ جيبلي يجري اتصالاته الهاتفيـــة، فجـــاء إليـــه (كوبـــي يتســـيف)، و(أبشـــه ادموفيتش)، و(مائير هارتسيون). وفي عام ١٩٥٨، الحق بـــالوحدة أيضـــا العديـــد مـــن الأشخاص، ومن ضمنهم (شبتاي شبيط) الـــذي اصبـــح فيمـــا بعـــد رئيســـا للموســـاد و (وابراهام أمون) صديق ايهود منذ الطفولة، والـــذي أوصـــى بـــه.

كان نحمياس قد لجأ إلى تفعيل رجـــال مخـــابرات فـــي الكيبوتســـات لاختيـــار الأشخاص غير العاديين الذين كان يفتـــش عنـــهم لإلحاقـــهم بـــالوحدة. أنـــاس قـــادرين على التسلل إلى أي مكان وتنفيذ المهام والعـــودة بســـلام. وفـــي غرفـــة الطعـــام، فـــي الوحدة، كان قد وضع صـــورة لغـــلاف كتـــاب ســـترلينج "الجـــريء ســـينتصر". كـــان ارنان يحلم بتشكيل وحدة قـــادرة علـــى التســـلل فـــي ســـاعات الليـــل إلـــى المطـــارات العربية وتفجير الطائرات، كما خطط لإقامة مدرســـة للعمـــلاء الســـريين.

أثار ايهود انتبـــاه أرنـــان، واعتـــبره مزيجـــا مـــن مزايـــا الجنـــدي الميدانـــي المتميز القادر على اقتحـــام أي مكـــان وتخطـــي أي عقبـــة، مـــع قـــدرة علـــى عـــزف الموسيقى، وحل معادلات رياضيـــة معقـــدة.

لم يكن ايهود يدري أن القائد نفســـه مـــهتم بـــه شـــخصيا، ويراقـــب انخراطـــه في الوحدة. وقد تم إلحاق ايهود فـــي طـــاقم "بنـــي كوهيـــن" وهـــو ضـــابط يمينـــي ذو مظهر صلب وشـــديد.

كان ايهود أول من اجتاز في طاقمـــه، دورة (متفجـــرات) وحينمـــا عـــاد مـــن الدورة، اعتبر نفسه خبيرا كبيرا، وقد كلفه القائد بـــأن يـــدرب بـــاقي أعضـــاء الطـــاقم. ولم يحب أحد الجنود الأسلوب الذي يعلم به ايهود، فـــأطلق عليـــه اســـم نـــابليون، وهـــو الاسم الذي لم ينجح ايهود في التخلص منه طيلة المرحلة الأولـــى فـــي الوحـــدة.

وفي غضون فترة وجيزة، اصبح ايهود بروج حبيبا لنفس القائد، بل وكان ارنان يعد عمليات خاصة تتناسب مع لقاءات بروج.

وفي أعقاب إثباته لنفسه ميدانيا، تم تجنيده لمهام لا تقل أهمية: إغناء مخازن وقود الوحدة بصورة أساسية، على حساب وحدات أخرى.

بعد وقت قصير من وصوله إلى الوحدة، وجد ايهود نفسه في جولة ملاحية مرهقة جدا في جبال القدس. وقد قام (يجيال امسلم) بقيادة عملية الملاحة، التي استغرقت ليلة ويوما، وبعد أن اجتازوا أربعين كيلومترا ليلا، وجدوا أن النهار شديد الحرارة، وفي مرحلة معينة اكتشفوا انهم اخطأوا في الملاحة، وبدأ قسم من الجنود يشعر بالجفاف، وكاد ايهود -افضل ملاح في المجموعة- أن يغشى عليه ولم يبق لهم سوى (مطرة) ماء واحدة لساعات الطوارئ. وكان اقرب مصدر مياه إليهم في (نئوت هكيكار) على بعد عدة كيلومترات طلب (أمسلم) من (ايهود) أن يقودهم باتجاه نئوت هكيكار، بيد أن ايهود لم يستطع الإمساك بالخارطة وهو نصف مغمى عليه، فأعطوه جرعة ماء، ثم استرد قوته، وشرع بالسير وباقي أعضاء الوحدة وراءه، وبعد نصف ساعة كانوا في نئوت هكيكار.

وفي إطار التدريبات، تم إرسال الطاقم للعيش ثلاثة أسابيع بصحبة البدو في النقب، فقد آمن ارنان، أن الطريق للجندية في وحدته يمر عبر خيام البدو. وقد قالوا لرئيس القبيلة أنهم طلبة من الجامعة، يجرون أبحاثا على نمط حياة البدو. وقد تبنى أحد البدو ويدعى جمعة البسيزي ايهود، وعلمه كيف يركب الجمل، ويقود قافلة جمال في الصحراء. وقد بقيت العلاقة بين ايهود والبدوي العجوز الذي كان أبناؤه يعملون كقصاصي اثر في الجيش، حتى في أعقاب مغادرة الطاقم للخيمة. وقد قال له جمعة فيما بعد: إن القبيلة كلها كانت على علم بأنهم ليسوا طلبة.

وإذا ما استثنينا التدريبات والرحلات هنا وهناك، يمكننا القول أن ارنان كان يشعر بالإحباط الشديد، فقد أدرك، أن الوحدة أصبحت ناضجة للقيام بعمل استخباري كبير، بيد أن القيادة كانت تشك في قدرتها، وفي مطلع عام ١٩٦١

ترك ارنان الوحدة، ولا زال الشعور بخيبة الأمــل يرافقــه، جــراء عــدم ايلائــه الثقــة اللازمة والدعم، من هيئة الأركــان، واجتــاز دورة قيــادة أركــان. وعيــن بــدلا منــه يوسف قسطل الذي كان قائدا لدورية جولانـــي، وعيــن اهــارون اشــل (آرول) -أحــد قادة عمليات الرد الانتقامية على العرب في الوحـــدة (١٠١)، نائبــا لــه.

وفي نهاية عام ١٩٦١ عاد ارنان لقيادة الوحـــدة. وفـــي نفــس الوقــت توجــه ايهود لاجتياز دورة ضباط ســـلاح مشـــاة.

الفصــل الــرابــع

- خارج الحدود -

قاد بنجاح أول مهمة لجمع المعلومات الاستخبارية في هضبة الجولان

كان ايهود بروج أول جندي في تاريخ الوحدة، التي تخرج منها، يقرر الالتحاق بدورة ضباط سلاح المشاة. فقد اعتاد خريجو هذه الوحدة، حتى ذلك الحين، الالتحاق بدورة ضباط شعبة العمليات، التي كانت أقصر وأسهل، ومن ثم بدورة ضباط الاستخبارات. وقد نجح ايهود في إقناع (قسطل) بضرورة وجود بنية تحتية ضباطية حربية متميزة، تجتاز أعلى مراحل التأهيل، إذا أرادت الوحدة أن تصل إلى مستوى تنفيذي رفيع، ويبدو أن رغبته هذه، جاءت انطلاقا من نيته الانخراط مستقبلا في صفوف الجيش الإسرائيلي. وقد استمع (قسطل) إلى كلامه واقتنع به.

في بداية الدورة، شعر ايهود بالنقص أمام شبان آخرين، جاءوا من وحدات ميدانية. إذ لم يسبق له أن التحق بدورة رادار ومصطلحات رئيسية مثل عدو من اليمين، عدو من اليسار، إذا اصطدمت بالعدو -تقدم وهاجم لم تظهر في قاموس الوحدة. كانوا هناك يتحدثون بلغة أخرى، غير تلك التي يتحدثون بها في الجيش الإسرائيلي. ولم يعرف طبيعة الأوامر العسكرية المتبعة في الجيش آنذاك.

يقول ايهود: "فقط، عندما خرجت إلى الميدان، وجدت مكاني. لقد تحدثت هناك خبرتي وتجربتي في مجال التوجيه الملاحي. في إحدى الأمسيات، جلست في غرفتي أراجع حساباتي. لقد بذلت جهدا كبيرا، إلى أن وصلت إلى دورة الضباط.

وتعتبر مهمة الضابط النشيط، اكثر المهام شعبية في دورة الضباط. أي أن يعرف أحدهم كل شيء، ويرتبط كل شيء بالتالي به. في مثل هذه الحال ينبغي عليه أن يقوم بالتوجيه اللازم، وان يصل إلى الهدف. وسرعان ما اكتشفت أن قادة الشعب يتصارعون فيما بينهم، للحصول عليّ كضابط نشط في المناورات. كانوا واثقين من أنهم سيتمكنون، معي فقط، من الوصول إلى الهدف، بأقصر السبل وفي الوقت المناسب".

أثبت ايهود نفسه في الدورة منـــذ اليـوم الأول، إذ أن قدرتـه علـى التوجيـه الملاحي أدهشت المدربين، الذين تخرجوا جميعـا مـن وحـدات مقاتلـة. ولقـد عـرف ايهود كيف يترجم كل ما تعلمه بدقـة ووضــوح.

يقول أحد المستجدين في الـدورة ويدعـى (أوري رانجمـان)- أصبـح فيمـا بعد أستاذا في كلية الحقوق بجامعـة تـل أبيـب، وبعـد ذلـك مؤسـس ومديـر كليـة الحقوق في هرتسليا: "لقد ألقي على عاتق ايهود مهمــة الإعـداد لمنـاورة هجـوم فـي نهاية الدورة. ولا أظن أن أحدا ما أدى مهمة وقـدم ملخصـا دقيقـا لتفاصيلـها، بمثـل هذا النجاح. لقد اخرج جميع المدربين مذكراتـــهم وبـدأوا بتدويـن ملاحظاتـهم. ولقـد كان التنفيذ بمستوى جيــد".

اختير ايهود كأحد المستجدين الستة المتميزين فـي الـدورة. وقـد قـام نـائب رئيس هيئة الأركان العامة آنذاك، اللواء اسحق رابيـن بالكشـف عـن الدرجـات التـي حصل عليها. تبادل معه بعض المجاملات وطلـب منـه معرفـة المنطقـة التـي أتـى منها. وقد اتضح فيما بعد، إن بروج لم يكن وحـده الـذي تذكـر المقابلـة، بـل رابيـن أيضا الذي استمع إلى عبارات المديح والثناء التي كـان قـائد الـدورة يكيلـها لايـهود كانت تلك المقابلة الأولى وعقبتها مقابلات أخـرى عديـدة.

انتهت الدورة في منتصف عام ١٩٦٢، وعـاد ايـهود إلـى الوحـدة ليشـرف على طاقم تنفيذي وبوصفه قـائدا للطـاقم، أعـد خطـة تدريبـات غـير عاديـة أبـداً لجنوده، مسارات حربيـة وغـارات ليليـة لأهـداف مختلفـة، وبفضـل قدرتـه علـى التوجيـه الملاحـي، قـادهم إلـى محـاور خاصـة ومواقـع تاريخيـة فـي تـاريخ الاســـتيطان اليهودي ومناطق في صحراء (يهودا) جنــوب الضفـة الغربيـة. لقـد كان يتمتع بقدرة قيادية فاعلة، وما زال جنوده يتذكــرون حتـى اليـوم، أنـه لـم يكـن يحتاج -تقريبا- إلى خرائط أو بوصلات أثناء عمليـة التوجيـه الملاحـي.

كان اللقاء الأول مع الطاقم في جولة مسافتها ١٢٠ كـم مـن حيفـا إلـى تـل أبيب، ومن هناك إلى معسكر الوحدة ٢٤ سـاعة سـير متواصـل. لقـد كـان اختبـارا

خاصا للمقاتلين الشبان وأول فرصة لقـــائد الطـــاقم كـــي يراهـــم فـــي ظـــروف قاســية تستلزم الشجاعة والقـــوة.

فـــي كـــانون الثـــاني ١٩٦٢، عيـــن اللـــواء مـــائير عـــاميت رئيســـا لشــعبة الاستخبارات العسكرية، خلفا للواء حـــاييم هرتســـوغ. ومقـــابل هرتســـوغ الـــذي أبـــدى تعاطفه إزاء الوحدة، وتشكك في الوقت ذاتـــه بقدرتـــها التنفيذيـــة، كـــان عـــاميت أكـــثر انفتاحا أمام الأفكار التنفيذية التي اقترحها ابراهام ارنـــان وكـــان مســـتعدا لمنـــح دوريـــة هيئة الأركان صلاحيات محدودة لفـــترة قصـــيرة.

أدرك مـــائير عـــاميت أنـــه لـــن يكـــون رجـــل اســـتخبارات جيـــد، دون أن يتعرض للمخاطر. وقد كان مستعدا لمواجهة جميع الأخطـــار، وتقديـــم كـــل مـــا ينبغـــي تقديمه. ولم ينس زملاؤه في الوحدة، موقفـــه هـــذا.

تعززت وتيرة التدريبات في تلك الفترة. وفي إحـــدى الأمســـيات، جمـــع قـــائد الدورية قادة الأطقم فـــي غرفـــة الطعـــام، وقـــد نشـــــرت علـــى الجـــدران خرائـــط الهضبة الســـورية.

كشف ابراهام ارنان النقاب عن العمليـــة الســـرية التـــي كـــانت عبـــارة عـــن اختراق استخباري للمنطقة السورية. وقـــدم للحضـــور قـــائد العمليـــة، المـــلازم ثـــان، ايهود بروج ولا شك في أن هذا القرار أذهل الجميـــع لأنـــهم كـــانوا جميعـــا أقـــدم مـــن ايـــهود.

وبعد سلسلة من التدريبات، والتجـــارب توجـــه الطـــاقم إلـــى الحـــدود كـــانت المهمة، جمع معلومات استخبارية محددة في منطقـــة بـــالمواقع الســـورية. وقبـــل ذلـــك بثمانية أعـــوام، وتحديـــدا فـــي كـــانون أول ١٩٥٤، خرجـــت وحـــدة (جولانـــي) إلـــى المنطقة، ووقعت بأيدي السوريين، كان "بروج" وأفـــراد الطـــاقم علـــى علـــم بمـــا حـــل بهؤلاء الجنود في تلك العملية، وكيف تم وضعهم فـــي الســـجون الســـورية.

يقول أحد أفراد الخلية ويدعـــى (كوتـــي شـــرعافي): "بدأنـــا الصعـــود باتجـــاه المنطقة السورية. اكتشفت أن ايهود يقوم بمهمـــة التوجيـــه دون خارطـــة، مـــن خـــلال ثغرات في حقول الألغام. كان يقـــود المجموعـــة بأمـــان تـــام ربمـــا توقـــف مرتيـــن أو

ثلاثا، ليشخص طبيعة المنطقة، ثم يواصل السير. سرنا مدة خمس ساعات تقريبا، وكان ايهود يسير أمامنا بمفرده لم ينبس ببنت شفة، طوال المسيرة، وكان يكتفي بالإشارة بيده كلما اقتربنا من الهدف اقصد منشأة تابعة للجيش السوري؟؟

بعد ذلك بست وعشرين عاما يتذكر "براك" جيدا، تلك العملية التي حظي بفضلها بالوسام الأول، ويقول: "لم تكن مهمة التوجيه الملاحي سهلة. حسب الخرائط كانت المنطقة مزروعة بالألغام والمواقع السورية، وكان الممر بينها ضيقا. كان ينبغي تحديد المسار بدقة. وبعد بضع ساعات من السير، اكتشفت من خلال المنظار موقع الهدف –زاوية موقع على هامش أحد المعسكرات. سار أفراد الطاقم خلفي باستعداد تام. داسوا على الأشواك والحجارة وافتعلوا ضجة، خشيت أن توقظ الجيش السوري كله، وعندما أصبحت على مسافة ٥٠ مترا من الهدف سمعت صوت شخير انحنيت إلى الأرض، أعطيت الإشارة للرجال بالتوقف، ثم زحفت باتجاه الصوت.

زحف بالقرب مني (ايفي ت)، الذي كان نائبي في العملية، وبعد ذلك قائد وحدة "اجوز"، ومسئولا عن جهاز الاتصال، وكان المشهد الذي رأته أعيننا غريبا. شاهدنا جنديين سوريين مستلقين على بطانية. وقد استغرقوا في النوم حد الشخير بصوت مرتفع. كنت أخشى أن يستيقظا، إن نحن مررنا إلى جانبهما، قررت قطع الاتصال وتطويق الجنود السوريين. لكن أحدهما همس من ورائي: ايهود يقول المسئولون في غرفة العمليات الأمامية إننا استنفذنا الوقت المحدد، وانه ينبغي علينا العودة.

على بعد بضعة كيلومترات من هناك، كان قائد المنطقة الشمالية، ابراهام يافيه، رئيس شعبة الاستخبارات، اللواء مائير عاميت، نائبه أهاريلا ياريف وقائد الوحدة، ابراهام ارنان، يجلسون جميعا في غرفة العلميات الأمامية، التي أقيمت بالقرب من الحدود السورية. أراد يافيه وياريف إنهاء المهمة والعودة حالا. كانا يخشيان ألا تتمكن القوة من اجتياز الحدود، وأن تجد نفسها، في وضح النهار، في منطقة سورية، تغص بالقوات العسكرية.

كنت على مسافة خمسين مترا من أقصى نقطة في الموقع السوري، ومسافة خمسة أمتار من أحد الجنود السوريين النائمين. كنت واثقا من قدرتي على إنهاء المهمة والعودة في الوقت المحدد، فأمرت ايفي بقطع الاتصال.

كاد (ارنان) الذي جلس في الغرفة الحربية الأمامية أن ينفجر غضبا. فها هو الفشل الأول، وهذه هي نهاية الوحدة التي تحتل لديه مكانة عالية. ولقد أثار قطع الاتصال قلق كبار القادة، حتى أن المسؤولين في شعبة العمليات الأمامية، بدأوا مناقشة إمكانية إرسال قوة إنقاذ، وهي الخطة التي قد تشعل كل المنطقة.

بعد ساعة ونصف الساعة من قطع الاتصال، استقبلت منظومة الاتصال الكلمة السرّية التي كانوا جميعا بانتظارها. لقد نفذت القوة المهمة وهي في طريق العودة. ولقد بقيت تفاصيل العملية كغيرها، طي الكتمان حتى اليوم.

كانت سعادة ابراهام ارنان، لا توصف. أسرع إلى قائد العملية ولم يكف عن تطويقه وعناقه. أدرك ايهود أن قائد الوحدة يحاول استجماع قواه، لئلا ينفجر بالبكاء، من شدة الفرح والسعادة. حاول لكنه لم يتمالك نفسه.

بعد انتهاء العملية بوقت قصير، تم استدعاء ايهود إلى مكتب رئيس هيئة الأركان، تسفي تسور. الذي أشاد بقدرته القيادية وشجاعته، وتشبثه بالهدف الذي ينشده. كان وسامه الأول من بين الأوسمة الخمسة، إذ فاق أي ضابط أو مقاتل آخر في الجيش الإسرائيلي.

وفي أعقاب العملية، قال ارنان لقائد سرب المروحيات الأولى في الجيش الإسرائيلي، اوري ياروم: "تذكر هذا الشاب إنه سيصل إلى البعيد. إلى رئاسة هيئة الأركان".

كانت تلك الفترة، بداية عصر (ازدهار) الوحدة فقد اكتسبت الأطقم خبرة عملية واسعة، في نشاطات متنوعة خارج الحدود. ولا شك في أن تلك الإنجازات عززت الشعور بالأمن الذاتي. إذ لم يعد أحد يتحدث عن إمكانية حل الوحدة.

وتعقيبا على العملية قـــال مـــائير عـــاميت لابراهـــام ارنـــان وللضبـــاط: "أنـــا أبارك جهودكم. بعد خمس عمليات ناجحة، أجد نفسي قـــادرا علـــى هضـــم فشـــل مـــا. لكن الامر ليس سهلا. حاولوا إرجاءه قـــدر المســـتطاع".

في ذلك الوقت سرت في الجيش الإســـرائيلي شـــائعات تتحـــدث عـــن وحـــدة سرية، تستطيع الوصول إلى كل مكان. ولم يكن قـــد أطلـــق عليـــها فـــي ذلـــك الوقـــت بعد، اسم "وحدة" بل كان اسمها الرسمي دوريـــة هيئـــة الأركـــان.

تزامن موعد تسريح ايهود مـــع بلـــوغ العمليـــات الميدانيـــة ذروتـــها، بيـــد أن أحدا من دوف تماري أو رئيس شعبة الاستخبارات مـــائير عـــاميت الـــذي خـــدم أيضـــا كرئيس للموساد، لم يكن مستعدا لسماع نبـــأ تســـريحه القريـــب. وقـــد أوضـــح ايـــهود لهم، أنه شخصيا، مستعد لتمديد فترة خدمتـــه، غـــير أن الكيبوتـــس يمـــارس ضغوطـــه عليه ليعود. وهنـــا قـــرر عـــاميت محاولـــة إقنـــاع الجـــهات المســـؤولة، فكتـــب إلـــى سكرتارية الكيبوتس وطلب تمديد فترة خدمة ايهود لكنهم لم يســـارعوا إلـــى الـــرد فقـــد حان الوقت من وجهة نظرهم، كي ينخرط ايهود فـــي مجـــال الزراعـــة.

بيد أن مائير عاميت لم يتنـــازل، وطلـــب المثـــول أمـــام أعضـــاء الكيبوتـــس جرى الاجتماع في غرفة الطعام. لم يكشف عاميت النقـــاب عـــن المهمـــة التـــي يقـــوم بها ايهود، لكنه أوضح للحضور مدى أهميتـــه بالنســـبة للجيش وللوحـــدة التـــي يخـــدم فيها. وفي نهاية الاجتماع، تمت الموافقة على بقاء ايهود فـــي صفـــوف الجيـــش.

في نهاية عام ١٩٦٣، غادر ابراهـــام ارنـــان الوحـــدة، وعيـــن دوف تمـــاري خلفا له كان من الصعب على ايـــهود الانفصـــال عـــن ارنـــان. فبعيـــدا عـــن العلاقـــة الشخصية التي تجمع بينهما، كان ايهود يكن الإعجـــاب والتقديـــر لـــه ولجـــهوده التـــي بذلها من أجل تشـــكيل الوحـــدة. فقـــد بنـــى وحـــدة مـــن لا شـــيء، رغـــم معارضـــة شخصيات رفيعة المستوى في هيئـــة الأركـــان العامـــة. ولـــولاه لمـــا قـــامت الوحـــدة، ولكان ايهود سينهي خدمته العسكرية في الكتيبة التاسعة بســـلاح المشـــاة المؤلـــل.

طوال فترة خدمته العسكرية، لم ينس ايهود فضل ابراهام ارنان، الذي كان يقول عنه، بأنه قد منحه فرصة لا تعوض ليجد مكانه في صفوف الجيش الإسرائيلي.

واصل ابراهام ارنان شغل مناصب رفيعة المستوى في الاستخبارات ومراقبة الوحدة عن بعد. في عام ١٩٧٠ اكتشف أنه يعاني من مرض السرطان. وقد حارب هذا المرض عشر سنوات، رغم أن الأطباء لم يتوقعوا له حياة تزيد عن ستة اشهر، وتوفي عام ١٩٨٠.

استغل دوف تماري الإنجازات التنفيذية الأولى للوحدة، لبلوغ المزيد من المهام الخاصة. ولا شك في أن الفضل يعود له في تثبيت دعائم الوحدة وتأسيس قدرتها وكفاءتها التنفيذية المتميزة.

عمل تماري وفق معايير أخرى، فقد زرع في الجنود روحية الانضباط الشخصي والعملي وقد قيل عنه أنه نجح في نقل الوحدة من عصر البلماح إلى الجيش الإسرائيلي. لكن الوضع بالنسبة له، كان أسهل بكثير، إذ لم يكن تماري مضطرا لإقناع كبار الشخصيات في قيادة الجيش بالقدرة التنفيذية التي يتمتع بها رجاله. وفي تلك الفترة، حظيت الوحدة بالاعتراف، في ظل الإنجازات الكبيرة التي حققها.

وكما كانت الحال بالنسبة لابارهام ارنان، اعترف تماري بالقدرات الفريدة التي يتمتع بها (ايهود بروج) وألقى على عاتقه مهام تفوق ما ألقاه على عاتق قادة أطقم أخرى.

في شباط عام ١٩٦٤ تسلم تماري، الذي كان بطبيعة الحال ضابطا مقاتلا، قيادة الوحدة بشكل رسمي. وقبل ذلك بشهر واحد، عين اسحق رابين رئيسا لهيئة الأركان العامة، وقد رأى في دورية هيئة الأركان، أهم وحدات الجيش الإسرائيلي، وعنصرا أساسيا في خلق قدرة استخبارية.

كان ايهود يشعر بشيء من الدهشة إزاء العلاقة التي قامت بين رابين ودورية هيئة الأركان. فقد كان رابين يحرص على متابعة مناورات

الوحدة، ويحـــاور المقـــاتلين قبـــل أدائـــهم المـــهام الخاصـــة وبعدهـــا، ولقـــد عـــززت الزيارات المتتالية علاقته بالضابط الشـــــــاب (ايـــهود)، الـــذي كـــان يحظـــى بمديـــح قادة الوحدة أمامـــه.

كان ايهود بروج الاسم اللامع فـــي جيـــل القـــادة الجـــدد فـــي دوريـــة هيئـــة الأركان، وقد ظهر إلى جانبه عدد من القادة المؤهليـــن فـــي الجيـــش الإســـرائيلي بينـــهم (نحميا كوهين)، (داني يتوم)، (ابشلوم حوريـــــن)، (جيـــورا زورع) وغـــيرهم.

حدث ذات مرة أن أصيب أحد أفراد الطاقم الذي يقـــوده ايـــهود، بتمـــزق فـــي قدمه، قبيل بدء إحدى رحلات التوجيه الملاحي التي يقوم بـــــها. كـــان مـــن الضـــروري تقسيم الجنود بشكل زوجي، وفي ظل غيـــاب أحـــد أفـــراد الطـــاقم، بـــات لزامـــا علـــى ايهود البحث عن وسيلة لحل المشكلة. فكر في إجـــازة الســـبت، واحضـــر معـــه مـــن الكيبوتس بزة عسكرية، وطلب من أخيـــه "ابينوعـــم" الـــذي كـــان فـــي نهايـــة الصـــف الثاني عشر، وعلى وشك التجند في صفوف الجيش الإســـــرائيلي، الانضمـــام إليـــه فـــي رحلة توجيه ملاحي في منطقـــة النقـــب. لـــم يرفـــض "ابينوعـــم"، بـــل ارتـــدى الـــبزة العسكرية وسار مع الطاقم: كان جميع أفراد الطـــاقم علـــى علـــم بـــالأمر بيـــد أن أحـــدا لم يكشف السر. وبعد انتهاء المهمة، عاد "ابينوعـــم" إلـــى الكيبوتـــس.

وفي عام ١٩٦٣ تجند في الجيش الإســـرائيلي وتطـــوع للخدمـــة فـــي دوريـــة هيئة الأركان. كان ايهود آنذاك نائب قائد الوحدة. حيث وجد نفســـــه، أكـــثر مـــن مـــرة، قائدا أمام شـــقيقه.

ففي إحدى المرات، قام ايـــهود بجولـــة تفتيـــش بيـــن مقـــاتلي الأطقـــم، وقـــد لاحظ أن سبطانة بندقية شقيقه "ابينوعم" ملوثـــة. لـــو كـــان جنـــدي آخـــر مكانـــه، لتـــم سجنه، ابتسم ايهود، وواصل التفتيش. وفي وقت لاحـــق، أمـــر أخـــاه بتنظيـــف ســـلاحه على الفور. ولما سأله "ابينوعم" عن السبب الـــذي منعـــه مـــن ســـجنه، ابتســـم وقـــال، "هل تريد أن تورطني مع أمي؟ ماذا سأقول لها، قمـــت باحتجـــازك فـــي القـــاعدة بســـب وحل في البندقيـــة؟..."

ما زال الأخوان يذكران حتى اليوم، العمليـــة الميدانيـــة الأولـــى التـــي خـــرج إليها "ابينوعم"، ولم يشارك فيها ايهود. لاحـــظ ايـــهود آنـــذاك علامـــات التوتـــر علـــى أخيه، وسأله عما إذا كان يشعر بالخوف. "ابينوعم": نعم، أنا أفكـــر طيلـــة الوقـــت فيمـــا يمكن أن يحدث أن وقعنا في الأســـــر".

ايهود: "ينبغي أن لا تقلـــق. فطـــاقمكم افضـــل مـــن أي وحـــدة فـــي الجيـــوش العربية. وحتى لو اصطدمت بأي قـــوة معاديـــة، انتـــم قـــادرون علـــى التغلـــب عليـــها ابتسم ابينوعم. وعندما عادت القوة، صبيحة اليـــوم التـــالي، أســـرع إلـــى ايـــهود وقـــال له: "لقد صدقت في كل كلمة قلتـــــها".

وقع ايهود علـــى الخدمـــة الدائمـــة حتـــى عـــام ١٩٦٥، وعيـــن قـــائدا لقســـم العمليات الخاصة في الوحدة. وكتقدير لموافقته على البقاء فـــي الوحـــدة، حصـــل علـــى دعوة للالتحاق بدورة كوماندو في فرنسا في قاعدة كومـــاندو فرنســـية تقـــع علـــى قمـــة جبال (البرينية) على حدود إسبانيا كانت تلك، المرة الأولـــى التـــي يعـــبر فيـــها ايـــهود حدود الدولة كمسافر في إحدى رحلات شركة "العال" وليـــس كقـــائد طـــاقم.

الفصل الخامس

ايهود٠٠٠٠٠٠الضابط٠٠٠٠٠التلميذ

نجح في الثانوية٠٠٠التحق بالجامعة٠٠٠وكاد أن يصبح عالم ذرة

تقع قاعدة الكوماندو الفرنسية وسط منظر طبيعي ساحر فوق جبال (البيرينيه) المكللة بالثلوج، كانت تقيم هناك فرقة عسكرية اسمها "مظليو الانقضاض" رقم ١١- وحدة خاصة مشتركة بين الجيش والمخابرات الفرنسية وكان ايهود المستجد، الإسرائيلي الأول، الذي يلتحق بدورة الكوماندو.

شارك في الدورة حوالي ٢٥ ضابطا من قدامى المحاربين في الهند، الصين و الجزائر، تسلقوا الصخور وتدربوا على كيفية البقاء على قيد الحياة، في منقطة يزيد ارتفاع الثلج فيها عن ٣،٥٠٠ متر، ودرسوا نظريات حرب العصابات للجنرال الفيتنامي (جيفارا) وزعيم الصين (ماوتسي تونغ).

بعد سنوات من التوتر، التدريبات والعمليات التي لم يعرف لها مثيل في أي وحدة أخرى، شعر ايهود برغبة في الحصول على إجازة. وللمرة الأولى، منذ وقت طويل، يختلي بنفسه، ليفكر في أمور لم تزعجه قبل ذلك، أو ربما لن تزعجه.

على بعد آلاف الكيلومترات من هناك، في كيبوتس (مشمار - هجفول) - حرس الحدود، كان شقيقه "ابينوعم بروج" يستعد للخدمة العسكرية. وكما هي الحال بالنسبة لشقيقه، الذي فكر قبل أربع سنوات بدورة طيران فقط، عرف "ابينوعم" إلى أين يريد الوصول بالتحديد- إلى دورية هيئة الأركان العامة.

كانت العلاقة بين الشقيقين قوية رغم فارق السنين بينهما ثلاث سنوات. فقد تعلم "ابينوعم" من ايهود أسلوب التوجيه الملاحي، واكتسب الخبرة اللازمة لحفظ الخرائط وتحليل الرموز أيضا.

- رسالة ايهود إلى أخيه -

في إحدى ليالي الشتاء الباردة، وتحديدا في ١٥-٣-١٩٦٣، كتب ايهود الذي كان في الواحدة والعشرين من عمره، رسالة طويلة إلى شقيقه، الذي كان على وشك التجنيد قال فيها: للإنسان منا عمران. عمر زمني يحسب بالسنوات العادية، وعمر سيكولوجي، يحسب من خلال التطورات التي مر بها الإنسان ...، أنت أكبر قليلا من عمرك الزمني، وأكبر مني على الأقل بعامين، عندما

كنت في نهاية الصف الثاني عشر ... سأكيل لك بعـض المديـح، ليـس كشـقيق لـك، بل كشخص يراقب من بعيد ويفكر. أنت تنتمي إلـى صنـف مـن الأشـخاص، الذيـن سيصبحون رجالا من الطراز الأول. وخلافا لما هو مـألوف، لـم أضـع كلمـة رجـال بين قوسين وسأوضح لك سبب ذلك. الذكورة صفـة بيولوجيـة خلفيـة. أمـا الرجولـة فهي صفة جوهرية وأبرز ما يميزها الهدوء، القناعة، القـدرة علـى اتخـاذ القـرارات، شدة الملاحظة، الشجاعة القيم والاستعدادات للكفاح من اجلـها، الجـرأة والقـدرة علـى السباحة ضد التيار، مواجهة المشاكل وعـدم التـهرب منـها...

عدم الرضا الذاتي يعنـي ألا يـأخذك الغـرور والخيـلاء، حتـى لـو رأيـت الرضا عن شخصك في عيون الآخريـن ... لا تندهـش، عندمـا يبـدو لـك انـك لا تحقق كل ما تحدده لنفسـك .. أو عندمـا تجـد بـأنك لا تنجـح فـي الوصـول إلـى القناعة .. أو عندما تشعر بـالخوف .. وعندمـا تظـن بـأنك تتـهرب مـن قـراءة جوانب أنانيتك .. أعـود واكـرر لا تندهـش لان تلـك المشـاعر، هـي ثـروة كـل شخص يحاول بناء شـخصيته بنفسـه ...

إحرص على أن تضع لنفسك أفضل المقـاييس فـي كـل مكـان وعلـى كـل جبهة، لا تقبل أبدا بحلول الوسط، في كل ما يتعلق بتلـك المقـاييس. هنـاك أمـور فـي العالم، تعتبر التسوية جوهرها، وهذا جيد. وهناك أمـور أخـرى تكـون التسـوية فيـها مدمرة. أما بالنسبة للأشياء التي يطلبها المـرء مـن نفسـه، فكـل مـا يبـدأ بالتسـوية ينتهي بالتسـاهل.

لقد اخترت على مدى تلك السنين طريقـا محـددة ... هـذه الطريـق أشـبه بطريق ضيق يصعد إلى قمة جبل، ستجد فـي نهايتـها منظـرا خلابـا ينـال رضـاك ... لكنها من ناحية أخرى طريـق ضيقـة تحفـها المخـاطر مـن طرفيـه ... قـد تنزلق قدمك، وقد يتدحرج حجر من تحت رجليك، فيسـحبك إلـى القـاع. لـذا، اطلـب منك السـير في هـذه الطريـق، رغـم كـل المخـاطر، اسـمع ممـن مـر بالتجربة فهذا أفضـل".

في مطلع عام ١٩٦٥، قرر ايـــهود اســـــتكمال دراســـته والحصـــول علـــى شـــــهادة الدراسة الثانويـــة.

اطلع ايهود قائد الوحـــدة، دوف تمـــاري، علـــى نيتـــه اعـــتزال الخدمـــة فـــي الجيش، وبدء مشوار الدراسة. لكن تماري ضغط عليه من أجـــل البقـــاء، وبعـــد جـــهود مضنية، وافق ايهود على البقـــاء فـــي الجيـــش لعـــام آخـــر، شـــريطة أن تتســـنى لـــه الدراسة في المقابل، ولقد اتفق الاثنان علـــى أن يســـتمر ايـــهود فـــي الإشـــراف علـــى السرية التنفيذية، وإعداد أطقم الخريجيـــن للعمليـــات، وأن يتفـــرغ ليـــلا، وفـــي إجـــازة نهاية الأسبوع للدراسة استعدادا لامتحانات شهادة الثانوية، وقـــد تعـــهد ايـــهود لتمـــاري بتأهيل وريث له في الوحـــــدة، يحتـــل مكانـــه كقـــائد للســـرية التنفيذيـــة، وكـــان هـــذا الوريث، (نحميا كوهين)، الشقيق الأصغر لاليعـــازر كوهيـــن، قـــائد ســـرب الطـــائرات المروحية، الذي قاد طاقم ايهود في عدد من العمليـــات الجويـــة خـــارج الحـــدود. ولقـــد ادهش كوهين، ايهود، بقناعته وهدوئه وأســـلوب قيادتـــه.

خصـــص ايـــهود ســـاعات النـــهار للتدريبـــات والنشـــاطات الميدانيـــة، أمـــا ساعات النوم القليلة، فقد اســـتغلها فـــي الدراســـة، وشـــعر فـــي تلـــك الفـــترة، وللمـــرة الأولى، بالأسف لأنه لم ينه دراسته، بشكل منظم، مثل بقيـــة زملائـــه فـــي المدرســـة.

عرف ايهود، في تلك الفترة، بالضابط التلميذ، ولم يكـــن يغـــادر القـــاعدة فـــي إجازة نهاية الأسبوع، بل يفضل البقاء واستغلال الوقت فـــي الدراســـة ورغـــم ظروفـــه الصعبة، اجتاز ايهود الامتحانـــات بنتـــائج جيـــدة، وقـــد شـــجعه هـــذا النجـــاح، علـــى مواصلة السير قدمـــا، واســـتكمال الدراســـة، حيـــث قـــرر أخـــيرا الالتحـــاق بـــدورة الهندســـة الاليكترونية في معهد الهندســـة التطبيقية (التخنيـــون) فـــي حيفـــا.

كان مئات المرشحين يتنافسون في كل عام علـــى ســـتين مقعـــدا فـــي الكليـــة الاليكترونية في معهد الهندسة التطبيقية، وقـــرر ايـــهود أن يكـــون أحـــد الطلبـــة الذيـــن يتم قبولهم وكي يحقق رغبته، بدأ بدراســـة الفيزيـــاء فـــي مدرســـة (مشـــلاف) فـــي تل أبيب، وقد أنهى الدورة بدرجات عاليـــة، لكـــن قبولـــه فـــي (التخنيـــون) لـــم يكـــن

مضمونا، رغم ذلك. كان ايهود ينظر إلى الامــر بــروح رياضيــة. إن حالفــه الحــظ، فهذا جيد وان فشل فلن تكون كارثة، رغم إن الامــر ســيكون مؤلمــا.

بعد بضعة أسابيع، تلقى ايهود الرســالة التــي طالمــا انتظرهــا. إنــها تحمــل بشرى نجاحه في امتحانات القبــول فــي كليــة الهندســـة الاليكترونيــة فــي معــهد (التخنيون) وكان أسعد يوم في حياته لقد أثبت لنفســـــه أنــه تمكــن مــن الالتحــاق بالكلية التي يصعب على الكثيرين الالتحــاق بــها.

غير أن ايهود لم يكن يرغب بالدراسة فــي معــهد الهندســة التطبيقيــة، وبعــد حصوله على الرسالة المرتقبة فقط، كشــف النقــاب عــن الحــافز الــذي دفعــه للتقــدم للامتحان. لقد كانت الرغبة في النجاح وتحدي كل مــا هــو صعــب.

في اليوم ذاته، بعــث ايــهود برســالة إلــى معــهد الهندســـة التطبيقيــة، أعرب فيها عن شــــكره، وأعلــن رغبتــه فــي التفــرغ لدراســـة الرياضيــات والفيزياء في الجامعـــة.

وبعد اربع سنوات ونصف السنة من الخدمة في دورية هيئــة الأركــان، منــها عامــان في إطار الخدمة النظامية، قرر ايهود اعــتزال الخدمــة. كــان ابراهــام ارنــان، نــائب رئيس شعبة جمع المعلومـــات فــي قســـم الاســـتخبارات، أول مــن ســمع بقراره. ورغم أنه غادر الوحدة، إلا أنــه كــان معنيــا بكــل مــا يحــدث فيــها. ولقــد شــعر ايهود، أن من واجبه إعلام أول قــائد للدوريــة بقــراره.

لم يبد ارنان خيبة أملــه. كــان متــأكدا، فــي ذلــك الوقــت، مــن أن ايــهود يرتكب خطأ لقد توقع له مسارا آخر. لكن ايــهود أوضــح لــه، بأنــه يــرى إســرائيل تسير نحو السلام مع جيرانها، ولن يكون الجيــش مكانــا للشــبان الذيــن يسـعون وراء التحديات في السنوات القريبة القادمة. وما عـــزز موقفــه، وقــف إطــلاق النــار بيــن إسرائيل ومصر في تلك الفــترة، وهــدوء الحــدود الأردنيــة، وباســـتثناء "العــدو" السوري، لم تبد إســـرائيل أنها بانتظار حرب كبيرة فــي الســنوات القريبــة.

لم يكن الكثــيرون فــي تلــك الفــترة، قــد ســمعوا بعــد بمنظمــة التحريــر الفلسطينية التي تأسست قبل ذلــك بوقــت قصــير، وبياســر عرفــات، زعيــم الجنــاح

العسكري للمنظمة. حتى أولئك الذين سمعوا عنـــــها، وبينـــهم ايـــهود، لـــم يـــروا فيـــها خطرا حقيقيا يهدد وجود دولــــة إســــرائيل. وفـــي معــــرض طـــرح توقعاتــــه للســـنوات القادمة أمام ابراهام ارنان قال ايهود: بعد ثلاثـــة عشــر عامــا، ســأرافق ابنـــي للـــتزلج على الثلج في لبنان. آخر شيء ســـــتحتاجه إســــرائيل، جنـــود الجيـــش.

لم يكن اعتزال الوحدة بالأمر السهل قبـــل أن يغـــادر أخـــذ دوف تمـــاري منـــه وعدا بالعودة ودون تردد في أي لحظــــة يطلـــب فيـــها للتدريـــب وللعمليـــات الخاصــــة. لقد قطع وعدا، لكن القرار من وجهة نظره، كـــان نـــهائيا: فقـــد انتـــهى فصـــل الجيـــش في حياة ايهود بـــروج.

في الوقت ذاته، غادر ايهود الكيبوتس أيضا. وفي خطـــــوة غـــير مألوفـــة فـــي الحركة الكيبوتسية آنـــذاك، اتخـــذت إدارة الكيبوتـــس قـــرارا بتحويـــل دراســـة ايـــهود، مقابل تعهده بالعودة بعد استكمالها. لكن ايهود لـــــم يكـــن مســـتعدا. كـــان يبحـــث عـــن الاستقلال التام في قراراتــــه، ورأى فـــي الحيـــاة خـــارج الجيـــش والكيبوتـــس اختبـــارا جديـــدا.

في أيلول ١٩٦٥، بدأ فصل جديـــد فـــي حياتـــه. فقـــد ســــجل كطـــالب فـــي الجامعة العبرية بـــالقدس.

وقبل بدء العام الدراسي اتصــــل بــــه نـــائب قـــائد الوحـــدة، منـــاحيم ديجلـــي، وطلب مقابلته وقد اتفقا على الالتقاء على شاطئ الشـــيراتون بتـــل أبيـــب.

لم يكن ايهود يعلم السبب الحقيقي لهذا اللقــــاء. لكنـــه علـــم فيمـــا بعـــد، بـــأن ابراهام ارنان، اتصل بديجلي، وطلب منــــه التـــأثير علـــى ايـــهود ليعـــدل عـــن قـــراره بشأن مغادرة الجيش والوحــــدة.

لم ينس ارنان، ولم يغفر لايهود موقفه بشـــأن اعـــتزال الجيـــش، فقـــد غضـــب غضبا شديدا، ورفض أي علاقة مع ايهود بعـــد قـــراره. ورغـــم ذلـــك، كـــان يحـــرص على إرسال كل من يراه مناسبا في الوحدة، ليقنعــــه بـــالعدول عـــن قـــراره. لقـــد كـــان يرى فيه صورة العسكري الحكيم الذكي، الذي يســـتطيع الوصـــول مـــع بضعـــة جنـــود إلى أي هدف، والذي يستطيع بدهائه إنجاز المهمـــة والعـــودة بنجـــاح.

بيد أن ايهود كان مصمما على موقفه، لم يكن واثقا أن الجيش الإسرائيلي في تلك الأيام، سيبقى بؤرة تستقطب الشبان. لقد شعر بأن هذا هو الوقت المناسب لاتخاذ القرارات المهمة، مغادرة الكيبوتس والجيش والبدء بمهمة جديدة ومواجهة تحديات جديدة.

لم يكن قرار ايهود بشأن دراسة الرياضيات والفيزياء، سوى نوع آخر من التحدي، فقد استوضح قبل ذلك، طبيعة التخصصات التي تدرس في الجامعة العبرية وسأل عن أصعب تلك التخصصات فعلم أنها الرياضيات، والفيزياء.

ومثلما حدث في المرة الأولى، أراد ايهود أن يثبت قدراته مجددا. بدأ العام الدراسي في تشرين أول ١٩٦٥ لكن يصعب القول بأن ايهود التزم بنظام ودوام الجامعة. فقد تغيب عن أغلب المحاضرات واضطر للاكتفاء بكراسات وملخصات أعدها زملاؤه الطلبة، وعلى وجه الخصوص،" تهيلا ساديه"، التي خدمت بعد سنوات طويلة، عندما أصبح رئيسا لشعبة التخطيط في هيئة الأركان العامة، كضابطة في شعبة البحوث التنفيذية.

كان سبب غياب ايهود المتكرر عن المحاضرات، اضطراره للعمل في مكتب للتحريات الخاصة بالقدس، أسسه أحد قدامى الوحدة، بعد تسريحه ويدعى موشيه كوكلا. لم يكن ينوي أن يصبح محققا خاصا أو مفتشا، لكنه كان بحاجة إلى الراتب الذي يتقاضاه من مكتب التحقيقات، إضافة إلى المبالغ الصغيرة التي كان يتقاضاها عن عمله ككاتب في مكتب محلي للدعاية بالقدس.

وقد اضطر لسحب كل ما ادخره في فترة الخدمة الدائمة، لدفع أقساط التعليم. وكان يرفض طيلة هذه الفترة، التوجهات المتكررة من الكيبوتس، الذي اقترح دفع أقساط الدراسة، شريطة التزامه بالعودة إلى الكيبوتس بعد استكمالها.

غير أنه كان هناك سبب آخر، لغيابه المتكرر عن المحاضرات، وهو الخروج في عمليات ومهام ميدانية. كان هذا اتفاقا غير مكتوب، مع "دوف تماري"، قائد الوحدة، يقضي بتواجد ايهود في الوحدة عند الحاجة إليه.

في العام الدراسي الأول في الجامعة، سجلت لــه خمســة أشــهر فــي الخدمــة الاحتياطية، وقد اعتاد الجيش دفع مســتحقاته كــل ٦٠ يومــا، علــى أنــه جنــدي فــي الخدمة الدائمة، كان يدفع منها أجــرة الشــقة.

كانوا في الجامعة يدركون بأن ايهود يقسم وقتــه بيــن قاعــات المحــاضرات، وقاعدة الوحدة وقد حضر إلى الجامعة أكثر من مــرة باللبــاس العســكري.

في عام ١٩٦٨، عندما عاد إلى الجامعة، بعــد مشــاركته فــي عمليــة الكرامــة، كــان ايهود مصدر فخر واعتزاز لأســـاتذته.

لم يستحوذ نمط الحياة الصاخبة في الجامعة على اهتمـــام ايــهود كــانت تلــك أيام الانقسام الكبير فــي حــزب عمــال إســرائيل. وقــد ســارع الكثــير مــن الطلبــة للانضمام إلى حزب (رافي) الجديد، الـــذي شــكله (دافيــد بيــن غوريــون)، (موشــيه ديان)، و(شمعون بيرس). تعرف ايهود إلــى عــدد مــن الطلبــة النشــطاء، فــي تلــك الفترة بينهم (موتي شـــورير)، رئيــس شــعبة الطلبــة فــي حــزب (رافــي)، (دافيــد كولتيس)، (يجيئيل جوتمان)، (ايفــي برودوغــو)، (حــاييم بــار اون) وغــيرهم، لكــن السياسة كانت ما تزال غريبة عليـــه.

لم يكن ايهود يتوجه إلـــى مطعــم الجامعـــة (الكافيتيريـــا) إلا لتنـــاول الطعـــام فقط، وفي الفترة الفاصلة بيـــن المحـــاضرة والأخـــرى. كـــان يتسم برجاحـــة العقـــل والاتزان، لدرجة انه يبدو اكبر من معظم طلبة الجامعـــة بعـــامين أو ثلاثـــة، لـــم يـــتردد كثيرا على دور السينما، لكنه لم يكـــن يتنـــازل عـــن حضـــور الحفـــلات الموســـيقية، لا سيما سماع الأوركسترا السمفونية للقدس، التي تبـــاع تذاكـــر حفلاتـــها للطلبـــة بأســـعار مخفضـــة.

كان (ايهود) يخرج في بعض الاحيان ليلا، للســـير قليـــلا والتفكـــير بمســـتقبله بعد الدراســـــــة، وكان يرى بـــان أفضـــل المســـــارات، العمـــل كفيزيـــائي فـــي معهد وايزمـــان.

وقبل اندلاع حـــرب حزيـــران عـــام ١٩٦٧، رفـــع إلـــى رتبـــة مـــلازم أول، تقديرا لتنفيذه الفريد لعملية ميدانيـــــة.

في أيار ١٩٦٧، وخلافـــا للتوقعـــات الأمنيـــة والتقديـــرات السياســـية، أغلـــق الرئيس المصري جمال عبد الناصر مضائق تـــيران، ودفـــع بقـــوات عســـكرية كبـــيرة إلى شبه جزيرة سيناء. كان ذلك خرقا واضحا لاتفاق وقـــف النـــار الـــذي تـــم التوصـــل إليه في أعقاب الاعتداء الثلاثـــي عـــام ١٩٥٦.

لم ينتظر ايهود الأمر، وتوجه إلـــى القـــاعدة قبـــل أن يتـــم اســـتدعاؤه. كـــانت تلك المرة الأولى في حياته، التي يكلف فيها بقيادة طـــاقم يضـــم قدامـــى دوريـــة هيئـــة الأركان، وجميعهم جنود في الاحتيـــاط.

أفردت هيئة الأركان العامة لدورية هيئة الأركـــان، مـــهام كومـــاندو مهمـــة – غارات جوية على المطارات المصريـــة فـــي ســـيناء وكلـــف طـــاقم ايـــهود بمهاجمـــة المطار العسكري المصري في جبـــل لبنـــي فـــي ســـيناء، وقصـــف الطـــائرات علـــى مدرج المطار وفي مرابضها ويمكن القول، إن مـــــهام دوريـــة هيئـــة الأركـــان، نفـــذت بنجاح وتمكن سلاح الجو الإسرائيلي، بعد ثلاث ســـاعات مـــن نشـــوب الحـــرب، مـــن تصفية سلاح الجو المصـــــري.

تقرر ضم طاقم ايهود بـــروج كوحـــدة اســـتطلاع إلـــى فرقـــة رقـــم ٧ بقيـــادة اللواء (يسرائيل طل)، والتي عملت في القطـــاع الشـــمالي لســـيناء وفـــي قطـــاع غـــزة. وقد وجدت القوة الرئيسة في دورية هيئة الأركـــان، نفســـها فـــي ســـباق مجنـــون مـــع الحرب . فقد كان يسبقها سلاح الجو أو ســـلاح المدرعـــات إلـــى كـــل مكـــان توشـــك على العمل فيه. وأخيرا، تم تكليف دورية هيئـــة الأركـــان، بـــاحتلال منطقـــة شـــــرم الشـــيخ، لكن سبقتها إلى هناك إحدى وحـــدات ســـلاح البحريـــة.

عبر ايهود سيناء مع فرقة المدرعات الذي يقودها (طـــل)، وقـــد شـــارك فـــي معركة ليلية كبيرة ضد لواء مدرعـــات مصـــري.

وفي اليوم الخامس للحرب، كلفت قـــوة ايـــهود بمهمـــة أخـــرى فـــي هضبـــة الجولان. وبعد أن انـــهيت المهمـــة، اكتشـــف ايـــهود فـــي إحـــدى القواعـــد الســـورية الكبيرة، وجود سيارة "مرســـيدس" جديـــدة. اســـتخدمها أحـــد الجـــنرالات فـــي الجيـــش السوري، وقد قرر أخذها فكسر الباب وتمكن من النزول بـــــها مـــن الهضبـــة الســـورية

إلى كيبوتس (تل كتسير) الواقع على الشاطئ الجنوبي الشرقي لبحيرة طبريا ومن هناك إلى تل أبيب.

وفي ساعات الصيف المتأخرة، سافر "بالمرسيدس" إلى (جفقايم) وأوقفها كهدية، بالقرب من منزل مناحيم ديجلي.

أنهى ايهود بامتياز امتحانات نهاية العام في الجامعة، والتي أرجئت بسبب الحرب، وقد كان بمقدوره لوا أراد التقدم لرسالة الدكتوراه في علوم محددة.

وفي إحدى الأيام قرأ بيانا على لوحة إعلانات الكلية. لقد تم قبوله مع طالبين آخرين للعمل في معهد وايزمان كمساعد باحث في مشروع معهد أوروبي لأبحاث جزئيات الذرة، كان يثق انه يستطيع تقديم الكثير في هذا المجال، وأن يصبح بنفسه عالم ذرة، بيد أن الواقع كان مخيبا للآمال، فقد وجد الطلبة الثلاثة أنفسهم منشغلين بتسجيل عمل الباحثين وتحليل صور لجزيئات الذرة.

في ذلك الصيف، درس ايهود عن الذرة، أكثر مما درسه في الجامعة، خلال العامين الماضيين. واكتشف أن حدوث انطلاقة في البحوث أمر نادر. ونتاج سنوات حافلة بالعمل المكثف في المختبرات. وقليل من الإنجازات مقابل الكثير من العمل المضني، لم يتواءم مع طابعه الإبداعي، ورغبته في الوصول بعيدا وسريعا في الوقت ذاته، وفي نهاية الإجازة الصيفية أدرك انه لن يصبح عالما.

كان ايهود يحب أن يتنزه في إجازات نهاية الأسبوع، في القدس الشرقية والمناطق المحتلة. وقد اقترح عليه مناحيم ديجلي، وسامي نحمياس، الانضمام اليهما واستغلال الفرصة التي لاحت في أعقاب حرب حزيران لشراء قطعة أرض في القدس الشرقية. كانت الفكرة فكرة ديجلي، وكان لسامي نحمياس علاقات مع دائرة الأراضي. بيد أن ايهود اعلمهما بعدم موافقته، مبديا في الوقت ذاته استعداده لشراء قطعة ارض في القدس الشرقية، شريطة أن تكون من أملاك الغائبين. لا ملكا خاصا لسكان عرب.

في إحدى النزهات، وصل ايـــهود مـــع ديجلـــي ونحميـــاس إلـــى حـــي أبـــو طور. وعلى إحدى التـــلال هنـــاك وأمـــام منظـــر طبيعـــي ســـاحر للقـــدس الشـــرقية ومشارف صحراء (يهودا) -جنوب الضفة الغربية، قـــال ايـــهود: "أننـــا نعيـــش مرحلـــة تحول. مرحلة انتقال من دولة صغيرة إلى دولـــة كبـــيرة لا ادري كـــم سيســـتمر ذلـــك، لكنني أثق بان المناطق ستكون أشبه بوديعة مؤقتـــة إلـــى أن يســـلم العـــرب بضـــرورة الاعتراف بنا وصنع السلام على أية حال، ســـتكون قصـــة الضفـــة الغربيـــة الجـــولان وسيناء جزءا لا يتجزأ من حياتنا هنا، والى أمـــد غـــير معـــروف".

-ديجلي: "ايهود، وماذا ستفعل غدا، عندما يتقدم العمـــر بنـــا؟

-ايهود: "أريد الوصول إلى موقع أستطيع مـــن خلالـــه لعـــب دور مؤثـــر وفـــاعل فـــي الحياة وفي المجتمع الذي أعيش فيه. موقـــع يؤهلنـــي للعـــب دور مؤثـــر علـــى صعيـــد المسيرات في الدولة، وربما فـــي المنطقـــة"

وكما اعتاد دائما، اســـتغل ديجلـــي الفرصـــة، للضغـــط علـــى ايـــهود بشـــأن العودة إلى الوحدة. وللمرة الأولى منذ أن غادر دوريـــة هيئـــة الأركـــان وتســـرح مـــن الجيش، لم يرفض ايهود الفكرة تماما. فـــالواقع فـــي إســـرائيل قـــد تغـــير. ومـــا كـــان صحيحا قبل عامين، لم يعد كذلك بعـــد الحـــرب. وتوقعـــات الـــهدوء الأمنـــي بالنســـبة لإسرائيل لفترة طويلة، تلاشت. وقد بدأت على طـــول قنـــاة الســـويس حـــوادث إطـــلاق النار الأولى بيـــن الجيشـــين المصـــري والإســـرائيلي. فـــرأى أن فكـــرة العـــودة إلـــى الجيش وتحقيق طموحاته من خلاله، لم تعد مســـتبعدة. وعليـــه، كـــان قـــراره النـــهائي بالعودة إلى دورية الأركان في العشـــرين مـــن تشـــرين أول ١٩٦٧.

وفي صبيحة اليـــوم التـــالي، اتصـــل ايـــهود بديجلـــي وطلـــب منـــه اطـــلاع ابراهام ارنان على الأمـــر.

جرى اللقاء مع ارنان بعد بضعة أيام، ولم يكن ليخفي مظـــاهر فرحتـــه بعـــودة ايـــهود لقد كان الأمر بالنسبة له، بمثابة انتصار. وها هو الابن المفقود قـــد عـــاد إلـــى منزلـــه.

كان لايهود طلب واحد فقط: إنهاء الدراسة. وقد وافق ارنان على الفور. جند ايهود مجددا وحصل على إجازة دراسة مقابل توقيعه على نظام الخدمة الدائمة. وكان لأرنان شرط وهو: استدعاء ايهود من الجامعة، وقت الحاجة إليه.

أنهى ايهود عامه الدراسي الأخير في الجامعة في تموز ١٩٦٨، في ذلك الحين، التقى ثانية بداني يتوم، الذي كان في عامه الدراسي الأول وتخصص في دراسة الفيزياء والرياضيات، وقد سلمه ايهود كل كراساته وملخصاته.

في أحد أيام عام ١٩٦٧ جلس ايهود في مكتبة الجامعة، وبدأ في حل معادلات في الرياضيات. كانت تجلس قبالته، طالبة تدعى (نافا) كوهين. كان يعرفها منذ أن كان في الوحدة، وكانت هي رقيبا في الاستخبارات. كانت معرفة سطحية من الماضي البعيد وبعد تسريحها بدأت بدراسة الأدب الإنجليزي والأدب العربي في الجامعة. قرر ايهود تجديد التعاون بينهما، وكان له ما أراد، وشاءت الأقدار لهذه العلاقة أن تتوطد وتصل إلى حد طلب الزواج. وقد وافقت (نافا) بيد أنها طلبت إرجاء عقد القران إلى أن تنهي دراستها.

كانت اجمل السنوات في حياة ايهود فقد عاش فيها قصة حب خيالية. حدد حفل الزفاف في الخامس والعشرين من آذار ١٩٦٩، في فندق (جيناتون) أفخم فنادق طبريا آنذاك.

وبعد الزواج، قاما باستئجار شقة، وعاد ايهود إلى الجيش فيما واصلت (نافا) دراستها. وسرعان ما أدركت (نافا)، أن الزواج من عسكري في الخدمة الدائمة، وعلى وجه الخصوص من نائب قائد دورية هيئة الأركان يعني أياما طويلة من الوحدة والترقب كانت تنتظره طيلة الأسبوع وفي بعض الأحيان، لم يكن يتمكن من العودة إلى منزله.

كان العام الأول لزواجهما، بمثابة أساس للسنوات القادمة، فقد كان ايهود يعود إلى البيت وقد أنهكه التعب، لا سيما وأن تلك الفترة، كانت حافلة بالعمليات الخاصة خارج الحدود. لم يحدثها عن تلك العمليات، كي لا يثير قلقها لكنه كان يشعر بضيقها وحزنها إزاء غيابه الطويل.

في عام ١٩٧١، ولدت ابنته البكـــر وقــرر تســميتها (ميخــال) كــان آنــذاك قائدا للوحدة، وقد سعى جاهدا للعودة إلى المنزل فـــي أوقــات متقاربــة.

الفصل السادس

ايهود قائداً لدورية الأركان

أصبح قرار الطالب الشاب العودة إلى الوحدة حديث الساعة في هيئة الأركان، وقد أثنى رئيس شعبة الاستخبارات، اللواء (أهارون ياريف)، على هذا القرار، بل وأعلم وزير الدفاع(موشيه ديان)ورئيس الأركان (اسحق رابين) بهذا القرار.

كان ديان، آنذاك، مشغولا بحرب الاستنزاف التي نشبت على قناة السويس مع المصريين، واعتبر عودة ايهود بمثابة إلماحة إيجابية للضباط الشبان الآخرين لاختيار العمل العسكري.

وقد اتفق ايلي زعيرا رئيس شعبة جمع المعلومات في شعبة الاستخبارات، مع ايهود على أن يتم تعيينه نائبا لقائد الوحدة، ويرفع بحيث يحتل المكانة الثالثة في قيادتها بعد (عوزي يائيري)، قائد الوحدة، و(مناحم ديجلي) الذي عاد هو الآخر قبل ذلك.

اعتقد ايهود أن تقدمه في الجيش يتطلب منه الانخراط في لواء المدرعات، ورغم ذلك، كان يضع نصب عينيه مهمة بعيدة المدى وهي العودة إلى وحدة هيئة الأركان هذه المرة كرئيس لها.

وكي يهدئ من مخاوف (ايلي زعيرا) و(عوزي يائيري) اللذين خشيا أن يفقداه بانضمامه إلى لواء المدرعات التي قد تستهويه، تعهد ايهود بالعودة إلى الوحدة. حتى لو حصل على عروض مغرية جدا من لواء المدرعات.

بدا ايهود شديد التأثر من دورة المدرعات التي يخوضها، فقد خلبت لبه قدرة المدرعات وهي تندفع في الهجوم، وخيل إليه، أنه لا يوجد هناك ما يستطيع وقف تقدمها.

كان (اسحق بن شوهم) قائد دورة المدرعات التي اجتازها ايهود، وهو ضابط محترف، أثار إعجاب ايهود إلى حد كبير جدا بمعرفته وخبرته الطويلة. بيد أن شوهم سقط في اليوم الأول لحرب عام ١٩٧٣، وهو يقود المدرعات في المعارك التي دارت في الجولان، إبان محاولته صد الهجمات السورية على مركز الهضبة، ببقايا مدرعات اللواء (١٨٨) التي بقيت لديه. أنهى ايهود دورة

المدرعات التي اجتازها بتفوق، بيد أنه غادر لواء المدرعات بشعور أنه لا زال بحاجة إلى معرفة المزيد، وقال لشوهم، وهو يغادره : سأعود إلى لواء المدرعات فيما بعد.

بعد ستة أشهر من حرب عام ١٩٦٧ أنهى رئيس الأركان (اسحق رابين) مهمته، وسرح من الجيش، وعين اللواء (حاييم بارليف) رئيسا للأركان بدلا منه: بيد أن أعضاء وحدة هيئة الأركان، لم يكونوا مسرورين بهذا التعيين، فقد كان رابين يحظى بتأييد كبير جدا في أوساط الدورية. فيما كان بارليف في نظرهم، لا يهتم الا بالمدرعات، ولا يعرف الكثير على صعيد عمليات الكوماندو. أضف إلى ذلك أنه كان من الصعب جدا أخذ موافقته على القيام بعمليات خاصة.

كان العزاء الوحيد لأعضاء الوحدة، يتمثل في تعيين (ديفيد اليعازر) رئيسا لشعبة هيئة الأركان، والذي كان صديقا شخصيا لأرنان، وفتح مخازن قيادة القطاع الشمالي أمام الوحدة. ومن الجدير بالذكر، أن غالبية العمليات العسكرية التي نفذتها وحدة هيئة الأركان، كانت في الشمال.

قرر ضباط وحدة هيئة الأركان، جس نبض رئيس الأركان الجديد، فقدموا إليه سلسلة من الاقتراحات للقيام بعلميات خاصة، كان بعضها خياليا ومستحيل التنفيذ، فقط لإرغامه على دراستها والتعامل معها.

وإبان حرب الاستنزاف، بادر ايهود إلى طرح فكرة القيام بعملية خاصة. وقام رئيس الأركان بعقد اجتماع خاص حضره نائب رئيس الأركان بن اليعيزر، وقائد دورية هيئة الأركان مناحم ديجلي، وايهود الذي قدم خطته.

فكر بار ليفي مليا، ثم قال لايهود: هل أنت واثق من أن بمقدورك عمل ذلك؟؟

*ايهود: إذا ما حصلنا على أذن بذلك فسوف ننفذ العملية، نحن ملتزمون بذلك.

*بارليف: يبدو أن إمكانية التنفيذ ضعيفة.

ألقى ايهود نظرة خاطفة نحو ديجلي، وتبادل الاثنان النظرات، ثم نظرا باتجاه بن اليعيزر نظرة يائسة.

قدم بارليف إلى بن اليعيزر ورقة كتب عليها ملاحظة. فاستنتج ايهود، انه يطلب مشورته، فابتسم بن اليعيزر وقال: أنا اعرف هؤلاء الزملاء، وإذا قالوا: انهم قادرون على التنفيذ فسوف يفعلون ذلك. فهز بارليف رأسه في إشارة إلى الموافقة على العملية، التي منحت اسم أحد كبار العسكريين في التاريخ.

كان هناك اتفاق غير مكتوب بين ايهود وعوزي يائيري، قائد الوحدة، ينص على أن يقوم يائيري باستدعاء بروج، في حالة تولي الوحدة مهمة خاصة. وفي الحادي والعشرين من آذار ١٩٦٨ استدعاه.

-عملية الكرامة-

كانت إحدى الحافلات الإسرائيلية التي تقل طلابا من منطقة تل أبيب قد اصطدمت بلغم في منطقة وادي عربة قبل ذلك بثلاثة أيام، مما حدا بإسرائيل للتفكير في ضرورة الرد عليها، وقد اختارت بلدة الكرامة الأردنية الواقعة في الشرق كهدف للرد، نظرا لتحولها إلى قاعدة عسكرية أمامية لحركة فتح، وقد عين رئيس الأركان، العميد شموئيل جونان، قائدا للعملية في حين قاد العقيد رفائيل ايتان رئيس سلاح المظلات وحدات المظليين وسلاح المشاة المشاركة في العملية. أما دورية هيئة الأركان، فلم يتم تخصيص دور مركزي لها، بل تم إعلامها على أساس أنها وحدة من وحدات الطوارئ.

خصصت لدورية المظليين بقيادة النقيب (متان فلنائي)، مهمة إلقاء القبض على أبو عمار قائد حركة فتح، والذي كانت هناك تأكيدات على وجوده في البلدة. وقد وجهت وحدة المظليين انتقادات إلى تخطيط العملية الكلي. وقد أشار أحد صغار الضباط ويدعى (موكي تسور)، إلى أن العملية تحمل بذور الفشل، بيد أن أحدا لم يصغ إليه، ولم يصدق أن الجيش الأردني، الذي مني بهزيمة قبل تسعة اشهر فقط، والقلة القليلة من مقاتلي فتح قادرون على تحدي الوحدات المدرعة والمظليين الإسرائيليين المهاجمين.

لقد كانت عملية الكرامة إحدى العمليات التي منيت بفشل ذريع في تاريخ الجيش الإسرائيلي. كانت التقديرات تشير إلى أن الجيش الأردني لن يتدخل في العمليات، إلا أن ما جرى عكس ذلك، فقد أمر الملك قواته المدرعة، والمدفعية بالتمركز فوق التلال المسيطرة على البلدة، وتوجيه نيرانها إلى المدرعات والدبابات الإسرائيلية المتجهة إليها وكانت الإصابات شديدة جدا.

وكأن هذه الإصابات الشديدة لم تكن كافية، فقد تعرقلت خطة إلقاء القبض على عرفات، إذ وصل فلنائي وقوته إلى مكان الكمين متأخرين عن الموعد المحدد، بسبب الأحوال الجوية العاصفة، التي عرقلت مسيرة طائرات الهليوكبتر.

قامت طائرات الهليوكبتر بإلقاء منشورات تدعو الفدائيين للاستسلام، بيد أن مقاتلي فتح أدركوا ما يبيته الجيش الإسرائيلي، وفروا من المكان بسرعة، وبينهم أبو عمار الذي فر على دراجة نارية وهو يرتدي ملابس امرأة.

لم يصدق مقاتلو دورية المظليين ماتراه أعينهم- وكان بين المقاتلين مقاتل شاب يدعى (بنيامين نتنياهو)، يعمل في وحدة (عميرام لافين)- فقد شاهدوا المدرعات الإسرائيلية وهي تشتعل بالنيران الواحدة اثر الأخرى. وكانت الوحدات المهاجمة تفيد في تقاريرها عبر أجهزة الإرسال، أن هناك إصابات كثيرة. وفي ساعات المساء اتضح أن هناك عددا كبيرا من المدرعات مصابة، وعددا من الجنود مفقودون.

طلب قائد الدورية السماح للقوة بدخول الكرامة لتخليص جنود المدرعات المصابة، وألقيت المهمة على ايهود، بيد أن رئيس الأركان، لم يصادق على العملية.

لقد استقى ايهود بروج، العديد من العبر من الفشل الذريع الذي منيت به عملية الكرامة، ومن ضمنها ما يتعلق بالاعتداد الكبير بالنفس، والجمود الفكري القائل انه لا يوجد في المنطقة من هو قادر على وقف اندفاع القوات الإسرائيلية

وقد عمد إلى إدراج هذه العبر، مع العبر التي استقاها من التخطيط الخاطئ للعملية في العمليات التي نفذها فيما بعد.

وفي الوقت الذي كان فيه ايهود عاكفا على إنهاء دراسته الجامعية، انفتحت صفحة جديدة على صعيد (الإرهاب). ففي الثالث والعشرين من تموز ١٩٦٨، اختطفت طائرة العال إبان توجهها من روما إلى تل أبيب. إذ قام خمسة مسلحين باقتحام (كابينة) الطيار، وأصابوا الطيار الأول (معوزبورات) بجراح وأرغموا ربان الطائرة عوديد ابربنئيل)، على تغيير مسار الطائرة وبعد حوالي ساعتين حطت في الجزائر.

لم تكن إسرائيل على استعداد لمواجهة الإرهاب الجوي، وقد تمكن المسلحون من تحديد نقطة الضعف الإسرائيلية: طائرات العال التي تعتبر بمثابة الصلة الجوية بين إسرائيل والعالم.

وفي السادس والعشرين من كانون الأول ١٩٦٨، هوجمت طائرة العال في مطار اثينا مما أدى إلى مقتل مسافر، وإصابة مضيفة بجراح، وقد انطلق المهاجمون من مطار بيروت. مما حدا برئيسة الوزراء غولدا مائير للمصادقة على القيام بعملية انتقامية تتمثل في تدمير طائرات شركة الطيران اللبنانية في مطار بيروت، وقالت: إذا كانت طائرات العال ستجد صعوبة في الطيران، يجب أيضا أن تواجه شركات الطيران العربية نفس الأزمة".

كلف العميد رفائيل ايتان قائد سلاح المظليين والمشاة بقيادة العملية. وقد جعل رفائيل قوة المظليين القوة الرئيسية، كما حصلت دورية هيئة الأركان على مهمتين لتنفيذها في مطار بيروت، وكلف عوزي يائيري، ومناحم ديجلي بقيادة الدورية.

جرى تنفيذ العملية وفقا لما خطط له، فوصلت القوات في الثامن والعشرين من كانون الأول في طائرات هليوكبتر إلى المطار، وسيطرت عليه، وفجرت الأربع عشرة طائرة، التي كانت جاثمة على مدارجه، بعد أن تأكد الجنود

أنها جميعا تعود لشركات طيران عربية. وقد اتضـــح فيمـــا بعـــد أن إحـــدى الطـــائرات تعود للشركة الغانية. وعادت القوة إلـــى إســـرائيل دون أي إصابـــات.

وفي صبيحة اليوم التالي فتح ايهود الراديـــو وســـمع النبـــأ لاول مـــرة، فشـــعر بالغضب يغلي في عروقه اكثر من أي مرة فـــي حياتـــه.

وبعد عدة ساعات، كان يقف في مكتب قـــائد الدوريـــة، ووجـــه إليـــه كلمـــات شديدة للغاية على خيانته للثقة، لعدم استدعائه للمشاركة في المهمـــة. وقـــد أوضـــح لـــه يائيري أن المهمة التي تولتها الدورية، كانت محدودة للغايـــة، ولـــم يكـــن لديـــه مكـــان لضابط آخر. بيد أن ايهود لم يقتنع وقاطع يـــائيري لســـنة كاملـــة.

بعد ستة اشهر من العملية، أنهى ايهود دراسته، وعاد إلى الوحـــدة نائبـــا للقـــائد.

كانت حرب الاستنزاف فـــي اوجـــها، وكـــان المصريـــون يشـــنون هجمـــات يومية على طول قناة الســـويـــس، ويحـــرزون انتصـــارات، بـــل وتمكنـــوا مـــن اسـر جنود إســـرائيليين.

قررت القيادة إرسال دورية هيئة الأركان للعمل علـــى الجـــانب الغربـــي مـــن القناة، وأوكلت المهمة إلى ايهود بروج، والمتمثلة فـــي العمـــل علـــى اختطـــاف ضبـــاط وجنود مصريين، بغية إرغام المصريين علـــى تبـــادل الأســـرى.

اجتاز أعضاء الوحدة القنـــاة إلـــى الجـــانب الغربـــي فـــي قـــوارب مطاطيـــة، ونصبوا كمينا. وفجأة أخذت سيارة عسكرية مصريـــة تقـــترب منـــه ببـــطء وقـــد قتـــل سائقها من صلية النـــيران الأول، بيـــد أن الســـيارة واصلـــت تقدمـــها بحكـــم الاندفـــاع لثلاثين مترا، وتمكن جندي آخر كان بجوار الســـائق مـــن القفـــز إلـــى إحـــدى القنـــوات والإفلات. وهكذا عادت القوة إلى الضفة الشرقية وهي تحمـــل شـــعورا ثقيـــلا بالفشـــل. وقد أدى هذا الفشل إلى قيام العميـــد (رفـــائيل ايتـــان)، بتوجيـــه انتقـــادات شـــديدة إلـــى العملية، والمطالبة بإيكال جميـــع عمليـــات الكومـــاندو إليـــه، بوصفـــه قـــائدا للمظليـــين وسلاح المشاة. وقال أن القوة أخطأت بإطلاق النار علـــى مســـتوى مرتفـــع، بـــدلا مـــن إطلاقها على مستوى منخفض، إضافة إلى استخدامها لعيـــارات ناريـــة احتراقيـــة.

استقى ايهود العبر مـن العمليـة الفاشـلة فجـاءت نتـائج العمليـات اللاحقـة أفضل بكثير. ومن الجدير بـالذكر أن ايـهود حـارب علـى جبهـة القنـاة فـي تلـك المرحلة من مراحل حرب الاستنزاف، أكثر من أي ضـابط إسـرائيلي آخـر.

في نهاية عام ١٩٦٩، تـرك يـائيري دوريـة هيئـة الأركـان، وتـم تعييـن ديجلي قائدا لها، ورفع ايهود إلى رتبـة رائـد.

كان رئيس الأركان (حـاييم بـارليف) يتـابع عمليـات ايـهود بنفسـه، وقـد اجتمع به في تل أبيب، وأثنى عليه للنجاحـات التـي أحرزهـا فـي العمليـات التـي لا زالت سرية، ولم يمط عنها اللثام حتى يومنـا هـذا.

في أعقاب تعيين ديجلي قـائدا للدوريـة، طلـب ايـهود تحويلـه إلـى لـواء المدرعات. فرغم التجربة القتالية العالية التي أحرزها إبـان عملـه فيـها، الا انـه كـان يعتقد أن مستقبله العسكري فـي المدرعـات.

لقد بدأ منذ اللحظة الأولى التي قرر فيها البقاء فـي الجيـش، يفكـر فيمـا هـو ابعد من قيادة وحدة الأركان، وادرك أن المسـتقبل يكمـن فـي قيـادة المعـارك التـي تشارك فيها المدرعات، والتي تعتبر الطريق الضروريـة للرتـب الأعلـى.

اجتاز ايهود تدريبات المدرعات في قاعدة (جولـس) القريبـة مـن عسـقلان، وتحت إشراف (آفـي فرحـان) – الـذي اصبـح فيمـا بعـد أحـد نشـطاء اليميـن–، واستحوذت المدرعات على كل أحاسيسه، إلـى الدرجـة التـي كـان يسـتوعب فيـها جميع التدريبات بسـرعة كبـيرة جـدا، وأصغـى للتدريبـات الفنيـة الخاصـة لعمـل الجهاز (الهيدرولي) للمدرعة، وسـرعة دوران المحـرك، وزمـن حشـو القنـابل فـي المدافع والسبب الذي يجعل القنـابل الافتراقيـة للدبابـة تنحـرف درجـة معينـة أثنـاء الإطلاق إلى اليسار. وحرص ايهود على عـدم الكشـف عـن رتبتـه الرفيعـة مقارنـة بالمتدربين من جنود المدفعية، وكان يتناول طعامـه معـهم، وينظـف المدرعـات كـل ليلة خميس قبل استعراض القائد لها، وقبل العـودة إلـى البيـت.

وفي أعقاب الانتهاء من الـدورة المهنيـة، انتقـل ايـهود إلـى دورة ضبـاط دبابات .. وبعد أسابيع مرهقة وطويلـة مـن التدريـب القاسـي مـع جنـود لا تزيـد أعمارهم عن ١٩- ٢٠ سنة، تعلم ايهود كيفية الإشـراف علـى المدرعـات.

انتهت دورة التدريبات بعد ستة أشهر، ثـم توجـه ايـهود فـي نهايتـها إلـى سيناء، وهناك تسلم قيادة فصيل دبابات، فـي اللـواء (٤٠١) واتجـه بقوتـه إلـى قنـاة السويس. كانت تلك الأيام هـي أواخـر أيـام حـرب الاسـتنزاف، والتـي لجـأ فيـها المصريون إلى استخدام سلاح قاتل جدا، وهو صواريـخ سـاغر المضـادة للدبابـات.

كان فصيله يستهل العمل يوميا بفتح محـور الطريـق فـي القـاطع الأوسـط من القناة. وحينما انتهت حرب الاستنزاف، كان ايـهود لا يـزال يحـافظ علـى كـامل تركيبة قوته، دون أن يصاب أي مـن جنـوده أو يقتـل فـي المعـارك. انتقلـت قـوة ايهود إلى منطقة (بير تمـاده)، وتلقـت أول فـوج مـن متدربـي المدرعـات، وبعـد انتهاء التدريبات التي أجراها لمدة ثلاثة اشـهر، عاد بقوتـه إلـى القنـاة مـن جديـد، وواصل العمل بقوته هناك، حتى آذار ١٩٧١-أي قبل فترة وجـيزة مـن تعيينـه قـائدا لدورية هيئة الأركـان.

قبل عدة أشهر من التعيين، وفـي أوج معـارك حـرب الاسـتنزاف، فوجـئ ايهود بطلب مقدم من بعض ضباط الدورية للالتقـاء بـه. وقـد أعـرب الضبـاط عـن تذمرهم من قيادة (ديجلي)، وقالوا انه متردد فـي اتخـاذ القـرارات، وليـس محترفـا، وأشاروا إلى انهم يعتزمون التوجه إلى رئيس هيئة الأركـان لاسـتبداله بايـهود.

جاء رد ايهود قاطعا، لقد كـان علـى علاقـة وطيـدة بديجلـي، ويكـن لـه احتراما عميقا، ورغم إخلاص ايهود لضباط الدوريـة، إلا أنـه وبخـهم وطلـب منـهم أن لا يفعلوا ذلك أبدا، وأكـد لـهم أن مـا يعـتزمون عملـه سـيمس باسـم الدوريـة ومكانتها الخاصة في الجيش، وبذل كل ما في وسعه لتهدئـة الأوضـاع. وقـد أصغـى إليه الضباط ورغم عدم موافقتهم له في الرأي الا انهم وافقـوا علـى وقـف المبـادرة.

ايهود قائدا لدورية هيئة الأركان

وفي الأول من نيسان ١٩٧١، عيـــن ايـــهود قـــائدا لدوريـــة هيئـــة الأركـــان. وفي طريقه إلى مبنى القيادة، كان ايهود يحمـــل فـــي جعبتـــه خطـــة متكاملـــة لإجـــراء تغيـــيرات جذريـــة فـــي تركيبـــة الدوريـــة، التـــي كـــانت تخضـــع مباشـــرة لشـــعبة الاســـتخبارات العســـكرية، والتـــي اكتســـبت شـــهرتها جـــراء العمليـــات الجريئـــة التي كانت تخوضـــها.

كان عمل الدورية في تلك الآونـــة، يقتصـــر بعـــد حـــرب الاســـتنزاف علـــى عمليات مطاردة المسلحين. وفي غضون الأشـــهر الأولـــى لرئاســـته أمّ مكتـــب رئيـــس الأركان مرات عديدة كي يطـــرح عليـــه المخططـــات الجديـــدة لعمـــل الدوريـــة إبـــان فترات الحرب، وفترات الراحـــة.

لم تخف هذه التحركات عن عين (رفـــائيل ايتـــان) قـــائد المشـــاة والمظليـــين، والذي كان يطالب بان توكل إليه جميـــع عمليـــات الكومـــاندو. وفـــي محاولتـــه لإبعـــاد ايهود من شعبة عمليات هيئة الأركـــان، اقـــترح ايتـــان إشـــراك مقـــاتلي الدوريـــة فـــي جميع العمليات الكبيرة، شريطة ترك المسئولية عـــن العمليـــات فـــي أيـــدي المظليـــين. بيد أن ايهود قال: أن دوريته قـــادرة علـــى تنفيـــذ أي عمليـــة كومـــاندو علـــى افضـــل وجه، وفي إطار زمني اقصر من أي وحـــدة أخـــرى.

لقد حدث أول صدام بين الاثنين قبل ذلـــك بكثـــير- فـــي تمـــوز ١٩٦٩، إبـــان الاستعدادات للهجوم على جزيـــرة (كريـــت) الواقعـــة علـــى المداخـــل الجنوبيـــة لقنـــاة السويس، والتي شاركت فيها قوة من الدوريـــة بقيـــادة ديجلـــي، وقـــوة مـــن الكومـــاندو البحري. فقد نشب جدل بين العميد (رفائيل ايتـــان)، والنقيـــب ايـــهود، حـــول التخطيـــط للعملية، وقال ايتان مستهزئا: من هـــو هـــذا النقيـــب الـــذي جـــاء ليعلمنـــا كيـــف نعـــد لعملية؟؟ كـــان ايـــهود يـــدرك، أن ايتـــان شـــكوكي بطبيعتـــه، وان الأســـلوب الوحيـــد لإقناعه يتمثل في العمل على ارض الواقـــع، والتنفيـــذ بصـــورة كاملـــة ومتمـــيزة. لـــذا أخذ يصر على إشراك جنود الدورية في المـــهام التنفيذيـــة.

كانت هناك مشكلة ناجمة عن حـرب الاسـتنزاف تقـض مضـاجع إسـرائيل، وتتمثل في وجود عدد مـن الجنـود والطيـارين فـي الأسـر المصـري والسـوري. واتضح من المعلومات التي وصلـت إلـى إسـرائيل إن الطيـارين يواجـهون تنكيـلا فظيعا في السـجون.

أخذ ايهود يفكر في الحلول الممكنـة لـهذه المشـكلة وقـد وضعـت الدوريـة خطة لمهاجمة المعتقل المصري الـذي يتواجـدون فيـه فـي مصـر، والعمـل علـى تحريرهم بالقوة، ورغم أن الخطـة بـدت خياليـة، الا أن ايـهود اعتقـد أن بالإمكـان القيام بها، بيد أن رئيس الأركان، لم يصـادق عليـها.

وكان الاهتمام منصبـا بصـورة أساسـية علـى مصـير طيـاري طـائرتي الفانتوم اللذين اسقطا في سـورية بعـد أن اسـقطا طـائرتين سـوريتين مـن طـراز (ميج ٢١) – وأفادت الأنباء أنهما يتعرضـان لعمليـات تعذيـب وحشـية. لقـد عمـل أحد الطيارين – (بني نحمـاني) قبـل نقلـه إلـى طـائرات الفـانتوم، قـائدا لطيـارة عمودية. وكان ينقل أيهود وأعضاء الدورية في عملياتـهم، لـذا كـانت عمليـة إطـلاق سراحه، بمثابة واجب شـخصي ملقـى علـى عـاتق الدوريـة. وقـد ذهبـت جميـع المحاولات التي بذلت مـع السـوريين، لإطـلاق سـراحه، أدراج الريـاح، لـذا قـرر الجيش العمل على أسر ضباط سوريين لإرغام سـورية علـى اسـتبدالهما.

– حرب الأيام الثلاثة –

وقد وقعت أول محاولة بهذا الصـدد فـي الرابـع والعشـرين مـن حزيـران ١٩٧٠، في إطار ما سمي "بحـرب الأيـام الثلاثـة" كـان هـدف الجيـش الإسـرائيلي أسر أكبر عدد من الجنود والضباط السوريين، خـلال هـذه المعـارك التـي دارت فـي هضبة الجولان، والتي فقد فيها الجيش الإسرائيلي اثني عشـر جنديـا، فـي حيـن قتـل ثلاثمائة وخمسون جنديا سوريا، وأسر سبعة وثلاثـون جنديـا وضابطـا.

انضم إلى الطيارين المذكورين، الطيـار الإسـرائيلي (بوعـز ايتـان)، طيـار طائرة (ميراج)، والذي أصيبت طائرته، وأصيب هـو، ووقـع فـي اسـر السـوريين.

بيد أن السوريين لم يبدوا اهتماما بسقوط أسراهم. وأفاد ممثلو الصليب الأحمر، الذين زاروا الأسرى الإسرائيليين الثلاثة: إن وضعهم النفسي والجسماني في حالة تدهور مستمرة.

بعد فترة قصيرة من توليه قيادة الدورية، اقترح ايهود خطة جريئة على هيئة الأركان، تنص على قيام الدورية بعملية جريئة، يتم خلالها أسر عدد من ضباط هيئة الأركان السورية، معربا عن اعتقاده بان هذا هو الأسلوب الوحيد لكسر رفض الرئيس السوري.

وقد فوجئ ايهود حينما تمت المصادقة على الخطة التي اقترحها، لقد كانت الخطة جريئة إلى الدرجة التي جعلته يعتقد أن هيئة الأركان لن توافق عليها. بدأت الدورية التدرب على العملية، وكانت هناك حاجة إلى هامش زمني لعدة اشهر، من اجل رفع كفاءة الدورية إلى مستوى تنفيذ العملية.

أقام ايهود علاقة وقناة اتصال مع (منو شيكد) رئيس شعبة العمليات في هيئة الأركان، والذي سرعان ما اصبح صديقه وقد طالب ايهود بأن توكل العمليات إلى دورية هيئة الأركان، وليس لرفائيل ايتان. وفي إحدى ليالي كانون الأول ١٩٧١ تلقت الدورية إذنا للقيام بعملية خاصة في عمق أراضي "العدو". ولم يكن ايهود على استعداد لإرجاء العملية.

اجتمع في غرفة العمليات الأمامية قائد القطاع الشمالي مردخاي جور، ومنوشيكد، وضابط استخبارات، إضافة إلى قائد وحدة إنقاذ، تحسبا لأي طارئ قد يحدث ويستلزم القيام بعملية تخليص. انتهى أعضاء الوحدة من تحميل التجهيزات، الملابس الخاصة، والبلطات، ومعدات التسلق للجبال، وأحذية خاصة للسير في الثلج والتي تم شراؤها تنفيذا لأوامر ايهود من سويسرا- بيد أن مردخاي جو- نظرا إليهم، وطلب تأخير الانطلاق لعدة دقائق.

-مردخاي : ايهود، هل أنت واثق حقا من أن ما ستقوم به هو عمل مسئول؟؟

-أيهود : هذه الليلة مناسبة لتنفيذ عملية من هذا القبيل. لقد تدربنا عدة أسابيع، ولا يتوقعنا أحد.

اختفت القوة في الضبـــاب، وفـــي ســاعات الفجــر الأولــى هبــت عاصفــة ثلجية، وتقلصت الرؤية لعدة أمتــار. فقــامت غرفــة العمليــات بإرســال قــوة الإنقــاذ لاستقبال القوة لدى عودتها، بعد أن تم ربــط جنودهــا بخيــط نــايلون طويــل وقــوي. وعندما عادت قوة أيهود رشقهم مردخاي بنظرة خبيثة. وبعـــد ســنوات تحــدث أيــهود عن تلك الليلة، فقـــال: كــانت تلــك الليلــة فــي هضبــة الجــولان اختبــار قــدرات، ومسئولية، وإظهار لطابع الوحدة، وقد أثبتنــا أننــا مجموعــة جديــة لا تخشــى المــهام حتى لو بدت تلك المهام مخيفة ومستحيلة. وفي أعقاب تلـــك الليلــة تولــدت لدينــا ثقــة بالنفس، بأننا قادرون على تنفيــذ أي مهمــة".

الفصل السابع

عملية سابينا

- وجها لوجه مع مختطفي الطائرة البلجيكية -

دق جرس الهاتف في منزل ايهود في الثامن من أيار ١٩٧٢، وكان على الطرف الآخر من الخط، ضابط من هيئة الأركان: يريدونك بصورة عاجلة.

وفي قيادة هيئة الأركان، قال له العميد (منو): لقد اختطفوا طائرة تابعة لشركة (سابينا) البلجيكية والتي كانت في طريقها من بروكسل إلى تل أبيب. ويعتزم المختطفون إنزال الطائرة في مطار اللد، ويريد رئيس الأركان أن تتوجه إلى المطار فورا.

وكانت الدراما قد بدأت قبل ذلك بساعة في الجو، عندما كانت طائرة (بوينج) التابعة لشركة سابينا تحلق على ارتفاع سبعة وثلاثين ألف قدم وهي تحمل على متنها تسعة وتسعين مسافرا، منهم سبعة وستون يهوديا، قسم منهم سياح، وعندما حلقت الطائرة فوق يوغسلافيا، اقتحم غرفة الطيار (ريجنلد ليفي)، وهو ابن لأم مسيحية وأب يهودي- شاب يرتدي باروكة شعر مستعارة، وصوب مسدسا إلى رأس الربان، وقال له:" الطائرة مخطوفة، ومنذ هذه اللحظة أنا قائد الطائرة، وعليكم أن تصغوا إلى أوامري، وتنفذوا ما أقول بالضبط. وإذا ما حاولت ممارسة أي ألاعيب، فلن تخرجوا أحياء من الطائرة".

انصاع الطيار للأمر، وأعلم برج المراقبة في بلغراد بالأمر، وفي غضون ثوان معدودة، نقل النبأ إلى أبراج المراقبة على خط الطائرة، مما حدا بإسرائيل لاتخاذ حالة التأهب.

كان وزير الدفاع موشيه ديان، آنذاك في شرم الشيخ، ويعتزم الطيران لحضور جلسة الحكومة في القدس، وعندما أعلمه رئيس الأركان بالأمر، قال ديان: "أنا متوجه إلى مطار اللد"

سارعت هيئة الأركان، إلى تشغيل خطة (ايزنغوف) وهي خطة محفوظة لمواجهة حالة اختطاف طائرة، لم يكن قد تم التدرب عليها بعد. وتدفقت إلى المطار قوات عسكرية وشرطة وعشرات السيارات (الإسعاف، والمطافئ).

كان ايهود أيضا، في طريقه إلى المطار للتشاور مع رئيس الأركان، وقائد القطاع الأوسط (رحبعام زئيفي). وقبل أن ينطلق في طريقه، اعلم ايهود

طواقم الطوارئ في الدورية أن تتجه نحو المطار. كانت الدورية قد اتخذت الاستعدادات اللازمة منذ خطف طائرة العال إلى الجزائر عام ١٩٦٨، لمواجهة احتمال أن تضطر في أحد الأيام إلى مواجهة عملية اختطاف طائرة.

كان علي طه أبو سنينة -المختطف- ينتمي إلى "جماعة أيلول" وهو رجل ذو خبرة في مجال اختطاف الطائرات المدنية. ففي عام ١٩٦٨ اشرف على عملية اختطاف طائرة العال إلى الجزائر، وفي شباط ١٩٧٢ اختطف طائرة تابعة لشركة الطيران الألمانية لوفتهانزا. وكان برفقته (عبد العزيز الأطرش) – من إحدى قرى الخليل. و(ريما عيسى طنوس)- وهي عربية مسيحية من مواليد بيت لحم، و(تيريز استر هلسه) – وهي أيضا عربية مسيحية من مواليد قرية (الرامي) في الجليل. وقد نهض الخاطفون الثلاثة بناء على إشارة محددة واحتلوا أماكن معينة في الطائرة.

وتنفيذا لأمر الخاطف، قام الربان بإعلام المسافرين بالاختطاف. كان الربان يعتقد أن الطائرة ستهبط في إحدى العواصم العربية، وقد تكون طرابلس، بيد أن الخاطف قال له: نحن نتجه إلى تل أبيب.

في غضون ساعة تجمهرت في مطار اللد كل قيادة الجهاز الأمني الإسرائيلي : وزير الدفاع (موشيه ديان)، رئيس الأركان (ديفيد بن اليعزر)، نائبه اللواء (يسرائيل طل)، قائد القطاع الأوسط (رحبعام زئيفي)، اللواء (ارئيل شارون)، قائد سلاح الجو اللواء (مردخاي هود)، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية اللواء (اهارون ياريف). وقد اقترح قائد سلاح الجو أن يتم اعتراض الطائرة وإنزالها في إحدى قواعد سلاح الجو، بيد أن ديان عارض، خشية ان يفجر الخاطفون الطائرة في الجو إذا ما حاولت طائرات سلاح الجو اعتراضها، وهكذا لم يبق من خيار سوى القيام بعملية تخليص على الأرض.

استدعى ديان ورئيس الأركان قائد دورية هيئة الأركان. وعندما وصل ايهود كانت الطائرة قد هبطت ووقفت في نهاية المدرج، دون أن تطفئ محركاتها. وكانت أولى المشاكل التي ينبغي حلها تتمثل في الحيلولة دون إقلاعها من جديد.

وبمصادقة ديان، ورئيس الأركان، توجـه ايـهود ومعـه فنيـان مـن شـركة العال، ومقاتلان نحو الطائرة، لفصل جهاز القيـادة والهيدروليكيـة الخاصـة بالـهبوط. وقد تمكن ايهود من الوصول إلى الطائرة مـن الخلـف.

كانت المحركـات لا تزال عاملة، وقـد وقـف فـي بـاب الطـائرة، أحـد الخاطفين، بيـد أن القـوة تسـللت تحـت الطـائرة وتوجـهت نحـو العجلـة الأمامية، وتمكـن ايـهود، ومعـه أحـد الفنييـن مـن إخـراج (خرطـوم) التوجيـه، وإعطـاب كوابح الطـائرة.

وعندمـا عـادت المجموعـة إلـى بـرج المراقبـة، اتضـح مـن تحليـل المهندسين، أن الطائرة لا زالت قـادرة علـى الإقـلاع، وأن هنـاك ضـرورة للعـودة إليها. وهكذا عاد ايهود والفنيون مرة أخـرى إلـى الطـائرة، بيـد أنـهم هـذه المـرة عملوا على إفراغ العجلات من الهواء، وأفرغوا الزيـت مـن الأجـهزة.

قال ايـهود لوزيـر الدفـاع رئيـس الأركـان أن بالإمكـان اقتحـام الطـائرة وتحرير الرهائن، بيد أنه اقترح إرجاء هذه العمليـة إلـى سـاعة متـأخرة مـن الليـل، على أن يجري إرهاق الخاطفين حتى ذلـك الحيـن بالمفاوضـات.

وافق ديان واليعـيزر علـى العمليـة، وطلبـا مـن ايـهود الشـروع باتخـاذ الاستعدادات اللازمة للتنفيـذ.

اقترح قائد وحدة حماية الطائرات فـي شـركة العـال –وهـي وحـدة تابعـة لجهاز الأمن العام– أن يقوم جنود وحدته بتنفيـذ العمليـة بدعـوى انـهم أكفـاء لتنفيـذ هذه المهمة. عارض ايهود هذا الطرح، بيد انه اقترح أن ينضـم جنـود الوحـدة، وهـم جميعا جنود احتياط في دورية هيئة الأركان إلـى العمليـة.

فكر ايهود في هذه اللحظات في مردخاي رحميـم، رئيـس طـاقم حمايـة فـي جهاز الأمن العام، ومقاتل في الدورية، وهو يعرفه منذ سـنوات طويلـة. ففـي شـباط ١٩٦٩، كان رحميم ضابط أمن في طائرة العـال، التـي كـانت علـى وشـك الإقـلاع من مطار (كلوتن) السويسري، حينما قام مسلحون بمهاجمتـها، بيـد أن رحميـم تمكـن

من قتل أحدهم والسيطرة على آخر وقد اعتقلته السلطات السويسرية وسجنته ثم عاد إلى إسرائيل كبطل.

كان ايهود يدرك أن نجاح مهمة من هذا القبيل يرتبط ارتباطا جدليا بطابع الطاقم الذي سيتم اختياره لها. بيد انه كان يواجه مشكلة في توفير هذا الطاقم. فقد كان قسم من طواقم الدورية في دورات تدريبية، وعدد من الضباط لم يكن ليبقى في القاعدة، ولم يكن لديه هاتف عاجل يمكنه العثور عليهم من خلاله واستدعاؤهم طلب ايهود من الدورية أن ترسل إليه كل من يمكن العثور عليه. وحينما وصلوا أخذهم ايهود للتدرب على طائرة من طراز بوينج (٧٠٧) شبيهة للطائرة المخطوفة.

أصر رئيس الأركان، على أن يستعد ايهود لاقتحام الطائرة في نفس الليلة. فقد كان هو وديان يخشيان أن يلحق الخاطفون الأذى بالرهائن عندما يكتشفون التخريب الذي أحدثه ايهود بها.

أبقى ايهود في المنطقة قوة مراقبة وقنص، كي يتمكن من الرد بسرعة إذا حدثت عملية إطلاق نار داخل الطائرة، وبعث بباقي القوة للتدريب. أمر ايهود نائبه، (داني يتوم)، بأن يأخذ جنود الدورية الذين قدموا، ويدربهم على اقتحام الطائرة عبر غرفة الطيار والأبواب. وفكر ايهود وياتوم في إمكانية، أن يستخدم الجنود (سلم الحرامية) للوصول إلى أبواب الطائرة – أي أن يرفع كل اثنين ثالثا على كتفيهما، ثم إحضار سلالم ألمنيوم بعد ذلك.

بدأت الاتصالات مع الطائرة بعد عدة دقائق من هبوطها، فقد طالب أبو سنينة –قائد العملية– أن يتم إطلاق سراح ٣١٥ معتقلا فلسطينيا في السجون الإسرائيلية –وهدد بتفجير الطائرة ومسافريها، إذا لم يستجيبوا له.

أجرى وزير الدفاع المفاوضات مع الخاطفين بوساطة فيكتور كوهين –أحد كبار رجال جهاز الأمن العام– والذي جند كل تجربته وخبرته في إطار ذلك.

وكان كوهين يقول في كل مرة انه بحاجة إلى وقت لنقل المطالب إلى صانعي القرار، وقد طلب منه ديان أن يعمل على إطالة زمن المفاوضات قدر

الإمكان، من اجل إرهاق الخاطفين، وقد هدد أبو سنينة المرة تلو الأخرى، بأن يأمر الطيار بالإقلاع، ويفجر الطائرة فوق تل أبيب.

كان ديان يدرك استحالة إقلاع الطائرة، وان ربان الطائرة سرعان ما سيدرك ذلك عندما يشغل الساعات. لذا طلب من ايهود أن يتأكد من وجود قوة خلف الطائرة على استعداد للعمل السريع.

كان ايهود في تلك الآونة مع القوات المتدربة، وقد احضر الجنود، ونظمهم في مجموعتين، تحمل كل منها سلالم ألمنيوم كانت الخطة مباشرة وجريئة: إذا ما أعطيت الأوامر، أو إذا ما أطلقت عيارات نارية داخل الطائرة، يتجه الجنود ركضا، ويصعدون بالسلالم إلى جناحي الطائرة، ثم يقتحمونها عبر بابي الطوارئ القائمين في الأجنحة، وتتوزع القوة يمينا ويسارا مع محاولة إصابة الخاطفين في أسرع وقت ممكن. مع الأخذ بعين الاعتبار، عدم توفر معلومات حول مكان وجودهم في الطائرة.

طلب ديان من كوهين أن يحاول من خلال الحوار مع قائد الخاطفين، أن يبني له صورة مبدئية، فقال انه يعتقد أن قائد المجموعة الخاطفة هو حضري من منطقة القدس الشرقية. وانه شخص متقف، وليس قاتلا أو مجرما يعمل لأسباب تتعلق بالمال، بل لأسباب أيديولوجية.

وقد طلب منه ديان، أن يحاول تحديد لحظة بداية انهيار قائد الخاطفين، وقد شعر كوهين بأنه مرهق جدا، بيد أن اللحظة لم تكن لحظة العمل.

قبل ساعة من انبلاج الفجر، رغب ديان في التوجه إلى مكان يستطيع أن يراقب منه الوضع بنفسه. وطلب أن نذهب به إلى مكان وجود ايهود، فقدناه إلى هناك وبصحبته سكرتيره العسكري ارييه بارأون.

وعلى بعد مائة متر خلف الطائرة، وبينما أمامهما طابوران من الجنود المنبطحين على الأرض على اهبة الاستعداد، فحص وزير الدفاع وقائد الدورية ايهود، فيما إذا كان الوضع واللحظة مناسبين لاقتحام الطائرة.

كان ايهود يرغب في الاقتحام، بيد أن ديـــان تـــردد قليـــلا، ثـــم قـــال: دعـــهم ينضجون أكثر. فقال ايـــهود: "سـيكون الاقتحـــام فـــي ضـــوء النـــهار اصعـــب، ولـــن نستطيع الاقتراب من الطائرة بصـــورة فجائيـــة.

وفي إطار محاولته لكسب الوقت طلب ديـــان مـــن كوهيـــن أن يوافـــق علـــى إطلاق سراح المعتقلين الموجودين في القائمـــــة، وقـــال لـــه أن يشـــير إلـــى أن الامـــر يحتاج إلى وقت طويل حتى يتم إحضارهم إلـــى المطـــار.

أصر أبو سنينة على إطلاق سراح جميـــع الأسـماء الموجـودة فـــي القائمـــة في غضون ساعتين وإلا فانه سيفجر الطـــائرة، فتدخـــل رئيـــس شـــعبة الاســتخبارات، وقال أن ذلك مستحيل ويحتاج إلى وقت أطول، بيد أن أبـــو ســـنينة أخـــذ يبـــدي نوعـــا من العصبية، وقال: لقد شغلت ســـاعة التوقيـــت، وإذا لـــم يتـــم إطـــلاق ســـراحهم فـــي غضون ساعتين، ستنفجر الطائرة بمـــن فيـــها.

لجأ كوهين –الذي اكتسب خبرة طويلة في مجـــال التحقيـــق مـــع (المخربيـــن) –إلى استخدام أسلوب نفسي، فقال لأبو ســـنينة، أنـــا اشـــمئز مـــن العســـكريين، فـــهم لا يعرفون غير أسلوب القوة، لقد اتصلت بموشيه ديـــان فوافـــق علـــى مطلبكـــم الخـــاص بتدخل الصليب الأحمر فـــي المفاوضـــات، وفـــي عمليـــة إطـــلاق ســـراح المعتقليـــن، واتفقت معه على تقديم الماء والطعام لكم وللمسافرين فـــي الطـــائرة وقلـــت لـــه: أنكـــم أناس جادون وثوريون، وكلمتكم هي كلمـــة رجـــال.

وخلال البحث والتمحيص للوضع بين وزير الدفـــاع وقـــائد القطـــاع الأوســـط طرحت فكرة أن يتخفى جنود الدورية فـــي صـــورة فنييـــن وأن يقـــتربوا مـــن الطـــائرة تحت حجة إعدادها للإقلاع فتبنى ايهود الفكرة فـــورا. فـــالفنيون يســـتطيعون الاقـــتراب دون أن يثيروا الكثـــير مـــن الاهتمـــام، وبالتـــالي ســـيصبحون قريبيـــن مـــن الطـــائرة وتصبح إمكانية اقتحامها أسرع فأمر فورا بإحضـــار ملابـــس فنييـــن بيضـــاء ومعـــدات عمل وأجهزة كالتي يستخدمها الفنيون في عملهم، وفـــي غضـــون ســـاعة كـــان جميـــع جنود الدورية يرتدون ملابـــس الفنييـــن البيضـــاء، وجميـــع معـــدات العمـــل جـــاهزة. وقرر ايهود أن يستخدم الجنود المسدسات فقط، نظـــرا لاســـتحالة إخفـــاء البنـــادق فـــي

ملابس العمل. ومن الجدير بالذكر أن جنود شعبة الحراسة في طائرات العال كانوا أكفأ من باقي الجنود في استخدام المسدسات. لذا تم وضعهم على رأس طاقم الاقتحام.

تكون طاقم الاقتحام من ستة ضباط وأربعة من جنود الاحتياط العاملين كحراس، وستة جنود.

وفي نفس الوقت كان الجنود الباقون يتدربون على عملية الاقتحام، وبدا أن العملية ستتم بسرعة. ولم يبق سوى مشكلة واحدة، وهي معرفة مكان تواجد الخاطفين في لحظة الاقتحام.

ازداد التوتر داخل الطائرة، وبدأت (تريز هلسة)، التي كانت تمسك العبوات تهدد المسافرين بتفجير الطائرة، في حين أمر أبو سنينة ربان الطائرة بالاستعداد للإقلاع فقال له الربان إن ساعات الطائرة وأجهزتها تشير إلى تسرب الزيت، واستحالة الإقلاع. فطلب منه أبو سنينة الخروج خارج الطائرة ومعرفة ماهية العطب، طلب أبو سنينة أن يتم جر الطائرة إلى أحد (عنابر) الصيانة وإعداد الطائرة للإقلاع. بيد أن كوهين قال له: إن الوقت متأخر، ولا يمكن جر الطائرة الان إلى مكان الصيانة، ويجب الانتظار حتى يأتي الفنيون.

وفي ساعات الفجر الأول وصل إلى المكان ثلاثة جنود لم يكونوا ضمن قوة الاقتحام. (بنيامين نتنياهو) -قائد الطاقم الشاب، و(عومر عيران)- مقاتل شاب من افضل الجنود في الدورية. وقد قدما في سيارة نتنياهو وأصرا على المشاركة في العملية، فوافق ايهود على ضمهم إلى القوة المتدربة. ثم قدم (يوني نتنياهو)، وطلب هو الأخر ضمه إلى القوة. بيد أن ايهود أصر على عدم الشراكة قائلا: لا يجوز أن أشرك شقيقين في عملية واحدة، وهذا قانون لا هوادة فيه، وهو مسئوليتنا تجاه الأهل. لقد قدم شقيقك بنيامين، وهو الان في التدريب؟؟ لكن يوني لم يقبل ذلك، مما اضطر ايهود لاستخدام صلاحياته كقائد، فقال له: "يوني ، هذا أمر".

حاول يوني إقناع بنيامين بأن يتخلى له عن مكانه، لكن بنيامين لم يوافق، وأصر على القيام بالدور الموكل إليه، وارتدى ملابس الصيانة البيضاء وانخرط في القوة المهاجمة التي كان عليها اقتحام الطائرة عبر باب الطوارئ. ألقيت اصعب المهام على عاتق (مردخاي رحميم)، وقام رئيس الأركان بتوجيهه بنفسه قائلا: مهما يحدث في داخل الطائرة عليك العمل لتفكيك العبوات الناسفة، نحن نعتمد عليك.

في إحدى الجولات التي قام بها ممثلو الصليب الأحمر بين غرفة القيادة المتقدمة في برج الحراسة والطائرة، عادوا ومعهم شخص غير متوقع. ربان الطائرة (رجينلد ليفي) والذي بدا شديد الإرهاق، وقد أمسك كيسا وبه مواد متفجرة. لقد أطلق الخاطفون سراحه كي يوضح للطرف الآخر أنهم جادون.

قدم قائد الطائرة معلومات حيوية حول ما يحدث داخل الطائرة، فقال: إن عدد الخاطفين أربعة، بينهم امرأتان، وان قائد العملية الذي يدير المفاوضات موجود دائما في غرفة الطيارين، واثنان في مقدمة الطائرة وإحدى الخاطفات بالقرب من باب الخروج. أعلم وزير الدفاع ايهود والذي أعلم بدوره قادة الهجوم، وتقرر العمل في أقرب فرصة ممكنة.

حدد ايهود عدد القوة المهاجمة والذي بلغ سبعة عشر جنديا، وقسمها إلى مجموعات صغيرة. ضمت الأولى (داني يتوم) – نائب قائد الدورية، و(ايتسيك جوانان)– وهو متميز في استخدام المسدس، و(أوري كيرت). وضمت الخلية الثانية (مردخاي رحميم) و(داني برونز)، و(عومر عيران) و(داني أرديني). وضمت الخلية الثالثة (عوزي ديان)، و(حازاي)، و(جليلي).

وضمت الخلية الرابعة (بنيامين نتنياهو) و(ماركو اشكنازي)، و(يعقوب تسورن) و(اريك طل)، وكان على هذه الخلية أن تقتحم الطائرة من باب الطوارئ.

وكانت الأوامر واضحة: سنتحرك جميعا فوق رافعات العال ونحن نرتدي ملابس الصيانة وعلى أن يتم إخفاء المسدسات داخل الملابس. ولا شك أننا

سنكون جميعا تحت رقابـــة الخــاطفين، لــذا يجــب أن يحمــل كــل واحــد صنــدوق معدات. وستحمل إحدى الرافعات ثلاثة سلالم كي نتسـلق الطــائرة بــها. وكــان يجـب على ممثلي الصليــب الأحمــر أن يسـيروا فـي المقدمـة، دون أن يعلمــوا أن عمـال الصيانة الذين يسيرون خلفهم هم جنـــود كومـــاندو.

وأضاف ايهود: في الوقت الذي ســنتحرك باتجــاه الطــائرة، ســتجري علــى المدرج عدة تحركات أخرى، حيث سيتم جر طائرة بوينــج تابعــة لشــركة (تــي دبليــو ايه) باتجـــاه الطـــائرة المخطوفـــة وبمحاذاتـــه ســتتحرك شــاحنات عســكرية وكأنــها الشاحنات التي تقل المعتقلين المحررين من المعتقلات. لقد كـــانت الخدعـــة كاملــة.

شعر الضباط مـــدى التوتـــر الآخــذ بتلابيـــب ايـــهود، وأصيبـــوا بـــالعدوى، ويقول ايهود فيما بعد: كنت أدرك مدى جسامة المســـئولية الملقـــاة علـــى عـــاتقي. لقـد كان نجاح العملية رهنا بمدى انطلاء الخدعـــة علـــى الخـــاطفين.

ويضيف: "لو أن الخاطفين اكشفونا حتـــى قبـل ثـــوان مـــن اقتحـــام الطـــائرة، فقد تنتهي العملية بكارثة. أما العامل الثـــاني المـــهم فـــي العمليـــة فتمثـــل فـــي ســـرعة الاقتحام، وهو الامر الذي تدربنا عليه، وعلى سرعة فتـــح الأبـــواب. لقـــد كـــان العمـــل أثناء التدريبات سريعا وممتازا، بيد أن التدريبات لم تكن فـــي يـــوم مـــن الأيـــام دلالـــة على النجاح الفعلي على ارض الواقـــع العملـــي.

ومثلما تبدو الأمور في أفلام السينما المنتجـــة بصـــورة جيـــدة، شـــاهد ايـــهود طائرة (تي دبليو ايه) وهي تجـــر باتجـــاه الطـــائرة المخطوفـــة، ومـــن زاويـــة أخـــرى ظهرت شاحنات وحافلات من المفـــروض أنـــها تقـــل المعتقليـــن المحرريـــن، بيـــد أن جميع من جلسوا فيها كانوا من البدو العاملين في الجيـــش كقصـــاصي أثـــر، وجميعـــهم يرتدون ملابس المعتقلين. وأخذ ممثلو الصليب الأحمر يتجولـــون فـــي المنطقـــة، وهـــم ينسقون صفقة تبادل المعتقلين بالرهائن، ممـــا جعـــل الخـــاطفين يطـــيرون فرحـــا، فقـــد استجابت إسرائيل لجميع مطالبـــهم.

كانت الساعة السادســـة وواحـــد وعشـــرين دقيقـــة عندمـــا بـــدأت الرافعـــات تقترب من الطائرة لإعدادها للإقلاع، واشار ممثلـــو الصليـــب الأحمـــر للرافعـــات بـــأن

تواصل تقدمها، وأشاروا لابو سنينة الذي كـان يراقـب الوضـع مـن غرفـة الطيـار، بأن كل شيء على ما يـرام.

وعندما أصبحت الرافعات قريبة جـدا مـن الطـائرة، طلـب أبـو سـنينة أن تتوقف، وان يفتح الفنيون سراويلهم كي يتأكد مـن أنـهم غـير مسـلحين. نقـل ايـهود أمرا سريعا إلى القوة قال فيه: سأكون أول من يفحـص، فـإذا مـا اكتشـف الخـاطفون شيئا مشبوها، وفتحوا النار، عليكم الاندفاع قدمـا، وإتمـام العمليـة.

هبط ايهود من الرافعة أولا فـأمره الخـاطف أن يفتـح سـحاب (افرهولـه) كي يتأكد من أنه لا يحمل سلاحا. كان ايهود شديد التوتـر فقـد خشـي مـن أن يفجـر الخاطفون الطائرة خلال عملية الـهجوم.

كان على ايـهود أن يطلـق صفـيرا قويـا كعلامـة لبـدء الـهجوم. ترجـل (مردخاي رحميم) من الرافعة وتقـدم باتجـاه بـاب الطـوارئ الأيسـر الأمـامي. وهو يدرك تماما أن قائد المختطفين يفحصه بدقـة مـن غرفـة الطيـار، ثـم ترجـل خلفه عوزي وعومـر.

كان طاقم الطائرة البلجيكيـة يقـف قريبـا مـن الطـائرة، ويرافـق (الطـاقم الفني)، وكما أن أحدهم شك في أن هـؤلاء الفنييـن هـم جنـود لـذا، همـس باتجـاه ماركو اشـكنازي "Good Luck".

قرب داني يتوم السـلم باتجـاه مقدمـة الطـائرة، كـان ايـهود علـى وشـك إطلاق صفارته عندما اتجه إليه أحد المقـاتلين الاحتيـاط، وقـال لـه انـه يعـاني مـن حالة إسهال وآلام في البطن، فسمح له بقضاء حاجتـه تحـت الطـائرة، فذهـب وخلـع سرواله وقضى حاجته والقوة كلها بانتظار أن ينتـهي ويعـود.

قام فنيون حقيقيون من شركة العال -والذين كـانوا علـى علـم بمـا سـيحدث بوصل مولد كهرباء بالطائرة كـي يجـدد كـهرباءها، ثـم غـادروا المكـان ركضـا. الامر الذي جعل ايهود يغلي من الغضب، فقد خشـي أن يلاحـظ الخـاطفون أن هنـاك شـيئا ليس على ما يرام، وأطلق صفارته. بيـد أن الصفـارة لـم تكـن قويـة، ولـم

يسمعها جميع أعضاء القوة، وتأخرت عملية الاقتحام ثواني معدودة بيد أنها ثمينة للغاية.

كان مردخاي رحميم، أول من اقتحم الطائرة مما أذهل الخاطفين، بيد أن الأطرش أطلق النار باتجاهه، فانحنى رحميم مما جعل العيار يخطئه. اقتحم عومر عيران الطائرة بعد رحميم وشاهد ما حدث، فأراد إطلاق النار على الأطرش، بيد أن مسافرة عجوز أمسكته من ملابسه مما عرقل محاولته لثوان. ويقول انه اضطر للكمها كي تتركه.

حاول الأطرش إطلاق النار مرة أخرى على رحميم بيد انه أصيب برصاص عيران، في حين واصل عيران الاندفاع باتجاه غرفة الطيار، وهو يفتش بعينيه عن المتفجرات. وفي هذه اللحظة اقتحم الطائرة ماركو اشكنازي وبنيامين نتنياهو. اكتشف اشكنازي مكان وجود تريز هلسه، وهاجمها وكال لها ضربة قوية مما جعل عيارا ينطلق من مسدسه، ويصيبها وينحرف باتجاه يد بنيامين نتنياهو اليمنى، والذي كان يعتزم تجاوز اشكنازي والسير قدما. وحينها قامت الخاطفة الأخرى بفتح النار باتجاه نتنياهو واشكنازي مما أدى إلى إصابة إحدى المسافرات اليهوديات ووفاتها فيما بعد.

اقتحم داني يتوم الطائرة من الباب الأمامي المقابل لغرفة الطيار، في حين تسلق اوري كيرن من الأسفل عبر فتحة الهبوط باتجاه غرفة الطيار، واخذ يتبادل إطلاق النار مع المختطف داخل الغرفة، ويدفعه باتجاه رحميم القادم من قاعة المسافرين.

اقتحم عوزي ديان الطائرة، من الباب الخلفي، كان هناك مسافر يختبئ خلف ستارة، فرآه وأطلق عليه عيارين، فصرخ الرجل أنا مسافر أنا يهودي ولحسن حظه لم يقتل.

حدثت حالة فوضى تامة داخل الطائرة، وبدأ مسافرون محاولة الفرار، وسدوا الطريق على الجنود الذين كانوا يخشون من أن يفعل الخاطفون العبوات الناسفة.

وصل ايهود في هذه اللحظة إلى الطائرة، وحاول توجيه الجنود نحو الخاطفين، الذين أفاقوا من الصدمة، وشرعوا بالرد على النار.

أشار أحد المسافرين لعوزي ديان على فتاة كانت تلف نفسها بغطاء في أحد المقاعد الأمامية، وكانت تلك هي ريما طنوس، كانت تمسك بيدها قنبلة، فنزع منها زناد الأمان، وقالت: لا تطلق النار، وضع عوزي فوهة مسدسه في رأسها، وأخذ من يدها القنبلة بهدوء وهو يشد على الذراع الذي يحول دون انفجارها، وأعطاها لجندي آخر والذي سارع لتأمين الذراع بزناد ارتجله بصورة مؤقتة، بينما وقفت طنوس ترتعد من الخوف، وتتوسل أن لا يقتلها. رفع ديان الغطاء عنها بحذر، فشاهد إلى جوارها حقيبة المتفجرات، فرفعها بحذر كي يتأكد أنها ليست مربوطة إلى جسم الطائرة، وأعطاها لأحد الجنود. واصل رحميم الاندفاع نحو الطائرة فأطلق أبو سنينة النار باتجاهه، فاحتمى رحميم خلف مقعد من مقاعد الطائرة ورد على النار.

استبدل رحميم مخزن مسدسه وواصل التقدم وهو يطلق النار، في حين رد عليه أبو سنينة رغم انه كان مصابا، ثم دخل أبو سنينة إلى مرحاض الطائرة في القسم الأمامي من الطائرة واغلق الباب من الداخل، بيد أن رحميم اقتحم الباب بالقوة وأطلق عليه النار فقتله.

لاحظ رحميم عن يساره وجود تريز هلسه فهاجمها وسيطر عليها، ومزق قميصها فوجد في (صدريتها) عبوة ناسفة مشبوكة ببطارية وجاهزة للتفجير.

امسك ايهود بتريز، وأنزلها عبر جناح الطائرة للجنود الذين كانوا في الأسفل.

لقد استغرقت العملية بكاملها تسعين ثانية ثم جرى إنزال المسافرين بسرعة ودخل خبراء المتفجرات لإبطال مفعول العبوات.

لقد أصيب مقاتلان بجراح طفيفة وقتلت مسافرة، واصيب بعض المسافرين الآخرين بجراح، أمر أيهود داني يتوم بجمع الجنود والعودة إلى

القاعدة وفي الإذاعة هناك سمعوا عن (الملائكة) ذوي الملابس البيضاء الذين اقتحموا الطائرة وأنقذوا الرهائن.

الفصل الثامن

قاد عملية اختطاف ضباط سوريين
لمبادلتهم بطيارين إسرائيليين أسرى

أصبحت إسرائيل كلـــها فـــي حالـــة فـــرح وفخـــار عـــارم، وأعـــرب جميـــع أعضاء الحكومة عن رغبتـــهم فـــي رؤيـــة الأبطـــال الذيـــن أنجـــزوا العمـــل. وتدفـــق الصحفيون من جميع الأماكن، وهم يحملـــون أمـــرا واضحـــا، أحضـــروا أي معلومـــات عن هذه الوحدة الســـرية.

وقد نجحت إحدى الصحف في التقاط صورة للعمليـــة فـــي اللحظـــات الأولـــى في أعقاب انتهائـــها، وقـــائد الوحـــدة ايـــهود يخـــرج مـــن الطـــائرة مرتديـــا الملابـــس البيضاء، التي يرتديها عمال شركة "العال"، وفي يـــده مســـدس مســـلول، وخلفـــه نائبـــه (داني يتوم) وتحـــت أقدامـــه علـــى جنـــاح الطـــائرة إحـــدى المختطفيـــن ملقـــاة علـــى الأرض، وأمامه عدد من المسافرين المذعورين؛ والجنـــود ينزلونـــهم إلـــى الأرض.

وقد نشرت هذه الصورة علـــى الصفحـــات الأولـــى للصحـــف الكبـــيرة، بـــدءا من نيويورك تايمز، وانتهاء بالصندي تايمز، أما العنوان الـــذي كتـــب تحـــت الصـــور، فكان "الملائكة باللباس الأبيض"، وكشـــفت بعـــض الصحـــف الســـر الدفيـــن، لقـــد نفـــذ العملية وحدة سرية تدعى "دورية هيئة الأركان" وكتب الكثـــير عـــن هـــذه الوحـــدة مـــن المعلومات الخياليـــة.

وأصدر الرقيب العسكري أمـــرا يحظـــر الكشـــف عـــن أي معلومـــات حـــول قائد الدورية، حتى ولو كان الحرف الأول من اسـمه، وقـــد ذعـــر ايـــهود أيضـــا، مـــن نشر صورته، وخشي من استسلام أعضـــاء الوحـــدة للغـــرور، فجمعـــهم بعـــد عودتـــه إلى القيادة، وأثنى عليهم قائلا: "لا يجب أن ننسى أن النجـــاح والفشـــل فـــي مثـــل هـــذه العمليات رهن بالسرعة ودقة التنفيذ، وأن أي تعطيـــل أو تـــأخر فـــي اقتحـــام الطـــائرة، أو تشخيص مكان وجود المختطفين كان سيفضي إلـــى وقـــوع كارثـــة".

وقال للمقاتلين إن العمليـــة برمتـــها اســـتغرقت تســـعين ثانيـــة، أي اقـــل مـــن الزمن الذي استغرقته التدريبات بعشـــر ثـــوان.

حافظ ايهود على رباطة جأشه وبـــرود أعصابـــه تمامـــا، خـــلال حديثـــه إلـــى المقاتلين، في الوقت الذي كانوا يتوقعون منه إبداء قـــدر اكـــبر مـــن الســـرور بيـــد انـــه كان يخشى الغـــرور.

لقد تم تنفيذ عملية (ايزنوف) في نفس الوقــت الــذي كــانت فيــه الإجــراءات تجري علـــى قــدم وســاق لاختطــاف ضبــاط مصريـيــن ســوريين بغيــة مبادلتـــهم بالطيارين الإسرائيليين الموجودين في أسر هـــاتين الدولتيـــن.

وفي مطلع نيسان استدعى (منو شيكد) رئيــس شــعبة العمليــات فــي هيئــة الأركـــان، ايهود، وقال له: "غولدا مائير تود أن تعملوا علـــى صعيــد الســوريين، وأنـــا اعتقــد أن موعد تنفيذ العملية بات قريبا لإرغام السوريين علـــى تبــادل الأســـرى.

حرص ايهود علـــى إعــداد مخططـــات للعمـــل علـــى الخيـــارين –الســـوري والمصري– وقال لأعضاء الدورية، يجب أن تكونـــوا علـــى أهبـــة الاســـتعداد لصـــدور الامر في كل لحظة. لقد أمن ايهود فـــي أعقـــاب عمليـــة (ســـابينا)، إن هيئـــة الأركـــان ستعتمد، منذ الآن، الدورية، لتنفيذ العمليات من هـــذا القبيـــل، وكـــان يعتمـــد فـــي ذلـــك على رئيس الأركان بن اليعيزر، لكن ليس عليه فقط. فقـــد كـــان واضحـــا لـــه أن قـــائد سلاح المظليين والمشاة العميد رفائيل ايتان، يتطلع إلى تولي مثـــل هـــذه العمليـــة.

كان ايهود يلجأ، في مثل هذه الحالـــة، إلـــى ممارســـة ســـبق لـــه أن جربـــها، حيث كان يُبقي نائبه يتوم في الدورية، ويحتـــل لـــه مكانـــا دائمـــا فـــي مكتـــب رئيـــس شعبة العمليات، الذي ما كان يبعد عن مكتب رئيـــس الأركـــان ســـوى أمتـــار معـــدودة. لقد كانت لديه علاقات قوية مع كبـــار ضبـــاط هيئـــة الأركـــان فـــي أعقـــاب الســـنوات العشرة التي قام خلالها بتنفيذ العديد مـــن العمليـــات مـــن هـــذا القبيـــل، والتـــي شـــغلت هيئة الأركان كلها. وبالتالي احتفظ لنفسه بميزة واضحـــة علـــى رفـــائيل ايتـــان، وعلـــى قادة الوحدات الأخرى، الذين كـــانوا يفتشـــون عـــن عمليـــات كبـــيرة لوحداتـــهم. وقـــد أحب قادة هيئة الأركان الظهور بمعية قائد الدورية المشـــهور، ممـــا وفـــر لـــه فرصـــة جيدة لإقناعهم بأن الدورية، هي الخيار الأنجح لمثـــل هـــذه العمليـــات.

وفي مطلع حزيران، وصلت إلى هيئـــة الأركـــان معلومـــات تفيـــد أن هنـــاك ضباطا سوريين رفيعي المستوى سيقومون بجولة في لبنـــان. وقـــد قـــام (منـــو شـــيكد) بالاتصال هاتفيا بايهود، ونقل إليه معلومات حول ذلـــك، ممـــا جعـــل ايـــهود يـــدرك أن الامر يتعلق بنصب كمين للضباط الســـوريين لاختطافـــهم.

وفي الثامن من حزيران تلقى ايهود برقية مفادهـــا أن طـائرة هليوكبـتر تقـل رئيس الأركان وقائد القطاع الشـــمالي مردخـاي جـور سـتهبط فـي قـاعدة وحدتــه للاجتماع به اجتماعا هاما. كان بــن اليعـيزر ضابطـا عمليـا. وقـد اسـتهل حديثـه بالقول: غدا، ظهرا، سيقوم ضباط رفيعو المســتوى بـالتجوال علـى الحـدود اللبنانيـة في قاطع وادي (شوبا)، واشك في أن تتوفر فرصـــة أخـرى كـهذه لاختطـاف ضبـاط سوريين هل بمقدورك التخطيط والتنفيذ في إطار هــامش زمنـي كـهذا؟؟"

كان ايهود يعرف وادي شوبا جيدا، فـــهو منطقـة صعبـة للحركـة، ويوجـد فيها تلال صخرية كبيرة، وأشجار تجعل الشــروط مناسـبة لتنفيـذ العمليـة. بيـد أنـه نصب كمين بواسطة نقل جنود هي مســألة ليسـت سـهلة، خصوصـا عندمـا يتعلـق الامر بالرغبة في إلقاء القبض علـى أحيـاء.

قال ايهود لبن اليعيزر وجور: "ســنبذل قصـارى جـهدنا، سـنجري منـاورة للتنفيذ، ويجب أن نحصل على صـــورة جويـة واضحـة للمكـان، وسـنتدارس بعـض التفاصيل مع قائد القاطع المذكـــور.

وبعد ثلاث ساعات سنعرف كل ذلك. وكي نتوجــه إلـى هنـاك ليـلا، يجـب أن نتحرك من الوحدة في حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر علـــى أبعـد تقديـر".

حاول ايهود استخلاص معلومات أخرى من بن اليعـيزر، بيـد انـه قـال لـه: لا أستطيع تقديم معلومات أخرى، فشـــعبة الاسـتخبارات لـم تسـتكمل ملـف العمليـة بعد، لكنني اقترح أن تعد القوة للاتجاه شـــمالا، وسـيقدم لكـم (جـور) قـائد القطـاع، جميع المساعدات التي تطلبونـــها.

كان جور أكثر، شكوكية من رئيس هيئـــة الأركـان، فطلـب منـه ايـهود أن يبقى، ليرى المناورة التي سيجريها بعد ســاعتين، بيـد أن مردخـاي لـم يكـن قـادرا على البقـاء.

لم يكن ايهود يدري أن قائد القطاع كان متضايقـا جـدا، مـن هـذه العمليـة، التي هبطت عليه في وقت كان يعد فيه العدة، للقيـــام بمنـاورة كبـيرة، وقـال لرئيـس الأركان بغضب: إن قيادته ليست مستعدة لتنفيذ مثل هذه العملية التـــي قـد تـؤدي إلـى

إضرام النيران على طول خط الجبهة، بيد أن بن اليعازر لم يتراجع، وأمره أن يعلن حالة الطوارئ في قيادة قطاعه، وأن يدفع دبابات وبطاريات مدافع باتجاه الحدود. وفي نفس الوقت، بعث ايهود، يوني نتنياهو على رأس قوة إنقاذ، من مقاتلي الدورية.

وفي نفس الليلة، دخلت قوة من الدورية بأمر من ايهود، إلى الأراضي اللبنانية، وقد انطلقت القوة من إحدى القواعد في جبل (دوف) وشقت طريقها على المنحدرات عبر أشجار كثيفة. وبعد حوالي كيلومترين، قطعت الاتصالات مع جميع القيادات، باستثناء غرفة العمليات المتقدمة لقائد لواء القاطع، (تسوري سرجي).

بدأت التساؤلات تأتي إلى ايهود، عبر غرفة العمليات، فقد نقل إليه قائد القطاع، رسالة عبر تسوري سرجي: "هل تعرف أن هناك حاجزا للجيش اللبناني على بعد ٣٥٠ مترا من مكان الكمين؟؟.

-ايهود: نعم، أنا اعرف ذلك.

-جور: هل يوجد جنود في الحاجز؟؟

-ايهود: من الجائز وجود جنود لقد بنينا خطتنا على أساس وجود جنود في الحاجز، وإذا ما حاولوا التدخل فسوف تقوم وحدة الاستطلاع الغربية، بالتعامل معهم".

-تسور: يأمرك مردخاي بالعودة، وهو لا يوافق على إتمام العملية.

- ايهود: لقد شاهدنا الحاجز في الصور، وهو يضم عددا يتراوح بين ٦-٩ جنود لبنانيين وسنعرف كيف سنتعامل معهم. مضت خمس عشرة دقيقة، شديدة التوتر، وعندما شرعت القوة في اجتياز المياه المتدفقة في وادي شوبا، واستعدت لتسلق مئات الأمتار على كتف الوادي، باتجاه الكمين المخطط، جاء الامر قاطعا: عودوا، بيد أن ايهود لم يستجب لها، لكن القيادة كررت الامر، فعض بروج على نواجذه بغيظ، وقال لقادة الخلايا همسا: يجب أن نعود. كان الشعور بخيبة الأمل يرافق أعضاء الدورية طيلة طريق

العودة، وقد صبوا جام غضبهم على قائد القطـاع، واعتـبر ايـهود إلغـاء العمليـة بمثابة عدم ثقة بقدرتـه.

حـاول رئيـس الأركـان تهدئـة غضـب ايـهود، وقـال لـه: أن السـوريين سيقومون، في غضون أيام معـدودة، بجـولات أخـرى علـى طـول الحدود. مما حدا بايـهود لتكثيـف التدريبـات علـى تنفيـذ العمليـة، التـي أعطيـت اسـما شـيفريا هو (ارجـاز-٢).

لم يمض وقت طويل، حتى أخرجت عمليـة (ارجـاز-٢)، إلـى حـيز التنفيـذ الفعلي، ففي ساعات الليـل المتـأخرة، دخلـت القـوة إلـى الأراضـي اللبنانيـة، فيمـا انتظرت قوة أخرى، بقيادة (موكـي تسـور) فـي ثـلاث سـيارات (لاندروفـر) علـى طريق الدوريات. على أهبة الاستعداد لاقتحـام الحـدود اللبنانيـة.

وكي يزيل تسور الشـكوك، أوقـف السـيارات بـالقرب مـن موقـع الأمـم المتحدة، وزعم أن إحداها معطوبـة.

أشرف ايهود، ومعه عوزي ديان على الكميـن الرئيسـي، فـي حيـن اشـرف بنيامين نتنياهو على قوة الحجز، على منحدر الطريق، علـى بعـد ثمانمائـة مـتر إلـى الشمال، كما اشرف موكي بتسار على القوة التـي بقيـت فـي الأراضـي الإسـرائيلية، والتي حددت مهمتها في التعـامل مـع القـوات اللبنانيـة التـي قـد تحـاول التدخـل، والمشاركة عند الضرورة. أما عميث بـن جوريـن، فقـد تـرأس سـرية مـن وحـدة (أجوز) وقام بأعمـال الاتصـال والتنسـيق بيـن غرفـة العمليـات المتقدمـة لرئيـس الأركان، وقائد القطاع مردخـاي.

تمركزت قوة بروج قريبا من أحد المنحنيـات الحـادة قـرب هضبـة مرتفعـة على الطريق اللبناني، وقـد قـدر ايـهود، أن المركـب السـوري كلـه سـيخفف مـن سرعته بالقرب من الهضبة، وحينها سيصبح من الأسهل شـن الـهجوم علـى الضبـاط السوريين، ووقفت القوة بكاملـها، بانتظـار القافلـة السـورية. وفجـأة، اقـترب أحـد الرعاة اللبنانيين بقطيعة من القوة التي لم تجد مناصا مـن إلقـاء القبـض عليـه وتقييـده وتحذيره من انه إذا ما حاول القيام بأي حركة، فسـوف يصفـى فـورا.

أفاد بنيامين نتنياهو، في جهاز الاتصال، انه يسمع صوت اقتراب سيارات، وفجأة بدت بشائر قافلة عسكرية، وعلى رأسها سيارة لبنانية مدرعة. توقفت المدرعة قرب المكان الذي كانت تكمن فيه قوة نتنياهو، ووجهت مدفعها باتجاه الحدود الإسرائيلية، وترجل منها الجنود اللبنانيون، واقترب اثنان منهم حتى خطوات معدودة من قوة نتنياهو، بيد انهم عادوا، وبدأوا في إعداد قهوة والإعداد للعب طاولة الزهر.

استعدت قوة نتنياهو لإمكانية السيطرة على الجنود اللبنانيين، بيد انهم عادوا بعد حوالي نصف ساعة إلى المدرعة، وواصلوا حماية المنطقة.

وفي نفس اللحظة، ظهرت سيارة سوداء من طراز (ليموزين) على منحنى الطريق، ترافقها سيارتان أخريان وسيارة (لاندروفر). وفي نفس الوقت، أفادت التقارير، أن هناك مدرعة أخرى تتمركز على الصخور على بعد كيلومترين.

لم يكن ايهود قادرا على الاتصال من منطقة الكمين برئيس الأركان وقائد القطاع، بيد انه قدم إليهما تقارير عبر "عميت بن جورين".

أعطى ايهود أمرا لقوته بالاستعداد للهجوم، وكانت المدرعة تقف على بعد ثمانمائة متر إلى الشمال، على منحدرات الطريق، مهددة المنطقة المحيطة بمدفعها، وعلى بعد سبعين مترا، كمنت قوة نتنياهو.

اتصل ايهود بنتنياهو، وسأله: هل أنت جاهز؟؟ فرد نتنياهو: نعم.

اتصل ايهود برئيس الأركان، وشرح له الوضع، وقال: ستهاجم قوة ايهود اللاندروفر والسيارتين. وفي نفس الوقت ستقوم قوة نتنياهو بإطلاق قذائف (الآر بي جي) وقنابل مضادة للدبابات على المدرعة، ويختفي وسط العواسج المتشابكة. وسيتم نقل الضباط السوريين المخطوفين على الأقدام في طريق لا تستطيع اللاندروفر أو المدرعة السير فيها، وعلى أية حال، لا توجد رؤية مباشرة بين المدرعة والقوة المركزية. أوعز ايهود لرجاله بالاستعداد للهجوم، في الوقت الذي كانت فيه المدرعة اللبنانية تقف قريبا من سيارة (الليموزين) مهددة بمدافعها.

كان رئيس الأركان، وقائد القطاع يشعران بالقلق من المدرعة اللبنانية، وفي نفس الوقت استعد موكي بتسار للاختراق السريع للحدود اللبنانية، عندما سمع صوت ايهود في جهاز الاتصال يقول: انهم يقتربون مني، سيارة جيب لاندروفر، بل سيارتا لاندروفر وسيارة ليموزين سوداء، وسيارة إضافية.

سمع موكي بتسار صوتا يقول في جهاز الاتصال "توقف"، وتمكن بتسار من تمييز صوت مردخاي جور، الذي كان يدير العملية مع رئيس الأركان من غرفة العمليات. كان رئيس الأركان يطالب ايهود بوقف العملية.

بيد أن ايهود رد عليه قائلا: "كل شيء على ما يرام، نحن على استعداد، لا توجد أي مشكلة في التغلب على اللاندروفر، ونتنياهو سيعالج المدرعة".

أخذ رئيس الأركان زمام القيادة، وقال: "لا. لا تنفذ". بيد أن صوت ايهود جاء في جهاز الإرسال قائلا: أرجو أن تعطيني إذنا بالتنفيذ". كانت لهجة ايهود مليئة بالغضب والتوتر، "إنني أراهم، إنهم يقتربون مني، انهم على بعد أمتار معدودة مني وأستطيع الهجوم الآن.

-بن اليعازر: لا، لا أوافق.

راقب جنود الدورية القافلة وهي تندفع متسلقة الطريق بأعين تتميز غيظا. وقد بذل ايهود محاولة أخيرة، طالبا السماح له بالتنفيذ، بيد أن رئيس الأركان رفض الطلب.

وفي كتابه "جندي يسري"، كتب موكي بتسار فيما بعد، حول هذه العملية: "كانت تلك اللحظات اكثر اللحظات التي شهدتها إحباطا في حياتي، لقد شعرت أنني أخون طيارينا في السجن السوري".

طوى ايهود أجنحته، وعاد بالقوة راجلا عبر الأشجار الكثيفة وقد طلب منه رئيس الأركان، وقائد القطاع أن يحضر معه قادة المجموعات لاستجوابهم حول العملية.

وعندما عقد الاجتماع تحدث الضباط بصورة خشنة للغاية مع رئيس الأركان وقائد القطاع، أما ايهود فلم يتكلم، وطلب أن يبقى وحده مع بن اليعيزر ومردخاي، بيد أن الاثنين طلبا منه أن يتحدث أمام الضباط.

استهل ايهود كلامه بصوت منخفض نسبيا، اخذ يعلو رويدا رويدا، قائلا: "لم اكن أتوقع في يوم من الأيام، أن يؤدي وجود سيارة مدرعة لبنانية إلى جعلكما تلغيان عملية. لقد اتخذنا استعدادنا مسبقا، لاحتمال مرافقة مدرعة لبنانية لقافلة الضباط، إن وجود مدرعة على بعد ثمانمائة متر من الكمين، يمكن أن يكون مؤثرا، لقد كان بمقدور نتنياهو أن ينهي هذا الوضع بضربة النيران الأولى، بيد أن قراركما أدى إلى إلغاء العملية. ولربما أن هذه الفرصة كانت آخر فرصنا لتحرير طيارينا من الأسر السوري. لديكما تجربة عسكرية غنية جدا، وأنا واثق من أنكما ما كنتما لتترددا في الموافقة على التنفيذ، لو أنكما شاهدتما ما شاهدته على ارض الواقع.

كان بن اليعازر ومردخاي جور يصغيان إلى أقوال ايهود، كطفلين يتعرضان للتوبيخ من المعلم. واصل ايهود قائلا: إن الأسوأ من كل هذا، هو أنكما تسببتما في دفعنا في المرة القادمة على عدم إحاطتكما علما بجميع المعلومات المتوفرة لدينا ميدانيا، وذلك خشية أن تتخذوا قرارا تندمون عليه في المستقبل- على غرار ما حدث اليوم.

بدا بن اليعيزر شديد الحرج والضيق، فهذه أول مرة، يقوم فيها ضابط برتبة مقدم بتوبيخ رئيس الأركان وقائد القطاع أمام ضباط صغار، ورغم ذلك، لم يحاول إسكاته.

حملق بن اليعيزر في ايهود وضباط الوحدة، وقال: ربما نكون قد أخطأنا، بيد أنني واثق أنه ستتاح لنا فرصة أخرى.

كانت الأجواء صعبة للغاية في الدورية، فهذه هي المرة الثانية التي يتم فيها إلغاء العملية وقد أعلم نتنياهو، ايهود، بأنه سينهي خدمته في الجيش غدا، لقد

أرجأ عملية إنهاء الخدمة المرة تلو الأخرى، كـــي يشـــارك فـــي العمليـــة، وقـــال: "أنـــا مسافر للدراسة في بوســـطن".

مضت عدة أيام، وبدأ العمل من أجل إخراج عمليـــة (ارجـــاز-٣) إلـــى حـــيز التنفيذ الفعلي وإزاء العبر التي استقاها ايـــهود مـــن العمليتيـــن الســـابقتين، فقـــد عمـــل على تغيير مكانه في العملية، وأوكل القيـــادة الميدانيـــة إلـــى يونـــي نتنيـــاهو- ربمـــا يكون قد فعل ذلك تعويضا له على عدم مشـــاركته فـــي عمليـــة (ســـابينا) وفـــي عمليـــة (ارجاز-٢)، وعين عوزي ديان نائبا له، وقرر الإشـــراف علـــى العمليـــة مـــن مركـــز القيادة الأمامي القريب جدا من رئيس الأركان وقـــائد القطـــاع. وقـــال لموكـــي بتســـار، ربما يبدو ما أقوله لـــك غريبـــا، لكننـــي لـــن أســـتطيع ضمـــان تنفيـــذ العمليـــة إلا إذا تواجدت في غرفة العمليات الأماميـــة.

كان ايهود يحب في يونـــي رصانتـــه وجديتـــه وتمسكه بالمهمـــة الموكلـــة إليه. وفي إحدى التدريبات على العملية، ابتســـم أحـــد الجنـــود الـــذي كـــان يلعـــب دور القوة المهاجمة للقافلة السورية. فـــأوقف يونـــي التدريـــب، وجمـــع الجنـــود، وصـــرخ فيهم قائلا: بهذا الأسلوب لن تستطيعوا إلقاء القبض علـــى ضبـــاط ســـوريين للأبـــد. ثـــم واصل التدريب، وعندما وصلت الســـيارات التـــي تحمـــل الجنـــود الذيـــن يمثلـــون دور الجنرالات السوريين، هاجمهم يوني ، وفتـــح بـــاب الســـيارة، وجـــذب الجنـــدي الـــذي يمثل دور ضابط سوري من شعره بكـــل قوتـــه.

اخذ الجندي المذكور يشتمه، وهـــو يقـــول: مـــا الـــذي تفعلـــه، لقـــد خلعـــت شعري من جذوره، فالتفت يوني إلـــى جنـــوده، وقـــال: هـــذا مـــا يجـــب أن تفعلـــوه، اجذبوهم من شعورهم بمنتهى القوة كي تســـيطروا عليـــهم".

اجتازت قوة يوني الحدود في تمـــام الســـاعة الثالثـــة فجـــرا، وكـــي يمكـــن مواجهة احتمال مشاركة مدرعة لبنانية فـــي حمايـــة قافلـــة الضبـــاط الســـوريين، تقـــرر إلحاق مدرعتين إسرائيليتين بقوة يوني ، وأوكلـــت إلـــى موكـــي بتســـار مهمـــة قيـــادة قوة الحمايـــة.

وفي ساعات الظهر، أفاد المراقبون أن هنـــاك قافلـــة تقـــترب، وشـــاهدوا فـــي مناظيرهم سيارة لاندروفـــر تتقـــدم، وخلفـــها ســـيارتان مدنيتـــان الأولـــى مـــن طـــراز (ايمبله) والثانية (اوســـتن).

أمر ايهود المدرعتيـــــن أن تكونـــا علـــى أهبـــة الاســـتعداد لاجتيـــاز الحـــدود اللبنانية، وأمر يوني بالاتجاه فورا إلى الطريـــق اللبنـــاني.

اجتازت المدرعتان الحدود اللبنانيـــة، واتجـــهتا نحـــو القافلـــة، وتوقفتـــا علـــى بعد عدة أمتار من اللاندروفر اللبنـــاني. فوجـــئ الجنـــود اللبنـــانيون، وحدثـــت معركـــة سريعة وقصيرة، قتل خلالها خمسة جنود لبنانيين، واصيـــب ضـــابط ســـوري بجـــراح.

اندفع عوزي ديان باتجاه الضباط الجالســـين فـــي الســـيارة (ايمبلـــه) البيضـــاء، وصرخ فيهم بالإنجليزية أن يستسلموا، بيـــد انـــهم حـــاولوا الفـــرار، فـــأطلق باتجاهـــهم عدة عيارات تحذيريـــة.

صرخ أحد الضباط السوريين بالإنجليزيـــة (No blood) -بـــلا دمـــاء، ورفـــع يديه، في حين حاول ضابط آخر الفرار، بيد أن يوني وضابطـــــا آخـــر ســـيطرا عليـــه بالقوة. لقد كان هذا الضابط يحمل اكبر رتبة بين ضبـــــاط القافلـــة. وقـــد نجـــح ضـــابط آخر في الفرار مستغلا الفوضى التي عمت المكـــان، فطـــارده موكـــي بتســـار، الا انـــه اختفى وسط الأشجار الكثيفة. كما تمكنت ســـيارة اللاندروفـــر ومعـــها ســـيارة أخـــرى من الفرار داخل قرية مجاورة، وقد طاردهم جنود الدوريـــة داخـــل القريـــة، بيـــد انـــهم لم يستطيعوا العثور عليـــهم.

جلس "عوزي ديان" خلـــف مقـــود الايمبلـــة البيضـــاء وقادهـــا وفيـــها خمســـة ضباط سوريين إلى الأراضـــي الإســـرائيلية، وبـــالقرب مـــن الحـــدود كـــان بالانتظـــار رئيس الأركان وقائد القطاع وايـــهود بـــروج، ولـــم ينجـــح بـــن اليعـــيزر فـــي ضبـــط عواطفه، فعانق ايهود بحرارة، ومر بين الضباط الذيـــن شـــاركوا فـــي العمليـــة وربـــت على كتف كل واحد منهم، وقال: "آمل أن تلغـــي هـــذه العمليـــة الآثـــار التـــي خلفتـــها العمليتان اللتان ألغيناهما في السابق، لقد اصبح لـــدى الســـوريين حـــافز يرغمـــهم علـــى إعادة طيارينا، ففي قبضتنا خمســـة ضبـــاط رفيعـــي المســـتوى، بينـــهم ضـــابط برتبـــة

جنرال، وضابطـــان برتبـــة عقيـــد مـــن ســـلاح الاســـتخبارات التـــابع لســـلاح الجـــو السـوري.

انتقلت عملية المعالجة منذ تلك اللحظـــة إلـــى الكـــادر السياســـي، الـــذي قـــرر عدم الإعلان عن عملية الاختطاف كي لا يخزي الســـوريين، وبغيـــة إتاحـــة الفرصـــة، لإجراء عملية تبادل ســـريعة.

وفي نفس الليلة، تم إرسال رسالة ســـرية إلـــى الســـوريين عـــبر الأمـــيركيين جاء فيها: "في قبضتنا خمسة ضباط رفيعـــي المســـتوى، ونحـــن علـــى اســـتعداد لعـــدم الإعلان عن القضية برمتها إذا ما وافقتم على تبـــادل الأســـرى، ونحـــن علـــى اســـتعداد لإطلاق سراح الضباط صبيحة الغد مقـــابل طيارينـــا".

وفي صبيحة اليوم التالي جاء الرد الســـوري: "نحـــن علـــى اســـتعداد للتبـــادل السريع". فوجئت جولدا مائير بســـرعة الـــرد، وقـــررت تصعيـــب الشـــروط، فطلبـــت مقابل إطلاق سراح الضباط السوريين، اطـــلاق الطيـــارين الإســـرائيليين فـــي ســـورية، والطيارين العشرة وجنود سلاح المشاة الأســـرى فـــي أيـــدي المصريـــين منـــذ حـــرب الاستنزاف، لقد آمنت جولـــدا بـــأن العلاقـــات القويـــة القائمـــة بيـــن الرئيـــس الأســـد، والرئيس المصري أنور السادات، ستفضي إلى صفقـــة مشـــتركة. وهكـــذا تـــم تعطيـــل عملية التبادل، وتسرب النبأ إلـــى وســـائل الإعـــلام الأجنبيـــة ومنـــها إلـــى إســـرائيل، ورفضت مصر المشاركة في العملية، حتـــى لـــو كـــان ذلـــك مقـــابل إطـــلاق ســـراح عشرات الجنود المصريين الأسرى لـــدى إســـرائيل.

وفي نهاية المطـــاف يئســـت جولـــدا مـــن إمكانيـــة الربـــط بيـــن الصفقتيـــن السورية والمصرية، فعادت لطرح مطلبها الأساســـي، والمتمثـــل فـــي إطـــلاق ســـراح الطيارين الإســـرائيليين الثلاثـــة بيـــد أن ســـــورية التـــي قـــدرت أن إســـــرائيل حققت مع الضباط وربما أنها تمكنت من أخذ معلومـــات مهمـــة منـــهم، لـــم تعـــد فـــي عجلة من أمرها . وهكذا، لم تتم عملية التبادل إلا بعد ثمانية أشـــهر مـــن تنفيـــذ عمليـــة (ارجـــلز -٣).

بوصفه رئيسا للأركان، كان بن اليعازر يتعرض لضغوط شديدة عندما كانت هناك عملية تلوح في الأفق، ويتوجب عليه اتخاذ قرار بالجهة التي يجب أن تتولى تنفيذها.

فمن ناحية، كان رفائيل ايتان قائد المشاة والمظليين يمارس ضغوطا لإيكال المهمة إليه ومن الناحية الأخرى، كان المقدم شاؤول زيف- قائد الكوماندو البحري يمارس ضغوطا. بيد أن ايهود كان يملك حاسة سادسة تمكنه من إقناع رئيس الأركان وضباطه الكبار بأفضلية دورية هيئة الأركان، وعندما كان رفائيل ايتان، وشاؤول زيف يريان، بروج، وهو يهبط درجات قيادة هيئة الأركان وهو يحمل على كتفه حقيبة الخرائط، كانا يدركان انهما خسرا العملية.

اصبح ايتان أحد اشد خصوم ايهود بروج، في حين نمت علاقة حميمة بين ايهود واللواء ارئيل شارون، قائد القطاع الجنوبي في مطلع السبعينات، فقد طور شارون نظرية عمل خاصة، لمكافحة الإرهاب في غزة، وكان جنود الدورية ينفذون هذه النظرية في غالبية الاحيان.

لقد بدأ التعارف بين شارون وايهود نهاية عام ١٩٦٤، عندما كان ايهود بوصفه نقيبا شابا يقود إحدى عمليات الدورية في الشمال، وقدم العقيد شارون رئيس هيئة أركان القيادة الشمالية- التوجيهات الأخيرة لوحدة التنفيذ. وقد اعجب بروج بشارون الذي لم تفته شاردة ولا واردة في ضرورة التنفيذ إلا وذكرها لأعضاء الوحدة، وقد اعتاد ايهود تقدير شارون، منشئ الوحدة (١٠١) الشهيرة.

وفي عام ١٩٧٢ حظي ايهود بوصفه قائدا لدورية هيئة الأركان -في أعقاب عملية (سابينا)، بالإطراء والثناء من قبل شارون. وقال : "لقد كنتم جيدين، هكذا ينبغي العمل". وألمح شارون إلى ايهود، أنه سيحظى في قطاعه بعمل مهم، وكشف أمامه النقاب، عن الاستعدادات التي يقوم بها لمحاربة "الإرهاب" في قطاع غزة. سر ايهود جدا فقد اعتبر العمل في قطاع غزة بمثابة فرصة جيدة لإثراء تجربة طواقم الدورية الشبان.

وفي صيف ١٩٧٢ توجه ايهود إلى قيادة القطاع الجنوبي في بئر السبع، وكان شارون في أوج عملية توجيه لطاقم تنفيذي، وقد سر شارون لرؤيته، ودعاه للانضمام إليه.

فوجئ ايهود، عندما شاهد إلى جانب كبار ضباط القطاع، جنودا برتبة رقيب وشارون يحلل أمامهم الأحداث التي سيواجهونها في العملية، والجميع يشاركون في هذا التحليل ثم تطرق شارون إلى تحليل عملية إلقاء قنبلة على أحد ضباط هيئة أركان قطاعه في غزة إبان تنقله وحده في سيارة جيب، واعتقد شارون أن رد فعل الضابط لم يكن على ما يرام، أدرك شارون دهشة ايهود، وقال له موضحا: أنا أؤمن بالعمل الجماعي، بدءا من كبار الضباط حتى اصغر الجنود، لان هذه الطريقة هي وحدها الكفيلة بجعلهم يفهمون ما يقصده بالضبط وبهذا الأسلوب ينقل إليهم الحماس، وروحية القائد إلى جميع المنفذين، موفرا على نفسه أسابيع طويلة من العمل الروتيني والتعليم البطيء للجنود. وفي أعقاب الاجتماع التوجيهي آنف الذكر دعاه شارون إلى مكتبه. وهناك عرض عليه ايهود خطة تنفيذية لاختطاف طيارين وضباط مصريين، بغية الضغط على مصر، للموافقة على عملية التبادل. وأعرب ايهود عن تذمره جراء عدم موافقة هيئة الأركان على مثل هذه العملية، جراء الاستعدادات المعقدة التي تحتاجها العمليات، وبسبب المشاكل الاستخبارية التي تتطلبها. وقال : أننا على استعداد للعمل في غضون أربع وعشرين ساعة، بيد أن وتيرة هيئة الأركان لا تجارينا.

قال شارون: "تعالوا إلي، وستحصلون عندي على كل شيء. مكتب قيادة، واتصالات. أنا سأهيء لكم كل شيء، تحدث مع (شاي تماري) ضابط شعبة الأركان، وقيادتي ستقدم لكم جميع المساعدات التي تطلبونها".

لقد أحب أيهود العمل مع شارون، وأدرك انه سيجد لديه دائما مهام مثيرة وغزيرة. لقد أدى العمل مع شارون إلى تمكن جميع طواقم عمل هيئة الأركان من خوض عمليات في قطاع غزة، واكتسبوا خبرة واسعة في المهمات الخاصة التي أعدها لهم قائد القطاع.

لقد صمد التحالف الذي قام بين الاثنين في بيارات غزة، زمنا طويلا، وأيد شارون، أيهود، طيلة فترة عمله، وخصوصا في مواجهة رفائيل ايتان، فقد أعتبر أيهود تواصلا للوحدة (١٠١).

لقد تحولت دورية الأركان في عهد أيهود من وحدة تنفيذية تابعة لشعبة الاستخبارات العسكرية، إلى وحدة خاصة متميزة لهيئة الأركان كلها.

لقد حاولت الحكومة الإسرائيلية استغلال الشهرة التي اكتسبها أيهود، كقائد لدورية هيئة الأركان، وكضابط قادر على تنفيذ جميع المهام في الخامس من أيلول ١٩٧٢. فقد سيطر صبيحة هذا اليوم مسلحون فلسطينيون من منظمة (أيلول الأسود) على مساكن الوفد الرياضي الإسرائيلي إلى أولمبياد ميونيخ، وأخذوهم رهائن. وطالب المسلحون مقابل إطلاق سراح الرياضيين الإسرائيليين إطلاق سراح معتقلين فلسطينيين، وطلبوا من الحكومة الألمانية طائرة لمغادرة ألمانيا مع رهائنهم.

كان وزير الدفاع موشيه ديان، على اتصال هاتفي متواصل مع رئيس مخابرات ألمانيا الغربية، وكان الكثير من الشكوك تراوده منذ البداية في قدرة قوات الأمن الألمانية على إطلاق سراح الرهائن، وفي نفس الوقت كان لديه مرشح للقيام بهذه المهمة ...أيهود بروج وطلب ديان من رئيس الأركان دراسة إمكانية سفر دورية هيئة الأركان إلى ميونخ. بيد أن الوقت كان يمضي بسرعة دون الحصول على الإذن بذلك، فقد رفض الألمان بشدة حتى الالماحات الإسرائيلية لإرسال قوة عمل خاصة.

توجه رئيس الموساد تسفي زمير إلى ميونيخ على عجل، مكلفا بدراسة إمكانية أن يوافق الألمان على إرسال قوة عمل إسرائيلية من دورية هيئة الأركان. وقد وصل زمير بعد الظهر واجتمع فورا بقائد شرطة ميونيخ، وبرئيس المخابرات الألماني. بيد أن الاثنين لم يكونا على استعداد حتى لسماع فكرة إمكانية عمل قوة اجنبية على الأراضي الألمانية.

أدرك أيهود مدى صعوبة تنفيذ عملية تخليص الرهائن، إضافة إلى أنه كان يعتقد أن الألمان يفتقرون إلى التجربة، على هذا الصعيد كما انه أدرك أن المسلحين استقوا العبر من عملية (سابينا).

وعندما جاءت بشائر الأنباء بفشل القوات الألمانية، كان أيهود حزينا جدا، فقد اعتقد ولا زال، انه كان بمقدور دورية هيئة الأركان النجاح في المهمة.

الفصـل التاســـع

أيهود في قلب بيروت
تقمص شخصية امرأة وساهم في تصفية
ثلاثة من القادة الفلسطينيين

لا زال (موكي تسور) يتذكر الاجتماع الخاص الذي عقده ايهود لكبار ضباط الدورية في شباط ١٩٧٣. كان ايهود مسرورا للغاية، وعيناه تشعان بريق الفرح، وأخرج من مظروف كان معه ثلاث صور، وضمها إلى صدره.

كان الضباط متوترين، فهم لم يعرفوا بعد السبب الذي جعل ايهود يدعوهم إلى الاجتماع. استل ايهود الصورة الأولى ووضعها على المنضدة، وقال: محمد يوسف النجار، قائد جماعة أيلول ، ثم وضع الصورتين الأخريين، وقال: كمال عدوان -مسئول العمليات لحركة فتح في إسرائيل، ورئيس شعبة العمليات الخاصة لمنظمة فتح، وكمال ناصر الناطق باسم ياسر عرفات. وبدا أن جميع الضباط اصبحوا اكثر توترا، فقد أدركوا أن العملية، هذه المرة، هي عملية خاصة جدا.

فرد ايهود على المنضدة خارطة لمدينة بيروت، وقال: كمال عدوان، وكمال ناصر يسكنان هنا في الطابق الثاني والرابع، وبالقرب منهما يسكن أبو يوسف النجار".

أدرك قادة الدورية، أن ذلك يعني أن الدورية ستتوجه إلى بيروت لتصفية القادة الثلاثة.

واصل ايهود كلامه: "لدينا كل شيء، بما في ذلك وصف كامل للحي، ونحن قادرون على الوصول إليهم. وسنصل إليهم، يجب البدء بالعمل".

لم يضع موكي بتسار كلمة واحدة، فقد أدرك منذ وصوله إلى الدورية قبل سنة، إنها تختلف في طبيعتها عن أي وحدة أخرى، سبق له أن عمل بها. فالعمل الوظيفي داخل الدورية يختلف عنه في أي وحدة أخرى، حيث العلاقة القائمة بين الضباط هي علاقة وطيدة، وتتسم بالصداقة وصريحة ومنفتحة. كانت العملية ذات هدف واضح، يتمثل في تصفية الزعماء الثلاثة في فراشهم في قلب بيروت.

أدخل ايهود في روع ضباطه، وجنوده، الاعتقاد بأنه ينتظر منهم تفكيرا جذريا، وخلاقا وبدأ كل منهم يدلي بدلوه ويطرح أفكارا تتعلق بكيفية الوصول إلى الهدف وتنفيذه، والعودة بسلام.

سجل ايهود جميع الأفكار على ورقة، أمامه بيد انه رفض فكرة واحدة فورا بقوله: لن نصل إلى الهدف بطائرات هليوكبتر، ولن نكرر أسلوب العمل في عملية مطار بيروت، لان الضجة التي تثيرها الطائرات ستكشفنا. سنصل إلى الهدف عبر البحر، كسياح، وكعشاق، وسنعمل بالتعاون مع الموساد، وسيقوم عملاء الموساد باستباقنا، وسيزودنا بسيارات في نقطة الإنزال على البحر، كي توصلنا إلى هدفنا، وتعيدنا إلى نقطة الإنزال مجددا. وكشف ايهود النقاب لضباطه عن أن الصناعات العسكرية الإسرائيلية، شرعت في صناعة بندقية عوزي صغيرة (ميني عوزي) –حسب طلبه – مزودة بكاتم صوت لتزويد مقاتلي الدورية بها.

لقد بدأت الاستعدادات لهذه العملية قبل شهرين، إن وصول معلومات إلى إسرائيل، تفيد بان بعض قادة المسلحين الفلسطينيين – ومن ضمنهم بعض المشاركين في التخطيط لمذبحة الرياضيين في ميونيخ يسكنون في حي (الرملة البيضاء) في شمال غرب بيروت. توجه اللواء (يكوتيئل آدم)– الذي كان معارا آنذاك للموساد، –إلى رئيس الموساد، وطلب منه أن يتدارس مع ايهود، فيما إذا كانت دورية هيئة الأركان قادرة على تنفيذ العملية.

تم استدعاء ايهود إلى قيادة الموساد، ومعه (امنون بيران) رئيس شعبة العمليات في الدورية، وطرحت أمامه المعلومات، وبدا واضحا له أن على الدورية مفاجأة الثلاثة بيد أنه كانت هناك مشكلة: ففي مدخل كل منزل تواجد حارس، أضف إلى ذلك أن المداخل كانت تبقى مضاءة طيلة الليل.

قال ايهود: "هناك مشكلة، فالتخطيط لمثل هذه العملية، يتطلب حصولي على معلومات أخرى حول الحراسة، والشقق، وقوات الجيش والشرطة اللبنانية الموجودة في المكان، والاهم من كل هذا، ما إذا كان القادة الثلاثة يتواجدون في

الشقق طيلة الليل؟؟" طلب الموساد مهلة زمنية لعدة أسابيع، وفي نهاية الامر، احضر جميع المعلومات اللازمة وحينما درسها ايهود، قال (ليكوتنيل آدم): أنا على استعداد لتنفيذ هذه المهمة.

قرر وزير الدفاع موشيه ديان، توسيع العملية بحيث تصبح اكبر عملية يتم تنفيذها في لبنان. وكان ديان على قناعة بأن رئيسة الحكومة (جولدا مائير)، ستصادق على أي عملية، هدفها تصفية المسئولين عن عملية مقتل الرياضيين الإسرائيليين في ميونيخ. فقبل عدة أيام وجهت أمرا إلى رئيس الموساد، بأن يعمل على مطاردة، أولئك المسئولين في كل مكان بالعالم.

ولم يكن ديان مخطئا في اعتقاده، فما كادت جولدا تسمع أن أحد أهداف العملية، هو أبو يوسف النجار، النائب الأول لياسر عرفات، وأحد كبار المخططين لعملية ميونيخ، حتى وافقت فورا، على الشروع بالتخطيط للعملية.

قال وزير الدفاع لرئيس الأركان: "هذه العملية فصلت بصورة خاصة على مقاس ايهود بروج، ودورية هيئة الأركان".

مضى شهر دون أن تتناهى إلى ايهود أي معلومات حول العملية، وكان وزير الدفاع قد قرر، في تلك الآونة توسيع العملية بحيث تشمل قيادة الجبهة الشعبية القريبة من مخيم اللاجئين صبرا الواقعة جنوبي بيروت. وقد تم إيكال هذه العملية إلى المقدم (امنون ليفكين شاحك) رئيس كتيبة الشبيبة الطلائعية -الناحل- المظلي، الامر الذي حول العملية إلى عملية معقدة.

وحينما لم يسمع ايهود شيئا عن العملية، اخذ إجازة، وذهب لقضائها في ايلات، وصبيحة أحد أيام السبت، تلقى مكالمة تطلب منه المثول على عجل، في مكتب رئيس الأركان، في تل أبيب. وفي المكتب، وجد بانتظاره رئيس الأركان ونائبه ومساعد رئيس شعبة الأركان اللواء (يونه افراتي) و)(منو شيكد) الذي عين لتوه قائدا لسلاح المظلات.

كان (منو) قد قدم خطة أعدتها قيادته لاغتيال (مسلحين) يسكنون في شارع الفردان في بيروت. وفهم ايهود من الحديث، أن الامر يتعلق بتنفيذ عملية

لاغتيال (المسلحين) الذين كان يجب أن يقـوم هـو بالعمليـة لاغتيالـهم. وقـد تحدثـت خطة (منو شيكد) عن تفعيل عشرات الجنود في خلايـا تنفيـذ وحراسـة.

انتظر بن اليعيزر بأناة وصبر، حتـى انتـهى منـو مـن شـرح خطتـه، ثـم توجه إلى ايهود وقال له: ما رأيك فـي الخطـة؟؟

- ايهود : بتوجيه من يكوتئيل آدم ويونه أفراتـي قمنـا بدراسـة هـذا الـهدف قبـل شهر، وباعتقادي أن التنفيذ ممكن بخطة أخرى تتوخـى مفاجـأة (المسـلحين) فـي بيروت، وعلى أن تستغرق دقائق معدودة فقـط، إذا لـم نتـورط، ويشـارك فيـها عدد من الجنود لا يتجاوز خمسة عشـر جنديـا.
- بن اليعيزر: متى تقدر على تقديم خطـة لذلـك؟؟
- ايهود: غدا، إذا أطلقـت سـراحي الان.
- بن اليعيزر: اذهب لوضع الخطة، وسيشارك في العمليـة اربـع أو خمـس قـوات في آن واحد في بيروت، بيد أن هذا الجزء هو أهمـها علـى الإطـلاق وسـنمنحك أفضلية في اختيار زمن البدء، وستكونون أول مـن يفتـح النـار، وسيشـرف منـو شيكد على العملية كلها، من زورق حربي فـي البحـر.

في صبيحة اليوم التالي، قدم ايهود الخطـة إلـى رئيـس الأركـان، ثـم إلـى موشيه ديان. طلب ديان أن يعرف فيمـا إذا كـانت هنـاك معلومـات متوفـرة حـول استعدادات (المسلحين) والجيش اللبناني فـي المنطقـة، فقـدم ايـهود وممثلـو الموسـاد وشعبة الاستخبارات العسكرية المعلومات التي بحوزتـهم. واتضـح أن هنـاك تواجـدا كبيرا لقوات الأمن اللبنانية (والفدائيين) في المكان، وعلـى مسـافة قليلـة مـن الـهدف، توجد نقطة شرطة للجندرمة اللبنانية. وقد سـأل ديـان، ايـهود، فيمـا إذا كـان قـادرا على التنفيذ في ظل هذه الشروط؟؟ فقال ايـهود بثقـة : نعـم، نسـتطيع التنفيـذ. وتـم تحديد العملية "أفيف نيعوريم" – ربيـع الشـباب.

وافق وزير الدفاع على مهاجمة جميع الأهداف فـي نفـس الليلـة، بمـا فيـها قيادة الجبهة الشعبية في قلب بيروت، فقـد اعتقـد أن مهاجمـة عـدة أهـداف فـي آن

واحد في بيروت، ستشغل قـوات الأمـن اللبنانيـة، وتتيـح الفرصـة لجنـود الدوريـة العمل بحريـة.

-ايهود: ما فرصة موافقة رئيسة الحكومة علـى التنفيـذ؟؟

-ديان: "جولدا ستصادق، ولن تكون هناك أي مشكلة معـها، إنـها تنتظـر منـذ زمـن طويل مثل هذه العمليـة".

ثار جدل في إحدى جلسات قادة الدورية حـول الغطـاء الـذي يجـب عليـهم تدبيره كي يتمكنوا من الوصول من البحـر إلـى الـهدف، فـاقترح موكـي بتسـار أن يمثل المقـاتلون دور العشـاق، فيقـوم الجنـود أصحـاب الأجسـام الضخمـة بـدور الرجال، في حين يقوم صغار البنية بدور النساء. ويخيل إلـي أن وجـه وجسـم ايـهود يرشـحانه لأن يكـون صبيـة (برونتـب شـقراء)، وكذلـك عمـيرام ليفيـن وليونـي رفائيلي، -الذي انضم إلى القـوة-.

كلفت قيادة العملية بشـراء باروكـات الشـعر المسـتعار المطلوبـة وتوجـه المشاركون في العملية إلى المحلات التجارية واشترى كـل منـهم حلـة زرقـاء. وقـد اختار ايهود فستانا نسائيا، وطلب أن يكون واسـعا عليـه بعـض السـنتمترات. بـدا أن البائعين مندهشون، فلم يكن ايـهود أول شـاب يدخـل إلـى الحـانوت لشـراء فسـتان ويقول نفس العبارات، وصعب عليهم أن يفهموا هذا العـرض الجديـد للأزيـاء.

وتم تفضيل استخدام بندقية عوزي دون (أخمـص) -عـن العـوزي الجديـدة، التي لا زالت حتى ذلك الحين، في مرحلـة التطويـر، وقـد تـم فحـص عـدة أسـلحة أجنبية، بيد إنها بدت غير ملائمة للعملية. وتم اختيـار عبـوات ناسـفة خاصـة، خفيفـة الوزن بيد أنها شديدة المفعول من أجل تحطيم أبواب شـقق الشـخصيات الثلاثـة، كمـا اعد كل طاقم حقيبة (جيمس بوند)، وضع فيها سـلاحا أبعـد مـدى، وعبـوات ناسـفة بوزن ٢٥٠ غرام لكل عبـوة.

فتش ايهود عن مبنى مشابه للمبنـى الـذي يعـتزم مهاجمتـه فـي بـيروت، وبعد بحث طويل عثر على مبنى في طور البناء مشـابه لـه فـي أحـد ضواحـي تـل أبيب. وبينما الطاقم الذي يقوده ايهود يقـوم بمنـاورة تتمثـل فـي الـهبوط بـالزوارق

على ساحل تل أبيب، ثم يشنون على المنزل المذكور هجوما سريعا، فوجئوا بإحدى دوريات الشرطة الإسرائيلية لم يتمكن رجال الشرطة من استيعاب المنظر الذي شاهدوه سيارات مدنية تتوقف بالقرب من مبنى في طور الإنشاء، ويترجل منها أشخاص بلباس مدني، ويشرعون بالسير باتجاه المبنى وكل واحد يمسك بيد الآخر، وقد استعد قائد الدورية لحمل جميع هؤلاء الأشخاص الغرباء إلى قيادة الشرطة، وفجأة برز من الظلام شخص بلباس مدني كان ذلك الرجل منو شيكد، طلب منو من الضابط أن يترك المجموعة وشأنها، بيد أن الضابط لم يكن على استعداد لعمل ذلك. فقال له (منو) سيأتي يوم وتدرك ما الذي تفعله.

كانت إحدى المشاكل الصعبة التي واجهت ايهود هي إعداد الطواقم، حيث لم يكن أي من الضباط أو الجنود على استعداد للتخلي عن ليلة في بيروت. مما اضطر لاتخاذ قرار الحسم والذي لم يكن سهلا احيانا. أما اصعب المشاكل فجاءت مع نائبه يوني نتنياهو. فقد قرر ايهود إبقاء يوني في الوحدة لمواصلة التدريبات بيد أن نتنياهو لم يكن على استعداد حتى لسماع ما قاله، وقال لايهود، لقد تركت كل شيء خلفي وعدت للخدمة -للجيش- فقط من أجل خوض مثل هذه العمليات. ولا توجد عمليات كهذه كل يوم، أنا بحاجة للتجربة والتفكير هكذا فقط يتم بناء القادة. لقد منحك ابراهام فرصة، ويجب أن تمنحني أنا أيضا فرصة.وفي نهاية المطاف عثر ايهود على حل: "خلية موكي بتسار عملت وحدها في بيت أبو يوسف، وإذا ما أصيب أحدهم فان الاثنين الآخرين سيجدان صعوبة في حمله إلى الخارج، وفي نفس وقت تنفيذ العملية، وإذا ما قبل بتسار انضمامك إليه كمقاتل رابع، يمكنك مرافقتنا، وإذا قال موكي نعم، فلا أعارض".

كان يوني ارفع رتبة من موكي ولم يكن بمقدور موكي أن يرفض الطلب. وكانت مهمة هذه الخلية تتمثل في اقتحام منزل أبو يوسف النجار في شارع الفردان في بيروت.

وفي أحد التدريبات التي أجريت على النموذج المشابه، بحضور رئيس الأركان وقائد سلاح المشاة، فاجأ بن اليعيزر الطاقم بالقول: "عدو من الخلف،

لديكم جريح"، وفيما هاجم موكي العدو الوهمي، قـام يونـي بحمـل (تسـبيكة) -أحـد أعضاء الخلية- الجريح، خارج المبنى. بيد أن بن اليعـيزر لـم يكـن راضيـا، وقـال: أن عملية الانسحاب كانت بطيئة جـدا.

وكلما اقترب موعد التنفيذ، كلما أصبحـت التدريبـات أصعـب، وقـد تسـلق الجنود سلالم العمارة، ونزلوا منها عشرات المـرات ليليـا.

كان ايهود ينتظر فـي مدخـل المبنـى، ويضغـط كـل مـرة، علـى جـهاز (موتورولا) الموجود معه -جـهاز إرسـال- وهـي العلامـة المتفـق عليـها لتفعيـل العبوات الناسفة على جميع الأبواب فـي المبنييـن.

كانت الحقيبة التي تضم تفاصيل العملية تتضخـم يومـا بعـد الآخـر، وتـزداد المعلومات التي فيها حول الأهداف المرشحة للاغتيـال. فقـد عـرف أعضـاء الطـاقم، مثلا، أن كمال عدوان وكمـال نـاصر، يسـكنان فـي عمـارة واحـدة، أحدهمـا فـي الطابق الثاني، والآخر في الطابق الرابع أمـا أبـو يوسـف فكـان يسـكن فـي بيـت قريب، في الطابق السادس. وكان معظم سكان الحـي مـن رجـال الأعمـال اللبنـانيين الأثرياء والدبلوماسيين الغربييـن.

ولم تكن شخصيات الثلاثة تخفى علـى أي مـن السـكان، فقـد كـان الثلاثـة يحظون بحراسة دائمـة.

شرع عملاء الموساد يقطعون المنطقـة طـولا وعرضـا، ويجمعـون جميـع التفاصيل: الحراسة، الروتين، طرق الوصـول، وطـرق الانسـحاب.

وفيما بعد، قال أبو اياد – صـلاح خلـف- انـه حـذر الثلاثـة مـن وضـع الحراسـة المرافقـة لـهم، وقـال: "ذات يـوم سـتهبط طـائرة هليوكبـتر إسـرائيلية وتختطفكـم".

أتمت هيئة الأركان ملـف عمليـة "ربيـع الشـباب" وبـدأ رئيـس الأركـان يضغط على وزير الدفاع للحصول على موافقة سـريعة علـى العمليـة، قـائلا: "هـذه الفرصة لن تتكرر"، بيد أن ديـان كـان مـترددا، ويخشـى مـن التـورط فـي قلـب عاصمة عربيـة.

نشرت الجرائد الأجنبية في أعقاب العملية تحقيقا حولها، جاء فيه: أن سائحين سجلا اسميهما في فندق (ساندس) المطل على ساحل البحر في بيروت الغربية في الأول من نيسان ١٩٧٣. وقد سجل الأول نفسه باسم جيلفر ريمبود – رجل أعمال بلجيكي، وقد قدم على متن طائرة لوفتهانزا من فرانكفورت، أما الثاني فهو ديتر التنتسور وقد قدم هو أيضا على متن لوفتهانزا، وحمل جواز سفر ألمانيا.

وبعد خمسة أيام سجل ثلاثة سياح آخرين أنفسهم، باسم: اندرو فيتشواي، وقد بدا جنتلمان بريطانيا من الجيل القديم، وشارلس بوسار وهو رجل أعمال بلجيكي، وجورج الدر، وهو إنجليزي، وصل في طائرة بريتيش ايروفيز من لندن.

وفي نفس الليلة، سجل في فندق (اتلانتك) الواقع على بعد قليل من مساكن الأهداف الثلاثة سائح إنجليزي باسم اندرو ميسي، وقد عمل على إقامة علاقة ودية مع موظفة الاستقبال، وكان يسألها بين الفينة والأخرى عن أماكن قضاء الوقت على طول متنزه المشاة، وبدا مهتما بصورة خاصة بالطقس، وارتفاع الأمواج.

وبناء على تحقيقات الصحف الأجنبية، فإن ميسي هو كبير عملاء الموساد الذين قدموا إلى بيروت قبل العملية. وكان الستة يلتقون كل ليلة على متنزه المشاة البحري، بيد انهم ما كانوا يجتمعون معا، كما قام كل منهم باستئجار سيارة أميركية فاخرة من شركات تأجير السيارات، وواحد منهم فقط استأجر سيارة رينو.

ودع رئيس الأركان في العاشر من نيسان القوة المتوجهة إلى بيروت، والتي كانت على وشك الإبحار. بدا بن اليعيزر شديد التأثر، ولم يستطع ايهود، في تلك الاونة، أن يدرك مدى حجم المسئولية الملقاة على عاتق قائد الجيش الذي يرسل خيرة مقاتليه إلى قلب عاصمة معادية. وكان بن اليعيزر قد تعهد قبل ليلة واحدة، أمام رئيسة الحكومة، أن يعود المقاتلون بسلام.

لم يكن الجيش الإسرائيلي قد سبق له العمل في قلب إحدى العواصم المعادية. وقد سأل رئيس الأركان قائدي القوات ايهود وأمنون شاحك. هل كل شيء على ما يرام؟؟ وكان الاثنان يقولان له: نعم، قدر الإمكان.

وقبل الصعود إلى ظهر الزورق الحربي، ألقى رئيس الأركان كلمة في الجنود، تحدث خلالها عن التكليف، والحوافز، والحذر أثناء التنفيذ واختتم كلمته بالقول: "اقتلوا هذه القذارة وعودوا إلى البيت بسلام".

نهض موكي بتسار، وقال: سيدي رئيس الأركان: هل قلت اقتلوا؟؟".

رمق بن اليعيزر رئيس شعبة الاستخبارات ايلي زعيرا –الذي كان يقف قريبا- بنظرة سريعة وقال: "نعم، اقتلوهم".

ودع رئيس الأركان القوات، وقد كان هناك إضافة إلى ايهود وأمنون شاحك، عموس يارون، وشموئيل برسيورجر وشاؤول زيف. وكان لكل قوة مهمة محددة. لقد كانت الطواقم بمثابة "طواقم الأحلام" بالنسبة للجيش الإسرائيلي. وقد اشرف على العملية كلها "منو شيكد".

قال رئيس الأركان، وهو يصافحه: "أعد لي هؤلاء المقاتلين بسلام"، فقال شيكد: أعدك بذلك".

أبحرت تسع سفن وزوارق حربية تابعة لسلاح البحرية غربا باتجاه عرض البحر، ومن هناك سيسيرون في الطريق البحري الدولي، ثم سيتجهون ليلا إلى بيروت.

كانت مهمة امنون ليفكين شاحك، تتمثل في اقتحام قيادة "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" وكان ايهود يعرفه من عمليات تخطيط وتنفيذ سابقه، بيد إنها كانت المرة الأولى التي يشتركان معا في نفس القوة المقاتلة.

كان ايهود يكن تقديرا كبيرا جدا لامنون شاحك، وهدوئه وقدرته الطبيعية على القيادة ويدرك أن المهمة التي سينفذها، لا تقل عن مهمته تعقيدا.

بينما كانت السفن الحربية الإسرائيلية تمخر عباب البحر، وقعت في نيقوسيا، عاصمة قبرص دراما، فقد هاجم مسلحون من "أيلول الأسود" طائرة

إسرائيلية تابعة لشركة (أركيع) كانت على وشك الإقلاع إلى تل أبيب بيد أن حارسي الطائرة الإسرائيليين فاجآ المهاجمين وأطلقا عليهم النار، فقتلوا اثنين منهم، بينما ألقت الشرطة القبرصية القبض على الثالث. واعتقلت الحارسين الإسرائيليين للتحقيق.

وفي ساعات ظهر نفس اليوم، انفجرت قنبلة في منزل السفير الإسرائيلي في قبرص (رحاميم تيمور) والذي كان في تلك الآونة في طريقه إلى المطار.

تساءلوا في هيئة الأركان، فيما إذا كانت عمليتا قبرص ستعرقل عملية ربيع الشباب؟؟ وقال وزير الدفاع لرئيس الأركان أن جولدا مائير قلقة، بيد أن رئيس الأركان أوصى بأن تتم العملية مثلما خطط لها، وطلب من رئيس الموساد، (ايلي زعيرا)، أن يفحص في بيروت ما إذا كانت استعدادات المسلحين في بيروت قد تغيرت؟؟ وقد جاء الرد من بيروت قائلا: الوضع هادئ تماما.

يكره ايهود بطبيعته عمليات الإبحار الطويلة، وقد قضى غالبية وقته على السفينة وهو يتقيأ،ولم يسترد طبيعته الا عندما شارفت السفن على الساحل اللبناني، فاصلح المكياج الأزرق تحت عينيه.

وقبل وصولها إلى ساحل بيوت بعدة كيلومترات افترقت السفن الخمس، فتوجهت زوارق الصواريخ (حوريب وايلات- وسوفة، ومسجافا)- التي تنقل القوة المنقذة باتجاه ساحل بيروت، وبدأت تستعد لإنزال الزوارق المطاطية.

وفي حوالي منتصف الليل، توقفت سبع سيارات مأجورة قرب الساحل، وكيلا تثير الشبهات، توقفت كل واحدة على بعد عدة عشرات الأمتار من الأخرى، وقام سائقوها بإعطاء إشارات باتجاه البحر. كانت تلك إشارات متفقا عليها، بأن كل شيء على ما يرام.

لم يلاحظ عملاء الموساد خلال آخر جولة قاموا بها، باتجاه الهدفين: شقق القادة الفلسطينيين الثلاثة وقيادة الجبهة الشعبية، وجود أي تحركات غير عادية. بيد أن شيئا ما أثار لديهم عدم الارتياح، فقد لاحظوا وجود حركة غريبة على الشاطئ من الحرس اللبناني.

جلس ايهود بروج في الزورق المطاطي القائد، وتـــابع بعينيـه حركـة الزبـد الأبيض للأمواج. كان عدد قوة دورية هيئة الأركان عشـرة أشـخاص. تـم توزيعـهم على خمس خلايا. وقد اشرف عميرام لفين علـى قـوة الحمايـة، فـي حيـن أشـرف موكي بتسار، وأميتي نحماني، وتسبيكة، علـى طواقـم التصفيـة.

كانت هناك ثلاث سيارات بانتظار طـاقم ايـهود، وأربـع سـيارات بانتظـار طاقم امنون شاحك. وقد جلس عملاء الموساد خلـف مقـاود السـيارات.

جلس ايهود بجوار السائق في السـيارة القـائدة، وهـي مـن طـراز (بويـك سكيلرك)، وجلس خلفه موكي بتسار ويونــي ، ليونـي رفـائيلي وتسـبيكه. انطلقـت السيارة من موقعها بهدوء كي لاتثير الشكوك، وسـارت السـيارتان الأخريـان خلفـها، ليس قريبا جدا، بيد أنها حافظت على المسافة التي تتيح لكل منـها رؤيـة الأخـرى.

قال عميل الموساد لقد تجولت قبل برهـة وجـيزة بـالقرب مـن الـهدف، ولا اشعر بالارتياح، هناك حركـة نشـطة لسـيارات الجندرمـة اللبنانيـة، وهـي مـزودة بمدفع رشاش. هل تعلم أن هنـاك محطـة للجندرمـة، علـى بعـد مـائتي متر مـن الهدف؟؟ وهناك شخص يرتدي زيا عسكريا في مدخل الشارع، علـى بعـد مائـة مـتر من موقف السيارات الذي سنطلق منه إلى الشقق". عـض ايـهود علـى ناجذيـه. لقـد تذكر اللحظات الأخـيرة فـي عمليـة (ارجـاز -٢)، عندمـا ألغـى رئيـس الأركـان العلمية في اللحظات الأخيرة خشـية التـورط.

تساءل موكي بتسـار الجـالس خلفـه عمـا إذا كـان ايـهود سـيعلم القيـادة بالمعلومات الجديدة أم لا؟؟ وسرعان مـا جـاءه الـرد، حيـث قـال ايـهود: واصـل المسيرة. وتفحص باروكة الشعر النسائية فوق رأسـه. كـان ليونـي رفـائيلي يضـع هو الآخر باروكة شـعر شـقراء. بـدأت السـيارات تدخـل. المنطقـة المكتظـة فـي بـيروت.

وعلى إحدى إشارات الطريق، توقفت سيارة ايـهود، والـى جوارهـا توقفـت سيارة فارهة، تجلس على مقودها امرأة جميلـة، وقـد نظـرت باتجـاه موكـي بتسـار

وابتسمت فبادلها الابتسام. وفكر، لو أنها تعــرف إلــى أيــن تتجــه لاختفــت ابتســامتها فــورا.

خفف عميل الموساد من ســـرعته، كــي لا يثــير الشــبهات، وبــالقرب مــن مفترق الطرق التالي، لاحظ وجود شــرطة لبنـانيين. فكـر موكــي بتســار فــي تلـك الآونة في الطيارين الأسرى، وتمنى أن لا يقوم ايــهود بــإعلام (منــو شــيكد) بوجــود رجال الشرطة اللبنانيين، خشية أن يتصل منو برئيــس الأركــان، والــذي يقــوم بــدوره بإعلام ديان، ومن ثم جولدا مائير، التي قد تــأمر بوقــف العمليــة. وقــد أشــار رجــل الموساد إلى الشرطة، فقال ايهود: "شــاهدتهم، واصــل المســيرة".

تسلقت السيارة الطريق حتى وصلت إلى شــارع الفــردان، ثــم توقفــت أمــام أحد المنازل. ترجل موكي أولا: وفتح الباب لايهود بـــروج الــذي يرتــدي زي امــرأة، ووضع يديه حول كتفي ايهود وضمه إلى صدره، وقال لـــه: "الوضــع يذركنــي برمــا" : كان ايهود شديد التوتر، ولاحظ انـــه لا وجــود لرجــال الشــرطة اللبنــانيين. وفجــأة قدم رجلا شرطة لبنانيــان فــهمس بتســار فــي أذن ايــهود: "نحــن ســياح، وســوف يعملان على إخلاء الطريق أمامنـــا".

أنزل بتسار يده من حول كتف ايــهود وهمـــا يتجــهان مباشــرة نحــو رجلــي الشرطة، على أهبة الاستعداد لاستلال مسدسه ومهاجمـــة الشــرطيين. وكذلــك ايــهود. بيد انه لم تكـــن هنــاك أي ضــرورة لذلــك، فقــد أخلــى الشــرطيان الطريــق أمــام العاشقين، وقد اصطدم أحدهما بكتف بتســـار واعتـــذر.

توجه الاثنان نحو الباب الزجــاجي المــؤدي إلــى البيــت الموعــود، وحــاول ايهود فتحه، وتمكن من ذلك. كان موقف الحارس فـــي مدخــل العمــارة فارغــا. تــرك بتسار ايهود، وصعد السلالم، وبعـــد حوالــي نصــف دقيقــة، وصــل بــاقي أعضــاء الخلية، وصعدوا السلم خلف بتســـار.

وفجأة، خرج شخص من سيارة حمراء، مـــن طــراز (دوفيــن) كــانت تقــف على الجانب الاخر من الطريق، وأخذ يقطع الشارع. ولاحظ ايـــهود انــه فتــح معطفـــه الجلدي، واخرج من داخله مسدسا، فاستنتج أنـــه الحــارس.

تقدم الحارس باتجاه ايهود وعميرام لفين وعندما اصبح على بعد عشرة أمتار أشار ايهود إلى ليفين كي يستعد. ولدهشة الحارس البالغة، فتحت المرأتان الواقفتان الجاكيتات وأخرجتا رشاشين، واسندتا ظهريهما إلى أحد الأعمدة، وفتحتا النار. أطلق الحارس عيارين، ثم تراجع ركضا إلى السيارة بينما المرأتان تطلقان صليات نارية باتجاهه. احتمى الحارس الجريح خلف (مصطبة) حجرية على الجانب الآخر من الطريق وقد أصابت إحدى العيارات صافرة السيارة الحمراء، وتسببت في حدوث (تماس) جعل السيارة تطلق صفيرها حتى انتهت العملية.

كانت الساعة الواحدة وتسعا وعشرين دقيقة، وقد ألغى صوت العيارات النارية المفاجئة، مما جعل الجنود يغيرون صعودهم الحذر إلى ركض سريع.

لاحظ ايهود بطرف عينيه أن الأضواء اضيئت في شقتين في العمارة: الطابق الثاني، والرابع، وفي الطابق السادس من عمارة أخرى. مما يعني أن تشخيص الهدف كان صحيحا، بيد أن عامل المفاجأة انتهى.

حدث كل شيء بعد ذلك بسرعة. فقد تسلق بتسار وطاقمه الدرج بسرعة إلى الطابق السادس، في حين اتجه طاقما نحماني وتسبيكة باتجاه الشقتين المخصصتين لهما.

احتل ايهود إحدى الزوايا المشرفة على شقق القادة الثلاثة، في حين بقي ليفكين ودوف بار ضابط التنسيق للكوماندو البحري في وضع المراقبة في الشارع.

قفز بتسار كل ثلاث درجات معا، مع التأكد بأن تسبيكة وليوني ويونه يتبعونه. وصل الثلاثة إلى باب شقة أبو يوسف، فنقر بتسار على جهاز الإرسال ثلاث نقرات، وبعد ثوان سمع خمس نقرات من ايهود دلالة على أن بالإمكان اقتحام الشقة. فجر المهاجمون الباب بالمتفجرات، وكانت المعلومات التي بحوزتهم تفيد بأن أبو يوسف سيكون في غرفة الضيوف في الجناح الأيسر للشقة، بيد أن الانفجار جعل أبو يوسف يقفز من مكانه ويتجه نحو الباب بالبيجاما، وحالما شاهد المقتحمين أدرك ما يدور.

أطلق يونه النار عليه من مسافة قريبة، وقبـــل أن يصـــاب، حـــاول فتـــح درج المكتب وإخراج المسدس، كما ســــارعت زوجتــه نحــو يونــه فــي محاولــة لحمايــة زوجها، بيد إنها أصيبت بالعيارات، وقد صرخ أبو يوسف بشــــيء مــا قبــل أن يســقط أرضا. جمع تسبيكة وليوني مئات الوثائق المختومــة بخــاتم حركــة فتــح، ووضعاهــا في صندوق، واتجها نحو الــدرج بســرعة.

سمع قائد الجندرمة فـــي المركــز الواقــع علــى بعــد مــائتي مــتر صــوت العيارات النارية وصفير السيارة، فأرسل ستة رجــال شــرطة فــي ســيارة لاندروفــر، كي يعاينوا ما يحــدث.

بعد عــدة ثــوان مــن إطــلاق النــار علــى الحــارس فــي الشــارع ظــهر اللاندروفر في الشارع، ففتح ايـــهود وعمـــيرام لفيـــن ودوف بــار والدكتــور شــموئيل كيتس الذي شارك في العملية، عليـــه النــار، ممــا جعــل اللاندروفــر ينحــرف عــن مساره، ويصطدم بالسيارات في الشارع. فتح قســم مــن رجــال الشــرطة النــار، فــي حين أصيب بعضهم، واحتمى البقية مـــن النـــار.

وفي نفس الوقت، بدأ الطاقمـــان الآخــران عملــهما. فتسـلق طــاقم نحمــاني إلى الطابق الثاني. حيث مـــنزل كمــال عــدوان. وحطمــا بــاب المــنزل بــالركلات، واقتحما المنزل. واكتشف نحماني كمال عدوان، الــذي حــاول الاختبــاء خلــف إحــدى الستائر، وأطلق النار باتجاه المقتحمين من بندقية رشاشـــة كــانت معـــه، ممــا أدى إلـــى إصابة أحد الجنود إصابات خفيفة، فـــي حيــن أصيــب عــدوان وســقط قتيــلا. وفــي الغرفة المجاورة اكتشف الجنود زوجتــــه وابنــــه، بيــد أنــهم لــم يؤذوهمـــا، وجمعــوا بسرعة الوثائق الموجودة وغادروا المكان، علــى عجــل. جلــس كمــال نــاصر خلــف مكتبه في شقته الواقعة في الطابق الرابع في نفس المبنـــى، وأكمــل الكلمـــة التـــي كـــان يعتزم إلقاءها أمام كبار ضباط حركة فتـــح غـــدا.

وقد شاهده تسبيكة، حينما تم اقتحام المنزل، وأطلق النـــار عليـــه عـــن قـــرب، وقد حاول كمال الوصول إلى المسدس الذي كـــان قريبـــا منـــه، بيـــد أن تســـبيكة غـــير مخزن بندقيته، وأطلق عليه صليـــة أخـــرى.

حدثت ضجة في مفترق الطـــرق القريـــب مـــن شـــقق القـــادة الثلاثـــة، فقـــد وصلت سيارة لاندروفر أخرى تابعة للشرطة اللبنانيـــة إلـــى المكـــان، وجابهـــها بـــروج ومن معه -بعد أن انضم إليه موكي بتســـار بقوتـــه- بنـــيران حاميـــة، وقـــد اصطـــدم اللاندروفر الثاني باللاندروفر الأول، وتوقفت النيران التي كـــانت تنطلـــق منـــه.

نزلت خليتا كمال عدوان وكمال نـــاصر إلـــى الشـــارع، وكـــان أحـــد الجنـــود مصابا بجراح خفيفة فقام الدكتور كيتـــس بربـــط الجـــرح بســـرعة وقـــد حـــث ايـــهود الطواقم على الدخول إلى السيارات التـــي أخـــذت تتجـــه إلـــى الشـــارع بســـرعة. وقـــد أفادت آخر هذه السيارات، أن هناك سيارة لاندروفـــر ثالثـــة تتجـــه إلـــى المنطقـــة مـــن الجهة الخلفيـــة.

تخيـــل ايـــهود مطـــاردة اللاندروفـــر للســـيارات حتـــى ســـاحل البحـــر، واضطراره، هو والجنود، لمغادرة الســـيارات ومغـــادرة المكـــان تحـــت النـــيران، بيـــد انه سرعان ما قرر الانتظار بعض الوقت والتخلـــص مـــن المشـــكلة بصـــورة جذريـــة، وخرج من السيارة هو و موكي بتسار وجنديـــان آخـــران، واســـتتروا خلـــف الأعمـــدة الرخامية، وفتحوا النار على "اللاندروفر"، توقفـــت ســـيارة اللاندروفـــر فســـارع بتســـار لالقاء قنبلة داخلها، ثم صعد الجميع إلى السيارة التـــي انطلقـــت بـــهم.

أمر ايهود بإلقاء مسامير خاصـــة كـــانت قـــد أعـــدت مســـبقا علـــى طريـــق المطاردة المحتمل في شارع (ابـــن القليـــب). وفـــي غضـــون خمـــس دقـــائق وصلـــت السيارة إلى (متنزة المشاة) على الساحل، فلاحظ ايـــهود أن هنـــاك ســـيارتي لاندروفـــر تقومان بأعمـــال الدوريـــة والحراســـة، فـــأمر الســـائق بتخفيـــف الســـرعة، وواصلـــت سيارتهم مسيرها باتجاه نقطة المغـــادرة.

وعندما أصبحـــوا علـــى الســـاحل تمامـــا، اتصـــل ايـــهود بغرفـــة العمليـــات المتقدمة، وأعلمها بنجاح العمليـــة وبمقتـــل القـــادة الثلاثـــة، وزوجـــة أحدهـــم، وســـبعة جنود لبنانيين، وحارس خاص، وامـــرأة أخـــرى.

تلقى منو شـــيكد تقريـــر ايـــهود، وتنفـــس الصعـــداء، بيـــد أن تنفســـه كـــان للحظات معدودة، لان معركة كانت تدور فـــي تلـــك الآونـــة فـــي مدخـــل مبنـــى قيـــادة

الجبهة الشعبية. فقد قاد أمنون شاحك القوة إلى قيادة الجبهـــة، وكـــان قـــد تـــم التخطيـــط لاقتحامها في الساعة الواحدة وأربع وثلاثين دقيقة أي بعـــــد أربـــع دقـــائق مـــن اقتحـــام منازل القادة الثلاثـــة.

قاد امنون شاحك القوة سيرا علـــى الأقـــدام وبـــبرود أعصـــاب باتجـــاه مبنـــى القيادة، وقد تقدم خلفه حـــاجي معيـــان، وأبيـــدع شـــور- وهمـــا جنديـــان مـــن دوريـــة المظليين- وكانا يرتديان بنطالي (جينز) وقميصين مليونيـــن، وفـــي أيديـــهما مسدســـات كاتمة للصوت. وسار خلفهم ايجـــال برســـلر-قـــائد إحـــدى الفصـــائل فـــي المظـــلات- والذي أصبح فيما بعد مستشارا لشئون الإرهاب لرئيس الحكومـــــة اســـحق رابيـــن.

وبالقرب من المبنى، اصطـــــدم ابيـــدع وحاجـــاي بمســـلحين وأطلقـــا عليـــهما النار عن قرب، وقد قتل أولهما فورا، في حين أصيـــب الآخـــر، وأخـــذ يســـتغيث طلبـــا للمساعدة، ففتحت النيران من كـــل اتجـــاه علـــى المجموعـــة. ممـــا أدى إلـــى إصابـــة ايجال برسلر مباشرة إصابة خطيرة، وقتـــل ابيـــدع واصيـــب حاجـــاي معيـــان إصابـــة خطيرة، توفي على أثرها فيما بعـــد.

أمر ليفكين شاحك قوة التخريب باقتحـــام المبنـــى فقـــام منـــاحم زوتورســـكي - قائد وحدة التخريب اللوائية- ونائبـــه اهـــارون ســـبج باقتحـــام المبنـــى وهمـــا يطلقـــان النار. قام سبج بإخلاء حاجاي معيان المصـــاب بإصابـــة خطـــيرة، وعـــاد إلـــى غرفـــة الدرج التي تواصل فيها القتـــال.

دعا مناحم زوتورسكي بجهاز الإرسال إلـــى إدخـــال متفجـــرات إلـــى المبنـــى، فقام جنود وحدة الهندسة بوضع المتفجرات على أعمدة البيـــت، وبعـــد عـــدة ثـــوان هـــز بيروت انفجار عنيف، وانهارت قيادة الجبهة، وقتـــل عشـــرات المســـلحين الذيـــن كـــانوا داخلها، في حين بدأ الجنود بالانسحاب باتجاه الشاطئ. عـــادت قـــوة ايـــهود فـــي البحـــر إلى ارتداء الملابس العســـكرية. وحينمـــا نـــزل ايـــهود بـــروج وأمنـــون ليفكيـــن مـــن الزورق الحربي في إسرائيل، التقطت لهما صور وهمـــا مقطبـــا الجبيـــن.

واصل ايهود سفره مـــــن مينـــاء حيفـــا حيـــث رســـا زورق الصواريـــخ فـــي طبريا، ودخل إلى شقته في ساعات الفجر الأول، ونام فورا إلـــــى جـــوار زوجتـــه.

وعندما استيقظت (نافا) وجدت إلـــى جـــوار الســـرير حقيبـــة صغـــيرة وفيـــها ملابس مثيرة للفضول، وعندما فتحتـــها وجـــدت فيـــها الملابـــس النســـائية التـــي كـــان ايهود يرتديها. وعندما استيقظ ايهود، كان عليه أن يقـــدم تفســـيرا، بيـــد إنـــها وقبـــل أن تسأله لاحظت المكياج على وجهه وتحت عينيـــــه. فتســـاءلت بدهشـــة عـــن ذلـــك قـــام ايهود برواية ما حدث في بيروت لــ(نافا) من البدايـــة حتـــى النهايـــة.

وبعد مرور خمس وعشرين سنة مـــن تنفيـــذ عمليـــة ربيـــع الشـــباب، لا زال ايهود يرى فيها انجح عملية كومـــــاندو تقـــوم دوريـــة هيئـــة الأركـــان بتنفيذهـــا. لقـــد فصلت العملية بصورة مناسبة جدا للدوريـــــة، ووفقـــا للنمـــوذج الـــذي بلـــوره ابراهـــام آرنان قبل خمس عشرة سنة. لقد كان هناك عملية دمـــج ناجحـــة فـــي (ربيـــع الشـــباب) بين الاستخبارات المتمـــيزة، والتخطيـــط الصحيـــح والذكـــي، والعمـــل المشـــترك بيـــن الأذرع العسكرية: دورية هيئة الأركان، والمظليـــون، والكومـــاندو البحـــري.

وبعد عدة أيام من العملية نشرت جريـــدة الســـفير اللبنـــاني نبـــأ مفـــاده، أن مـــن بيـــن المهاجمين كانت هناك امرأة شقراء فابتسم أيهود وفكر فيمـــن تقصـــد الصحيفـــة؟؟ هـــو ايهود أم ليفكين شاحك أم ليونـــي رفـــائيلي؟؟

الفصل العاشر

من جامعة ستانفورد الأميركية إلى سيناء

كانت عملية ربيع الشباب آخر العمليات الكبيرة التي نفذها ايهود في إطار عمله كقائد لدورية هيئة الأركان، أي أنه وفي أقل من سنة أشرف على العمليات العسكرية الثلاث التي تعتبر أبرز ما نفذته الدورية في تاريخها: عملية تحرير الرهائن من طائرة سابينا، وعملية اختطاف الضباط السوريين، وعملية ربيع الشباب، التي تعتبر درة التاج بين عمليات هيئة الأركان. ولا شك أن أيا من الذين سبقوه لم يصل إلى مستواه التنفيذي.

لقد آن الأوان للسير قدما في الترقي العسكري خصوصا وأن السنتين اللتين خصيصا له في قيادة الدورية انتهتا، ولم تبق سوى مشكلة واحدة هي مشكلة الوريث.

كان هناك ثلاثة ضباط يعتبرون أنفسهم أحق بالوراثة من الآخرين،وهم: يوني نتنياهو وجبورا زوريع، وداني يتوم -الذي لم يكن آنذاك في الدورية. كانت الخيارات الثلاثة متميزة لكن ايهود لم يخف رغبته في نقل عصا القيادة ليوني. إلا انه ولهذا السبب، اقترح عليه الانتظار قليلا، فقد أمن ايهود أن الدورية كإطار معلق، تضع أمام القادة تحديات خاصة، بيد أنها لا تكسبهم تجربة قيادية على صعيد الأطر العسكرية العادية.

أوضح ايهود ليوني ، خلال الحوار الخاص بينهما، أن مسار القيادة للوحدة، يجب أن يمر بالمدرعات، "تحول إلى المدرعات، وتعلم كيف تقود الدبابات، وتعرف على أذرع الجيش الأخرى، وليس فقط المظليين والدورية، وبعد ذلك ستترأس الدورية". أي تماما على غرار المسار الذي اجتازه هو قبل خمس سنوات.

وافق يوني ، وإضافة إلى رغبته في الانخراط في سلك المدرعات فقد كان يرغب في إكمال دراسته، في جامعة هارفارد، بالولايات المتحدة. وبعد أن تلقى وعدا بان يتم ترشيحه لرئاسة الدورية، بعد سنتين، أخلى يوني مكانه لجبورا زوريع.

كان داني يتوم في تلك الآونة- أيار ١٩٧٣- نائب قائد كتيبة دبابات في سيناء، وقد تلقى اتصالا هاتفيا من العقيد دوف تماري -رئيس شعبة جمع المعلومات، في شعبة الاستخبارات العسكرية- يسأله فيما إذا كان معنيا بالعودة إلى دورية هيئة الأركان والتنافس على منصب القائد؟؟ فرد بالنفي، لقد كان معنيا في هذه المرحلة بمواصلة مسيرته في الدبابات.

وفي الأول من حزيران ١٩٧٣ ترك ايهود الدورية، أي بعد حوالي شهر ونصف الشهر من عملية ربيع الشباب. وفي نهاية حفل الوداع، منحه رئيس الأركان بن اليعيزر الوسام الخامس لعمله في الدورية.

وفي نفس هذا الحفل، الذي كان اكبر حفل في تاريخ الدورية- تم بث الفيلم "مهمة مستحيلة" والذي تم إعداده على وتيرة المسلسل التلفزيوني المعروف في تلك الآونة، والذي اصبح أحد الرموز الميثولوجية للدورية.

ومن الجدير بالذكر، أن الفيلم المذكور اعد عام ١٩٧٢، فقد أعدت الدورية حفلا خاصا، وقام ابراهام ارنان بمفاجأة الحاضرين بالفيلم الذي بادر هو إلى طرح فكرته. وقد لعب دور البطولة فيه ابراهام ارنان، دوف تماري، عوزي يائيري، مناحم ديجلي وايهود -أي جميع قادة الدورية باستثناء يوسف قسطل.

وفي بداية الفيلم، يتسلم ابراهام ارنان مظروفا مختوما، يحتوي على أمر بتنفيذ عملية سرية داخل الحدود المصرية. ويأتي صوت رئيس الحكومة على خلفية البث قائلا: "إذا ما نجحت سنسعد بسعادة النصر، وإذا فشلت فستنتصل من جميع المسئوليات".

ويقوم ارنان الذي يرتدي ملابس رئيس المافيا المأخوذ من فيلم "دون كورلياونه"، بعقد اجتماع عاجل لطاقمه الاستشاري للمهمات الخاصة. وحول الطاولة يجلس كبار رجال المافيا، مناحم ديجلي، عوزي يائيري، دوف تماري، وايهود بروج، وهم يرتدون حللا حديثة، وفي يد كل منهم سيجار.

يقوم (الدون) ابراهام بعرض المهمة أمامهم: اختطاف اربع راقصات مصريات وإحضارهن إلى البلاد كي يلعبن دور نجوم الحفلة. ويتم تكليف أربعة

أشخاص بالتنفيذ، هم : ابشه ادموفيتش وجبيلي الصغير، وكوبي يتسيف وايلي جيل. ويتم تنفيذ العملية بنجاح.

قبل تركه للدورية، اجتمع ايهود مع رئيس الأركان بن اليعيزر الذي لم يخف محبته للضابط الشاب، وعرض عليه مسار ترق سريع: دورة (مارينز) – مشاة البحرية الأميركية– في الولايات المتحدة، ووظيفة رفيعة بعد إنهاء الدورة. ومن الجدير بالذكر، أن دورة (المارينز) تعتبر في الجيش الإسرائيلي دورة رفيعة للغاية، ولا يتم إرسال الضباط إليها الا إذا كانوا ضباطا في الوحدات الميدانية وبعد أن يكون قادة الجيش قد اعتبروهم زخما مستقبليا للقيادة الميدانية. وقد سبقه إلى هذه الدورة : رفائيل ايتان، وابراهام ارنان، ومنو شيكد، ودوف تماري، وعوزي يائيري، وعاموس يرون.

–بن اليعيزر: ما الذي تريد عمله حينما تعود من الدورة؟؟

–ايهود : قائد لواء دبابات، لقد عملت كقائد لسرية دبابات، وقائدا لكتيبة مشاة، والتواصل الطبيعي –حسب رأيي– هو قائد لواء دبابات.

–بن اليعيزر: لدي عدد كبير جدا من المرشحين لقيادة اللواء الرابع عشر أو لأي لواء نظامي آخر، بيد انه لا يوجد لدي مرشح جيد لمنصب رئيس شعبة جمع المعلومات في شعبة الاستخبارات العسكرية. ولا اعتقد أن هناك من يمكن أن يقوم بذلك افضل منك، لقد عمل ابراهام ارنان في هذه الوظيفة أيضا، وقام بعمل جيد.

–ايهود : إذا كان الأمر على هذا النحو، فإنني أتنازل عن دورة المارينز، وأفضل أن اذهب إلى جامعة ستانفورد في كاليفورنيا لإتمام رسالة الماجستير في تحليل النظم.

بدا بن اليعيزر مندهشا، وقال: أنت تعرف أن الجيش لا يوافق على إكمال الدراسة في جامعات مدنية.

–ايهود: أرجو أن تسمحوا لي لقد آن الأوان لذلك.

–بن اليعيزر: دعني أرى ماذا يمكننا عمله.

انتهز ايهود فرصة دراسة بن اليعيزر لطلبه وقام بجولات في الوحدات العسكرية المختلفة لوداع الضباط والجنود الذين يعرفهم وقد التقى بلواءين هما إسرائيل طل، وايلي زعيرا اللذين أكدا له، أن لديهم وعودا بان يصبح رئيس الأركان القادم، وألمحا له بان لقاءه القادم بعد عودته، هو في مكتب رئيس الأركان. ولدهشته البالغة، حينما وصل إلى الولايات المتحدة واجتمع بالملحق العسكري اللواء موتي جور سمع منه نفس الأقوال. وقد سجل ايهود لنفسه ملاحظة حول أسلوب التهرب المتبع في الجيش، والذي سيواجهه قريبا.

أثار مطلب ايهود إكمال رسالة الماجستير عدم ارتياح في هيئة الأركان، فقد كان من المتبع حتى ذلك الحين، اختيار ضباط معينين وإرسالهم في دورات ماريننز متقدمة. ولم يكن من المألوف خروج ضباط لإكمال رسالة الماجستير.

ناقشت شعبة الطاقة البشرية في هيئة الأركان الطلب، وقررت رفضه. شعر ايهود بالإهانة، وأعلن اعتزامه أخذ إجازة دون راتب من الجيش -وألا يلتزم بالعودة بيد أن بن اليعيزر لم يكن على استعداد لسماع ذلك، وخشي من أن يستجيب ايهود لعالم رجال الأعمال ويفقده الجيش. وفي نهاية المطاف، وافق الجيش على إكماله لدراسته.

وصل ايهود إلى جامعة ستانفورد باسمه الجديد "ايهود براك" لقد كان حتى تلك اللحظات ايهود بروج، وقرر أن يحول اسم العائلة إلى اسم عبري.

وصلت عائلة براك إلى ستانفورد في آب ١٩٧٣- ايهود و(نافا) وابنتهما ميخل- وكان ايهود مصرا على إنهاء دراسته في اقل من سنتين والعودة إلى الجيش. وهكذا، بعد سنوات طويلة من التخطيط العسكري، والعمليات أخذت عائلة براك تتأقلم مع وضع مختلف تماما وتتمتع بكل دقيقة من الحرية والارتياح النفسي.

وفي السادس من تشرين الأول ١٩٧٣ -أي قبل مضي أقل من شهرين على وصول العائلة إلى ستانفورد- اجتاحت القوات المصرية قناة السويس، واجتاز الجيش السوري الحدود، وفاجأ إسرائيل في حرب تشرين.

سمع ايهود عن بدء معارك حرب عـــام ١٩٧٣ لأول مـــرة مـــن التليفزيـــون، فسارع بالاتصال باللواء موطي جور -الملحق العسكري فـــي الســـفارة فـــي واشـــنطن.

-ايهود : ما هي الأخبـــار؟؟

-موطيه: يخيل إلي أننا لا نخسر حربـــا كبـــيرة.

-ايهود: ماذا تعني بنحن. إننا في واشنطن لواء في وظيفـــة رســـمية، وأنـــا مقـــدم، ولا اعتزم إضاعة الحرب الجارية فـــي إســـرائيل.

-موطيه: ربما من الأجدى أن تصبر يومـــا أو يوميـــن.

-ايهود: ولا حتى لحظة واحـــدة.

-موطيه: هناك مشـــــكلة فـــي الطـــيران إلـــى إســـــرائيل فـــالجميع يريـــــدون العودة إلى إســـرائيل.

-ايهود: أنت ملزم بتدبير مقعد لي على أول طـــائرة إلـــى البـــلاد.

-موطيه: يجب أن تعرف أن هناك ازدحاما كبيرا فـــي مطـــار كنـــدي.

-ايـــهود: ســـــأودع (نافـــا)، وأقلـــع فـــي أول رحلـــة جويـــــة مـــــن ســـــــان فرانســـيســـكو إلى نيويـــورك.

لم تكن هناك معلومـــات كثـــيرة متوفـــرة، وكـــل مـــا كـــان يعرفـــه، هـــو أن الجيشين المصري والسوري فاجـــا الجيـــش الإســـرائيلي، وأن معـــارك طاحنـــة تـــدور في سيناء وهضبة الجـــولان.

وبعد رحلـــة طويلـــة، وصـــل إلـــى مطـــار (كنـــدي) وهنـــاك وجـــد مئـــات الإسرائيليين يناضلون من اجل الحصول على مقعد فـــي طـــائرة العـــال المتجهـــة إلـــى إسرائيل، ولدهشته البالغة بـــرز اســـمه بيـــن أســـــماء المســـــافرين. لقـــد أوفـــى موطيه جور بوعـــده.

وفي نفس اليوم، وصل إلـــى إســـرائيل فـــي رحلـــة مـــن الولايـــات المتحـــدة، ضابط اخر من دورية هيئة الأركان، النقيب بنيامين نتنيـــاهو، لقـــد علـــق هـــو الاخـــر دراسته وعاد إلى إســـرائيل.

وجد ايهود في مطار اللد عوزي ديان بانتظـــاره، وقــد اتجــه الاثنـــان فــورا إلى هيئة الأركـــان.

لقد سبق له أن زار مقر هيئة الأركان عشرات المـــرات، بيــد انـــه لـــم يســبق له أن شاهد مثل هذا الوضع. بدت الوجوه شـــاحبة متعبـــة حـــد الإرهـــاق، وذقـــون لـــم تحلق، وشعور بالارتباك والقلق في العيون، حتى رئيس الأركـــــان بـــدا منـــهكا. ورغـــم ذلك، كان اكثر الضباط الموجودين إصرارا على أن الدنيـــا لـــم تنتـــه، وأننـــا ســـنتغلب على الأزمـــة.

وعندما رأى اللواء اهـــارون يـــاريف رئيـــس شـــعبة الاســـتخبارات الســـابق، عانقه، وقال له: الوضع صعب، صعب، انه لم يكن فـــي أي مـــرة ســـابقة بمثـــل هـــذه الصعوبـــة.

كانت هيئة الأركان قد تلقت قبل برهة وجـــيزة، أنبـــاء حـــول فشـــل الـــهجوم المضاد الذي شنه اللواء (بيرن)، وأن عشـــــرات المدرعـــات التابعـــة لـــه، بقيـــت فـــي ساحة المعركة والنـــيران تأكلـــها. ولأول مـــرة، تـــدرك هيئـــة الأركـــان، أن الامـــر لا يتعلق بضربة عسكرية عـــابرة.

توجه ايهود إلى رئيس الأركان، وقال: "ما هـــو أهـــم مكـــان تريدنـــي فيـــه؟؟" فقال بن اليعيزر: في كل مكـــــان، بيـــد أننـــي اعتقـــد أن أهـــم مكـــان الان هـــو دعـــم المدرعات، اذهب إلى اللواء مردخـــاي تســـيبوري، فـــهو يعمـــل علـــى تشـــكيل كتيبـــة جديدة من مخازن، الطوارئ، ترأس الكتيبة، واخـــتر طـــاقمك مـــن الذيـــن جـــاءوا مـــن الخارج، وتوجه إلى سيناء، فالوضع هناك فظيـــع". وفـــي نفـــس الليلـــة، التقـــى ايـــهود باللواء تسيبوري، وحصل منه على التوجيـــــهات الأوليـــة.

أجرى ايهود الكثير من الحوارات مع الضبـــاط فـــي هيئـــة الأركـــان، والذيـــن اتفقوا على انه في أعقاب تدمير قوة (بيرن)، فإن القـــوة التـــي تفصـــل بيـــن المصرييـــن وتل أبيب، هي قوة اللواء ارئيـــل شـــارون.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء – وبعد ثلاثـــــة ليـــال متواصلـــة مـــن عـــدم النـــوم، وصل المقدم ايهود براك إلى (جولس)، وهناك شـــــاهد مئـــات الجنـــود يجلســـون علـــى

الحشائش أمام قيادة قوات المدرعات، وجميعهم من المتطوعين الذين علقوا تعليمهم في الخارج وأعمالهم، ونزهاتهم، وقدموا لخوض الحرب.

وفي صبيحة اليوم التالي اجتمع مرة أخرى بتسيبوري والذي بدا رغم حالة الإرهاق الشديدة، واثقا من نفسه، وقال لايهود : الوضع سيء للغاية، ويتفاقم، أن الضربة التي لقحت (ببيرن) قد تؤدي لاهارتنا، وبمقدور المصريين الاندفاع شرقا، ولا توجد لدينا قوة لصدهم".

اعد تسيبوري بسرعة، كتيبة دبابات من مخازن الطوارئ: فصيلتان من دبابات (الباتون) التي يعرفها ايهود منذ تدريبه السابق على المدرعات. وفصيل دبابات (سنتوريون) التي لم يسبق له أن تعرف عليها، وفصيل من سلاح المشاة المدرع. وقال لايهود: الدبابة هي الدبابة، توجه مع ما هو متوفر، المهم أن تتجه بسرعة.

أدرك منذ اللحظات الأولى، أن الجنود يرغبون في التوجه بسرعة إلى الجبهة، فالمعلومات التي كانت تصل من الجبهة جعلتهم تواقين للتوجه إلى هناك، على جناح السرعة. ومن بين الضباط الذين كانوا يرغبون في ذلك، كان هناك ضابط شاب نال إعجاب ايهود منذ اللحظات الأولى، ويدعى موشيه (عبري) سوكنيك. ورغم أن الاثنين لم يلتقيا من قبل، الا أن صداقة وطيدة نشأت بينهما، وبقيت زمنا طويلا.

وفي أعقاب لقائه مع الضباط، توجه ايهود إلى وحدة مخازن الطوارئ لأخذ دباباته، وهناك شعر أن الدنيا أصبحت سوداء من شدة الغضب. فقد كان قسم من الدبابات (عاريا) تماما، دون مدافع رشاشة في البرج، وقسم منها دون تلسكوب أو أجهزة تنسيق نيراني. وقبل أن يشرع في الشتم فهم انه لا خيار آخر أمامه، وعليه أن يأخذ الدبابات ويتجه إلى سيناء، وهناك عليه تدبير أموره.

توجه ايهود إلى قيادة اللواء للحصول على أمر مهمة، وقابل قائد القطاع الجنوبي شموئيل جونان (جوروديش)، والذي بدا وكأن العالم كله تداعى فوق

رأسه. وكان الفريق السابق حاييم بارليف، قـد عيـن قبـل يـوم واحـد قـائدا للجبهـة الجنوبيـة.

ضغط (جوروديش) على ايهود، كي يـترك كتيبـة الدبابـات التـي لا زالـت في طور التكوين، وان يتوجه بكتيبـة دبابـات (تـي-٣٤) روسـية سـبق أن غنمتـها إسرائيل خلال حرب ١٩٦٧، والاتجاه نحو البحـيرات المـرة، تحـت غطـاء دبابـات مصرية لتدمير الدبابات المصرية بالقرب من قنـاة السـويس.

وكي يدرس ايهود محور العمليات، طلـب تزويـده بصـورة جويـة، بيـد أن شعبة الاستخبارات أفادت، بأنه لن يتوفر مثل هذه الصور، الا بعـد عـدة سـاعات. وبعد أن درس ايهود العملية، مع نائب قائد الكتيبـة، آفـي رومـانو، أدرك انـه بحاجـة لأربع وعشرين ساعة، لطلي الدبابـات وإجـراء بعـض المنـاورات، لـذا عـاد إلـى جوروديش. وقال له: يجب الانتظار حتى تصل الصـور الجويـة، وهـو الامـر الـذي لم يرق لجورودويش. وقد سمع بـارليف المحادثـة بيـن الاثنيـن، فسـأل جوروديـش عما يقوله ايهود، وحينما أعلمه، قال بارليف: ايهود محـق، ومـن المحتمـل أن نكـون بهذه العملية، كمن يضـرب رأسـه فـي الجـدار. وهكـذا تراجـع جوروديـش عـن العملية، وعاد ايهود إلى كتيبتـه الأصليـة.

عملت الكتيبة في البداية، ككتيبة احتياطيـة، فـي منطقـة (رفيديـم)، وكـانت القيادة تدفع بها إلى الأماكن المختلفة وفقا للتقارير الاسـتخبارية، والتـي لـم تكـن فـي أغلبيتها ذات أساس من الصحة. فقد وصلت معلومـات إلـى قيـادة القطـاع الجنوبـي، حول اعتزام المصريين إنزال فرقة مظليين فـي (رفيديـم)، وشـائعات حـول مخطـط مصري لمهاجمة المواقع المتقدمة للقيـادة الجنوبيـة.

مارس ايهود ضغوطا من أجل تسلم مـهام حقيقيـة، بيـد أن بـارليف، الـذي أعاد التوازن للجبهة الجنوبية، هـذا مـن روعـه قـائلا: "أعـدك أن تقـاتل فـي هـذه الحرب، بيد أننا بحاجة إلى كل دبابة وكل جنـدي وكـل قـائد. يجـب أن نعمـل أولا، على تهدئة الجبهة، كي نتمكن من التفكير والعمـل بعقـل".

في الخامس عشر من تشرين الأول، اجتـــاز المظليـــون بقيـــادة العقيـــد دانـــي ماط قناة السويس. وفي الوقت الذي كانت كتيبـــة ايـــهود تتخـــذ الاســـتعدادات اللازمـــة لاجتياز القناة، تمكن المصريون من قطع محور (طيرطور) المـــؤدي إلـــى القنـــاة.

وفي الســـابع عشـــر مـــن تشـــرين الأول، أرســـلت كتيبـــة المظليـــن (٨٩٠) بقيادة المقدم اسحق مردخاي لفتح المحور المغلق. ولم تكـــن لـــدى قـــائد الكتيبـــة الـــذي نشر قواته واندفع شمالا أي فكـــرة بأنـــه يتجـــه إلـــى حضـــن موقـــع فرقـــة مصريـــة متخندقة بصورة جيدة، ويوجـــد معـــها لـــواء دبابـــات، وبطاريـــات مدفعيـــة وكتـــائب كوماندو مجهزة بصواريخ ســـاجر.

ولم تقم أي جهة في قيادة الجنـــوب، بـــإعلام قـــائد اللـــواء المتحـــرك باتجـــاه خنادق العدو، أن هذا الموقع قصف في صبـــاح نفـــس اليـــوم لـــواء مظلييـــن احتيـــاط، وكتيبة دبابـــات.

أتاح المصريون الفرصة للواء الإسرائيلي للاقـــتراب حتـــى غـــدا علـــى بعـــد عشرات الأمتار من هذا الموقع المعروف باسم المزرعة الصينيـــة. ثـــم فتحـــوا عليـــهم نيران الجحيم، وقد قاتل لواء المظلات بكل ما أوتي من قـــوة، بيـــد أن القـــادة والجنـــود تساقطوا بغـــزارة.

أعلم اسحق مردخاي بصوته الهادئ، القيـــادة، عـــن المعركـــة الشرســـة التـــي يخوضها ضد قوات كبيرة والإعداد الكبيرة التي سقطت مـــن قواتـــه. ورغـــم أن القـــائد حاول السيطرة على أعصابه الا أن الوضع كان ســـيئا للغايـــة، فقـــد كـــان المصريـــون يهددون في كل لحظة بالهجوم وإغراق المظلييـــن المنـــهكين بـــالنيران.

في حوالي الساعة الرابعة صباحا أيقظوا ايهود مـــن قيـــادة الفرقـــة، وأعلمـــوه بان المظليين يواجهون مشكلة، وأن على كتيبته أن تتجـــه إلـــى المنطقـــة.

وبعد إعداد سريع، انطلقـــت الكتيبـــة باتجـــاه الموقـــع، وبعـــد حوالـــي ثلاثـــة أرباع الساعة، حدث أول اتصال بين ايهود وعـــوزي يـــانيري قـــائد لـــواء المظـــلات، وقد طلب يانيري النجدة، وقال أن كتيبتـــه فـــي أزمـــة حقيقيـــة. وان أضـــرارا جســـيمة

لحقت بالجنود، وطلب أن يرسلوا إليه، في أسرع وقت ممكن، تعزيزات من المدرعات.

-ايهود: من القائد هناك.

-يائيري: اسحق مردخاي، ولديه إصابات جسيمة.

-ايهود: قل له أن يصمد، أنا في الطريق إليكم، عندما نقترب أعطونا إشارة كي نتعارف.

اتصل عوزي يائيري بمردخاي وقال له: ايهود في الطريق إلينا، انه الرجل المناسب في مثل هذا الوقت.

قاد ايهود الكتيبة، وتقدم على رأسها، والى جواره المقدم يشاي يزهر – ضابط مظليين سابق، والذي أصر على الانضمام إلى الكتيبة عندما سمع بأنها تسعى لإنقاذ المظليين. وفي ساعات الفجر الأولى اقترب ايهود بمدرعاته من نقطة الإشارة، بيد أن الضباب كان كثيفا، ولم يكن بالإمكان تحديد مكان لواء المظلات.

تمكن ايهود من الاتصال بمردخاي، وقال له: أطلق قنبلة دخان كي أستطيع تحديد مكانكم، فاستجاب مردخاي، رغم الصعوبات التي كانت قائمة، ورغم إدراكه انه يكشف نفسه بذلك ويعرض لواءه لهجمات المصريين.

شاهد ايهود الدخان الأحمر المتصاعد من القنبلة، فقال لمردخاي:' لقد عرفت مكانكم، انتم على بعد كيلو متر منا، سأهاجم'، واندفع بدباباته الباتون إلى الأمام، والى جانبه فصيل (سوكنيك) وحينما وصلوا إلى التلة التي كان المظليون يحتمون بها، شاهدهم أمامه، وغالبيتهم جرحى، ويتراجعون إلى الخلف، تجاوزهم ايهود، وقال لمسئولي فصائل كتيبته، عندما أعطي الامر، افتحوا النار. وعن بعد، شاهد مجموعة قيادة الكتيبة (٨٩٠) منغمسة في الرمال، وشاهد عشرات المظليين منبطحين على الرمال.

فاجأ ظهور الدبابات، المصريين لثوان بيد انهم سرعان ما تمالكوا أنفسهم، وردوا بهجوم بصواريخ ساجر من الجناح، وقنابل الدبابات من الأمام،

مما أدى إلى إصابة الدبابــات الأولــى فــي كتيبــة ايــهود، وإضــرام النــيران فيــها، وانضمت إلى القصف دبابات مصرية، كــانت متخندقــة أمامــها.

واصلت الدبابات الإســـرائيلية التــي لــم تصــب هجومــها، وشــاهد ايــهود مجموعة من الجنود المصريين وهي تصــوب قذائــف (الآر بــي جــي) إلــى دبابتــه. فصرخ بقائد دبابته: ادهسهم، ادهسهم. هذا فـــي الوقــت الــذي اعلمــه قــائد الفصيــل الثاني أن اربع دبابات من دباباته الإحدى عشرة قـــد أصيبــت.

توقف الهجوم، وأخذت الدبابات التي لــم تصــب فــي التغطيــة علــى قــوات سلاح المشاة التي بدأت تخلي الجرحى المظليين إلى قنــاة خلفيــة. كــانت هنــاك ثــلاث دبابات تشتعل فيها النيران عن يمين ايهود، واثنتان تحترقـــان عــن يســاره.

حال بدء الهجوم، بدأ فصيل ســلاح المشــاة فــي إخــلاء المظلييــن الجرحــى إلى قناة مياه خلفية جافة في المزرعة الصينيــة، تبعــد حوالــي خمســمائة مــتر، وقــد أصيبت عدة سيارات مدرعة، واشــتعلت فيــها النــيران، ومــن ضمنــها ســيارة قــائد الفصيل. ولم يعد القائد يرد على الاتصـــالات كــانت المدرعــات تشــــتعل بــالنيران في كل مكــان.

أصبحت الكتيبة تتعرض لخطر الإفنــاء، وقــد تســاقطت الصــواريــخ وقنــابل (الآر بي جي) من كل اتجــاه.

نفذت الذخيرة من بندقيـــة العــوزي التــي بحــوزة ايــهود، واخــذ يســتخدم القنابل اليدوية، ويلقي بها في كل اتجاه، علـــى أمــل أن يحــد مــن هجــوم وتحركــات الجنود المصريين، يساعده يشــاي يزهــر. وفجــأة لاحــظ أن يزهــر أصيــب إصابــة خطيرة فقد أطلق عليه أحد الجنــود المصرييــن النــار فأصــاب شــريانا مركزيــا فــي رقبته. حاول ايهود وقف تدفق الدمـــاء دون جــدوى. وكــانت القنــابل تخطــئ دبابتــه بأمتار معــدودة.

أعلمه سوكنيك بأن فصيله مني بــالمزيد مـــن الإصابــات، فــي حيــن أعلمــه العقيد عوزي يائيري بأن سلاح المشاة تمكن مـــن إخــلاء غالبيــة المظلييــن الجرحــى. وأن المظليين الذين لم يصابوا، بدأوا يســـتعدون للدفــاع.

طلب ايهود من سوكنيك وضباط آخرين، أن ينجوا بأنفسهم، ويتراجعوا إلى الخلف إلي مواقع دفاعية. واتضح في هذه المرحلة، أن ثمانية جنود مظليين وضابطي دبابات جرحى من قوة ايهود، قد تخلفوا في ساحة الميدان.

كان الوضع صعبا للغاية، وبينما دبابتان تلتهمهما النيران، لاحظ براك خلف التلة، في المنطقة المكشوفة بين المصريين والقناة التي انبطح فيها المظليون الجرحى، لاحظ أن أحد قائدي الدبابتين قد نجح في الخروج من الدبابة المشتعلة والى جواره مجموعة من المظليين، وقد بدأ القائد يصرخ في جهاز الإرسال: "أنقذونا، أن المصريين يطلقون النار علينا من على بعد خمسين مترا، وهم يقتربون".

طلب ايهود إسنادا مدفعيا لوقف تقدم المصريين، وفي نفس الوقت، اعد قوة إنقاذ على سيارات مدرعة، وقد تطوع للمهمة ضابطان شابان من قاعدة التدريب الثالثة، هما: جيورا شوهم، وجدعون دبورتسكي لمهمة الإنقاذ، في حين واصل قائد الدبابة طلب النجدة. وفي هذه الأثناء انضمت إلى المعركة دبابة من لواء (نتكة نير) والتي هاجمت المصريين من الجناح.

اندفعت السيارات المدرعة بقيادة براك، وفيها الضابطان المذكوران ومتطوعون آخرون من سلاح المشاة والمظليين إلى المنطقة المكشوفة، وقامت بتحميل الجرحى، والانسحاب إلى مكان مخبأ من النيران. ولم تمض ثوان معدودة، حتى كان الجنود المصريون يتدفقون إلى المنطقة كالسيل العرم. تأثر ايهود من الشجاعة التي أبداها الضابطان الشابان، وشد على أيديهما واعدا بأن يلتقي بهما في أعقاب انتهاء الحرب. بيد انهما قتلا بعد أربعة أيام غربي القناة.

وفي ساعات المساء، انطلقت بقايا الكتيبة ٨٩٠ سيرا على الأقدام باتجاه القناة، في حين بقيت كتيبة ايهود في المنطقة، ثم جاءت كتيبة دبابات من اللواء (٦٠٠) للحلول محلها. وبينما ايهود يعلم قائد الكتيبة بالدبابات المحروقة، والجنود المفقودين، هطل على الكتيبتين سيل من صواريخ الكاتيوشا، بيد أن أيا منهما لم يصب.

أدت معارك الإنقاذ التي خاضها ايهود لتخليص المظليين إلى خلق توتر خفي بين قائدي المعركة: ايهود براك، واسحق مردخاي فقد شعر مردخاي، بالضيق جراء الأوصاف التي تناقلتها وسائل الإعلام حول العملية، وقال في العديد من المناسبات، أن الدبابات وصلت متأخرة جدا، وبعد زمن طويل من طلبه الإسناد من قائد لواء المظليين. ولم يعجبه ما قالته وسائل الإعلام أن كتيبة الدبابات احتلت المزرعة الصينية، في الوقت الذي مني هو بالفشل.

لم يكن اسحق مردخاي يعلم أن استدعاء كتيبة ايهود، جاء بعد زمن طويل من استغاثته، وان الكتيبة استعدت في اقل من ساعة، كما كان عليه أن، يجتاز بدبابته منطقة كثبان رملية وعرة طيلة عشرة كيلومترات فيما هو يقوم بالتوجيه وفقا للتوجيهات التي تلقاها فقط. أضف إلى ذلك، أن ايهود لم يخطئ، حينما احتل المزرعة الصينية، بل على العكس، فقد اعترف بان كتيبة الدبابات التي كان يقودها- وعلى غرار الكتيبة ٨٩٠، ودورية اللواء الثمانين قبله- اضطرت إلى النجاة بالتراجع إلى الخلف بسبب كثرة المصابين. لقد أدرك الاثنان، فيما بعد، انه لو كان الوضع معروفا مسبقا، لما كان بالإمكان تنفيذ المهمة التي قام بها ايهود، الا من قبل قوة مشتركة من المظليين والدبابات، والمدفعية.

وفي ساعات الليل بدأت كتيبة دبابات الباتون الجريح، بالتحرك غربا باتجاه القناة، واجتازت القناة فوق جسر، وبعد حوالي ساعة من قطع القناة وعندما اقتربوا من قناة المياه الحلوة، على الجانب الغربي من القناة شرع المصريون في قصفهم قصفا شديدا جدا. أوقف ايهود دبابته، ونزل تحتها، وأخلد للنوم. ولم تستطع القذائف وانفجاراتها إيقاظه من النوم العميق الذي حط عليه بعد يومين متتالين، بلا نوم.

وبعد ساعتين، أيقظه أحد الضباط، وقال له: لقد تلقت الكتيبة أمرا بالتحرك كي تهاجم بطارية صواريخ. لقد تذكر قائد الجبهة، حاييم بارليف، أن ايهود يحب العمليات الخاصة، وكلفه بمهاجمة بطارية صواريخ ارض - جو كانت قد ألحقت بسلاح الجو الإسرائيلي خسائر فادحة.

اخترق ايهود بدباباته عمق الأراضـــي المصريـــة فـــي وضـــح النـــهار وهـــو يطلق نيرانه في كل مكان –على غرار مـــا كـــان يفعـــل إيـــان تروســه دوريـــة هيئـــة الأركان، بيد انه، هذه المرة، كـــان علـــى متـــن دبابـــة: حركـــة، واخـــتراق بـــالنيران وتدمير الهدف ثـــم العـــودة باتجـــاه القـــوات الإســـرائيلية. وســـجل ايـــهود أمامـــه، أن مقاومة المصريين غربـــي القنـــاة، تختلـــف عنـــها شـــرقي القنـــاة، مثلمـــا رآهـــا فـــي المزرعة الصينيـــة.

كانت المهمة التالية للكتيبة تتمثل في مهاجمـــة قـــوات مصريـــة فـــي منطقـــة المطار الأمامي في (فـــايد).

وعندما عاد ايـــهود إلـــى المعســـكر حيـــث تقـــف المدرعـــات، قـــال لـــه سوكنيك، أن هناك ناقلة جنود مدرعـــة مفقـــودة، مـــن مدرعـــات ســـلاح المشـــاة. وفي أعقاب إجراء اســـتجواب للجنـــود اتضـــح أن جنديـــا شـــاهد ناقلـــة مصابـــة بالقرب من خطوط المصرييـــن.

ويقول سوكنيك، كانت تلك لحظة صعبة، فقـــد أدركنـــا أن لدينـــا مصـــابين أو مفقودين بالقرب من خطوط المصريين. وضع ايـــهود علـــى جســـمه معـــدات الجنـــود، وملأها بمخازن الرصاص، وقال :أنا ذاهب للبحث عـــن المدرعـــة المفقـــودة.

كان ايهود يدرك، أن ضباط الدبابات غـــير مؤهليـــن للتحـــرك ليـــلا، وخـــلال الصدام المحتوم مع المصريين، لذا قرر الذهـــاب للبحـــث عـــن المدرعـــة، وطلـــب ألا يرافقه أحد، كـــان عليـــه الســـير عـــدة كيلومـــترات فـــي المنطقـــة القريبـــة للخطـــوط المصرية، واخذ معه جهاز رؤية ليلية. وبعد سير ســـريع علـــى الآثـــار التـــي تركتـــها الدبابات خلفها، عثر على جنديين إسرائيليين جريحين مـــن جنـــود المدرعـــة، قـــالا لـــه: أن المدرعة أحرقت بكل ما فيها، ولم يبق على قيـــد الحيـــاة ســـواهما.

لقد تمكنت الكتيبة من أسر حوالي مائتي جندي مصـــري خـــلال القتـــال. بيـــد أنه لم يكن لديه فائض من الجنود لحراسة الأســـرى، لـــذا نـــزل ايـــهود مـــن الدبابـــة، وصفهم في طابور ثلاثي، وعين أحد الضبـــاط المصرييـــن مســـئولا عنـــهم، وقـــال لـــه بالعربية انه لا يجب أن يتحركوا وإذا تحركوا ســـيطلق عليـــهم النـــار.

سارت الدبابات إلـــى مســـافة تمكـــن الأســـرى مـــن الفـــرار إذا أرادوا ذلـــك، وعندما عادت الدبابات في صبيحة اليوم التـــالي مـــن مهمتـــها، فوجـــئ ايـــهود برؤيـــة الجنود المصريين وهم يجلسون مثلمـــا تركـــهم.

لقد كانت تلك نهاية الحـــرب. ففـــي الرابـــع والعشـــرين مـــن تشـــرين الأول، دخلت اتفاقية وقف إطلاق النار حيز التنفيذ الفعلي علـــى الجبهـــة المصريـــة.

الفصل الحادي عشر

ايهود٠٠٠٠المدرعات٠٠٠٠٠الاستخبارات

نجحت توصية وزير الدفاع، موشيه ديـان. وفـي غضـون أقـل مـن شـهر زُفّت البشرى لايهود بترفيعه إلـى رتبـة عقيـد، وتسـليمه زمـام القيـادة فـي لـواء مدرعات نظـامي.

كانت تلك أيام عصيبة بالنسبة للجيش. فقد نشـرت لجنـة (اغرنـات) أجـزاء من التقرير الذي ألقى على كاهل الكادر العسـكري، المسـؤولية عـن حـرب تشـرين ١٩٧٣.

في تلك الفترة، استقال رئيس هيئـة الأركـان دافيـد اليعـيزر، وتظـاهر آلاف جنود الاحتياط يوميا في القدس، مطالبين باستقالة حكومـة جولـدا مـائير.

كانت الضربة التي تلقاها سلاح المدرعات في تلك الحـرب عنيفـة، فقـد قتـل الكثـير من قادة الفرق والكتائب، وكانت الخطوة الأهـم، ترميـم السـلاح.

كان ايهود يثق بقدرته على إنجـاز هـذه المهمـة. وقـد عيـن قـائدا للـواء النظامي رقم (٤٠١) الذي أمضى معظم الوقت فـي سـيناء، سـواء أكـان ذلـك فـي التدريبات أو العمليات التنفيذية، واختيار خطـوط التمركـز العسـكري.

لم ينل تعيين ايهود رضا الجميع في سلاح المدرعـات، لا سـيما وانـه كـان المظلي الثاني الذي تمكن من الوصول إلى قيـادة هـذا اللـواء ولـم يسـبقه إليـه، إلا العقيد دان شومرون الذي كان ضابطا مظليا قديمـا، قـاد اللـواء فـي حـرب ١٩٧٣، واعتبر أحد افضل القادة في اللـواء آنـذاك، خاصـة وان دباباتـه لعبـت دورا رئيسـيا إلى جانب لواء (١٤) في التصدي للجيش المصـري فـي سـيناء.

اختلف المسؤولون في سلاح المدرعات بشأن تعييـن قـائد لـواء (٤٠١) وكـان منـهم من قال أن قائد اللواء، يجب أن يكون قد خدم في سـلاح المدرعـات. بيـد أن اللـواء يسرائيل طل، رئيس شعبة العمليات، فـي مطلـع عـام ١٩٧٤، واللـواء يكتوئيـل آدم، الذي كان آنذاك قائد القوات في سيناء وعرف ايـهود مـن قيـادة المنطقـة الشـمالية، حسما القضية وأوصيا بتعيين ايهود وقد نظر موطـي جـور وشـمعون بـيرس الـذي عين آنذاك وزيرا للدفاع، بعين الرضا إلى هـذا التعييـن.

وخلافا لموقف فرق المدرعات حاز ايهود، وخلال وقت قصير، على رضا طاقم اللواء رفيع المستوى، وكانوا جميعا من أفراد سلاح المدرعات منذ الصغر. فقد أذهلهم بمناورات غير عادية، بدت مختلفة تماما عن صورة الحرب التقليدية في سلاح المدرعات. وكانت العبرة المهمة التي استقاها ايهود من الحرب، ضرورة المبادرة المستمرة، التي تفقد العدو موازينه.

تبنى قائد الوحدة الجديد أسلوب المعارك الليلة، وكان يحرص على وصول الدبابات إلى أهدافها بطرق غير متوقعة، ليتسنى لها تطويق "العدو" ومفاجأته في أماكن لم يكن يتوقعها.

استغل براك علاقاته في هيئة الأركان العامة، ونجح في إكساب اللواء مزيدا من ساعات التدريب، والتعاون في المناورات اللوائية، مع تشكيلات سلاح المشاة. لقد استقى العبر من مأساة المدرعات في مواجهة الصواريخ، ببذل الكثير من الجهود، على صعيد التعاون المشترك بين الدبابات سلاح المشاة والمدفعية.

أثارت المعرفة التي أبداها براك في الدبابات الأميركية، دهشة ضباط سلاح المدرعات. فقد كان يقود الدبابة بمهارة فائقة ويصيب أهداف الرماية بدقة.
يقول داني يتوم، أحد قادة الكتائب الذين عرفوا ايهود منذ أيام دورية هيئة الأركان: "كان ايهود قائد لواء مدرعات ممتازا، وقد بنى فرقة قيادية متميزة كان سلاح المدرعات في تلك الفترة، يعاني من نقص في قادة الدبابات وقادة السرايا. وقد تم في قواعد التأهيل في سلاح المدرعات، تأهيل عدد من الضباط لهذه المهمة.

عمل لواء (٤٠١) كوحدة سلاح مشاه متميز فقد تدرب على عمليات توجيه ملاحي ليلية، إلى مسافات لم تكن مألوفة في سلاح المدرعات آنذاك، والفضل يعود لايهود، الذي طور أساليب حربية تهدف إلى رفع مستوى النجاح في مواجهة مشكلة الصواريخ المضادة للدبابات. ولقد توصلنا في المناورات الكبيرة، التي أجريت، إلى نتائج افضل من تلك التي توصل إليها المحترفون في سلاح المدرعات".

كان الكثير من الضباط في سلاح المدرعات غير راضين عن أسلوب تدريبات سلاح المشاة الذي فرضه براك في اللواء. وكان ابرز هؤلاء، العقيد يوسي بيلد، الذي قال "هذا ليس سلاح مدرعات، بل سلاح مظليين سلاح المدرعات يحارب بصورة أخرى".

غير أن اكثر ما أثار دهشة ضباط سلاح المدرعات، قدرة ايهود على التوجيه الملاحي. ففي إحدى المناورات الليلية، التي أجرتها إحدى الفرق في منطقة (تساليم) في النقب، اخطأ أحد ضباط الفرقة أثناء عملية توجيه ملاحي، وضل طريقه. شعر براك، الذي كان يستمع إلى شبكة الاتصال. إن أحد الضباط وقع في أزمة صعبة. ولم يعد يعرف المكان الذي هو فيه. كان كل ضباط الفرقة يستمعون إلى الحوار الذي جرى بين قائد اللواء والضابط الصغير:

–الضابط: "لا اعرف أين أنا".

–ايهود: "لا تقلق سنساعدك. انظر حولك، هل ترى هالة من الضوء".

–الضابط: "نعم أرى هالة من الضوء، لكنها بعيدة جدا".

–ايهود: "هل هذا الضوء على يمينك أم يسارك؟"

–الضابط: "على يساري".

–ايهود: "ابدأ بالسير وانظر ما إذا كانت كثبان الرمل ستنتهي بعد بضعة كيلومترات وتبدأ بالانحدار".

–الضابط: "لكن لا اعرف بأي اتجاه سأسير".

–ايهود: "انظر إلى الشمس واعتبر أن الساعة ١٢".

–الضابط: "حسنا أنا انظر".

–ايهود : الان سر باتجاه اليسار.

–الضابط: "أنا ابدأ السير".

بعد ربع ساعة – ايهود: "خرجت من الكثبان ووصلت إلى المنحدر؟".

–الضابط : "ربما لست متأكدا".

-ايهود : "انظر إلى الأمام. هل ترى هالة ضوء كبيرة بعيدة وهالة اصغر على مسافة اقرب؟".

-الضابط: "نعم".

-ايهود: "سر باتجاه هالة الضوء الكبيرة، وستكون في طريق الخروج. ستسير طيلة الوقت -تقريبا- باتجاه اليمين، انظر إلى عداد السرعة، وتأكد من عبور مسافة ١٥كم، عندها ستصل إلى الطريق، وسأوجهك إلى أن تصل".

وبعد حوالي نصف ساعة، قال الضابط: "لقد وصلت إلى الطريق".

لقد أضافت هذه القصة إنجازا جديدا إلى سجل إنجازات ايهود في اللواء وأزالت الانطباع بأنه قائد متبجح ومبالغ.

وعلى الرغم من عشقه للموسيقى الكلاسيكية، ومشاهدة أفلام الفيديو، بيد أن الجنود والضباط يذكرونه، كقائد لواء يحرص على الانضباط والسلامة العامة في المناورات. لم يكن مستعدا للتغاضي عن المشاكل التي تتعلق بانضباط الجنود، ولم يكن يتردد في معاقبة الجنود الذين يبدون الاستخفاف بالانضباطية التنفيذية. لكن كانت هناك بعض الاستثناءات.

ففي إحدى الليالي، قدم إليه أحد جنود الاحتياط ويدعى (زئيف كولر)، للمحاكمة. كان كولر قد مثل أمام قائد فرقته قبل ذلك، وحكم عليه بالسجن الفعلي، بسبب غيابه عن موقع المراقبة. لكنه استأنف الحكم ووصل إلى قائد اللواء.

سمع ايهود حجته وفهم منه أن جنود الفرقة كانوا قد طلبوا، ومنذ فترة طويلة، إحضار منشأة ما إلى موقع الرصد. واوضح الجندي، انه دون هذه المنشأة لن يكون بالإمكان الرصد، ولن تكون هناك جدوى منه، وان هذا هو سبب غيابه عن موقع الرصد. أعاد ايهود النظر في أقواله وقبل الاستئناف. وفي اليوم التالي، تم وضع المنشأة في الموقع وبدأت عملية الرصد.

كان الاختبار الرئيسي بالنسبة له كقائد لواء مدرعات، استعادة ثقة مقاتلي المدرعات بالدبابات. فالأثر السلبي الذي خلفته الحرب، لم ينته بسرعة ولم

ينس المقاتلون مأسـاتهم فـي "يـوم الغفـران" ١٩٧٣ أمـام صواريـخ "سـاجر" و"آر بي جـي".

يقول ايهود: "لم يكن بالإمكـان نسـيان حـرب ١٩٧٣، لـدى الحديـث عـن الحرب القادمة، لا سيما وأن آثـار دباباتنـا المحترقـة، كـانت مـا تـزال قائمـة فـي الصحراء. بوصفي قائد لواء، كان من واجبي استعادة ثقـة المقـاتلين بالدبابـات. ولقـد تمكنت من ذلك بفضل التعاون العميق والوطيـد مـع سـلاح المشـاة والمدفعيـة فـي مناورات أجريت على مستوى الكتائب والألويـة. هـذا الأمـر، أشـعر مقـاتلي سـلاح المدرعات بالأمان، وأن دباباتهم لن تكـون عرضـة للخطـر، بفضـل تواجـد سـلاح المشاة هناك للتفرغ لمواجهة كومـاندو "العـدو".

في الأول مـن أيلـول ١٩٧٤، ولـدت البنـت الثانيـة لايـهود. لـم تسـنح الفرصة للقائد الأب، بالتواجد إلى جانب زوجته فـي تلـك اللحظـات العصيبـة. رغـم أن عملية الولادة كانت صعبة للغاية، ورغـم أن طفلتـه كـانت فـي مرحلـة الخطـر انتظرت الزوجة (نافا)، زوجها. وحال وصوله، سألته عـن مـدى إمكانيـة عملـه فـي منصب آخر، يجعله اكثر قربا من البيت لكنه أوضح لـها، وكعادتـه إن المسـار الـذي اختاره، مسار قيادة حربية ومن وجهـة نظـره، هـذه هـي الطريقـة الوحيـدة للسـير بالجيش إلى المـدى البعيـد. ولـم تملـك (نافـا) إزاء هـذا التـبرير، سـوى الإيمـاء بالموافقـة.

وقبل نهاية العام انتقلت عائلة ايـهود بـراك إلـى شـقة جديـدة فـي(رمـات هشارون) وقبل ذلك ببضعة أشهر، اخـبر يونـي نتنيـاهو، أنـه يبحـث عـن شـقة ليعيش فيها مع زوجته (بروريا). قص ايـهود علـى زوجتـه مـا سـمع، وقـد أبـدت سعادة كبيرة لأن بجوار شقتها شقة شاغرة. بـدأت العلاقـات بيـن العـائلتين تتوطـد، وبدأت (نافا) بقضاء ساعات طويلة برفقة (برووريـا)، أثنـاء انشـغال الزوجيـن ايـهود في المدرعات ويوني في دورية هيئـة الأركـان.

في فترة خدمته كقـائد للـواء المدرعـات، قـرر المتحـدث بلسـان الجيـش الإسرائيلي وفي خطوة فريدة من نوعها، السماح لايـهود بـراك، بـإجراء مقابلـة مـع

مجلة (باماحانية الناطقة بلســـان الجيــش الإســـرائيلي)، وقـــد أجـــرى اللقـــاء صحفـــي يدعى رفائيل بيسان. وخلال اللقاء قال ايهود الذي أشـــير إليـــه باســـم العقيـــد ب:" لقـــد ولدت وكالكثيرين في كيبوتـــس. كـــبرت وترعرعـــت هنـــاك. وتعلمـــت حتـــى فـــترة التجنيد. القوا بي في مدرسة الكيبوتـــس خارجـــا، بســـبب أعمـــالي الصبيانيـــة. تجنـــدت في سلاح المدرعات بالجيش. أردت أن أكـــون فـــي ســـلاح المدفعيـــة، ولـــم يســـمحوا لي. خدمت لسنوات في دورية هيئة الأركان، رغم أنه تـــم تحويلـــي فـــي وقـــت متـــأخر إلى سلاح المدرعـــات.

ولما سئل ايهود عن قـــدرة الجنـــدي المصـــري فـــي الحـــرب قـــال:" بشـــكل أساسي، لا أظن أن الجنود المصريين، كجنود منفرديـــن، حـــاربوا أفضـــل بكثـــير ممـــا كانوا عليه في حـــرب حزيـــران ١٩٦٧ فـــي جـــرادة. والفـــرق أن الجيـــش المصـــري حارب هذه المرة، بوحدات أكـــثر".

"في اليوم الأخير في السويس، وبعد ثلاثـــة أيـــام مـــن وقـــف إطـــلاق النـــار، استمر عدد من الجنود المصريين المنفردين، فـــي محاولاتـــهم الاقـــتراب مـــن دباباتنـــا بأسلحتهم الخفيفة. كان من الواضح لهم، أنـــهم لـــن يتمكنـــوا مـــن إبعادنـــا عـــن قنـــاة السويس، كما لن يتمكنوا من تغيير النتيجـــة العامـــة للحـــرب. لكـــن، كـــانت تحدوهـــم الرغبة في محاولة ضرب عدد آخر مـــن دباباتنـــا".

بيسان:" وماذا عن الدراســـة"؟

براك:" علقت الدراسة، فأنا أرى فيها طريقا لا ينتهي، من وجهـــة نظـــر الجامعـــة، أنـــا في إجازة إذا أردت العودة، في غضون عـــامين، فليـــس علـــي عمـــل أي شـــيء، مـــن وجهة نظرهم، سوى إشـــعارهم بذلـــك مســـبقا، ودفـــع الأقســـاط بـــالطبع، كـــان مـــن الواضح بالنسبة لي، بعد تلك الحرب، أن مكاني هنا فـــي الجيـــش وليـــس علـــى مقـــاعد الدراسة. كان سلاح المدرعات، علـــى وجـــه الخصـــوص، يعـــاني نقصـــا فـــي عـــدد الضباط، لا سيما الضباط برتب ما بين قائد شـــعبة وقـــائد كتيبـــة".

بيسان:" وعندئذ عدت مباشرة إلى ســـلام المدرعـــات"؟

براك:" نعم، لان الضرر الذي لحق بـــه، أقســى بكثـير مــن الأضــرار التــي لحقـت بوحدات أخــرى".

بيسان:" كيف استقبلك أفراد المدرعات كجنـــدي مظلــي"؟

براك: لا تنس، أنني رغم ذلك، أجريت عمليــة تحويــل منظمـــة.

بيسان:" هل تشعر بتحسن على صعيـــد الجيــش؟

براك:" باعتقادي أن العبرة الأساســية، تتعلــق بضــرورة بنــاء قــادة أكــثر اســتقلالية وقــدرة علـــى اتخــاذ القــرارات وحدهــم، ضبــاط يتمــيزون بــالقدرة علــى تحمــل المســئولية".

قبل انتـــهاء عــام ١٩٧٥، وبعــد عــام ونصــف العــام مــن عملــه كقــائد لواء(٤٠١)، دعي ايهود إلى مكتب رئيس هيئة الأركـــان، موطــي جــور.

كان غور جديا، قبل ذلك بوقت قصير، قتل العقيـــد، عــوزي يــائيري، أثنـــاء هجوم مسلح على فندق" سافوي". كان يـــائيري قبــل ســقوطه، مســاعد رئيــس شــعبة الاستخبارات، لشؤون العمليات. وانطلاقا من تقديــره الشــديد لكفــاءة بــراك التنفيذيــة، طلب منه القبول بهذا المنصـــب. بيــد أن بــراك لــم يكــن ســعيدا بذلــك. فــالمنصب المعروض، يقوم على أساس التخطيط التنفيذي وليـــس القيــادة. لكــن فــي مثــل تلــك الظروف، وفي ظل تدخل موطي ونائبـــه يكتوئيــل آدم لــم يكــن هنــاك منــاص مــن القبول.

كان هذا المنصب، منصبه الأول فــي هيئــة الأركـــان، وكــان اصغــر عقيــد هناك، لكنه رغم ذلك، كان على قـــدر المســؤولية.

أراد رئيس هيئة الأركان، أن يبقـــى ايــهود إلــى جانبــه، كعــراب للعمليــات الخاصة في الجيش الإسرائيلي، بيــد أنــه كــان مــن الواضــح لبعــض ضبــاط هيئــة الأركان أن ايهود لن يكتفي بمهمة التخطيط فقط، ومـــن وجهــة نظــره، هنــاك مجــال للربط بين التخطيط والتنفيذ، تماماً مثلما عمل في عملية "ربيـــع الشــباب" فــي بــيروت كان يدرك أن الضابط الـــذي ســـــيقود الجيـــش الإســـــــرائيلي إلـــى أي مكـــان هو: ايهود بــراك.

الفصل الثاني عشر

عملية عنتيبي

ايهود يشارك في تحرير الرهائن

يوم الأحد، ٢٧-٦-١٩٧٦، كان أقصى أيام الصيف الحارة. في الساعة ٨:٥٩، أقلعت طائرة" ايرباص" تابعة لشركة الطيران الفرنسية" اير فرانس" في الرحلة (١٣٩) من مطار بن غوريون إلى باريس. كان على متن الطائرة ٢٨٨ مسافرا، معظمهم إسرائيليون خرجوا لقضاء الإجازة الصيفية في فرنسا.

في الساعة ١١:٣٠، هبطت الطائرة في أثينا، نزل منها (٣٨) مسافرا، وصعد ٥٨. كان من بين أولئك الذين صعدوا، أربعة أشخاص، وصلوا قبل ذلك بوقت قصير، على متن رحلة لشركة "سنغافورة ايرلينز" من البحرين في الخليج العربي: رجل وسيدة يحملان جوازي سفر ألمانيين، ورجلين يحملان جوازي سفر كويتيين مزيفين.

كان مطار أثينا معروفاً بتدني مستوى الأنظمة والإجراءات الأمنية فيه. وما حدث في ذلك اليوم، أكد صحة ما يشاع عنه: إذ أن أحداً لم يقم بتفتيش المسافرين الأربعة، الذين ساروا باتجاه الهدف: طائرة: ايرفرانس".

أما مضيفة الطائرة الضجرة، فاكتفت بنظرة سريعة خاطفة على تذاكر سفرهم، وتمنت لهم رحلة ممتعة، غير أن أحدا لم يقم بتفتيش حقائبهم وأكياسهم التي أخفوا فيها رشاشات صغيرة من طراز"سكوربين"، مسدسات، قنابل يدوية ومواد ناسفة.

جلس الألمانيان، اللذان كانا يبدوان كزوجين رومانسيين في مقدمة الطائرة، فيما جلس الفلسطينيان في المؤخرة، في قسم السياح.

في الساعة ١٢:٣٥، وحسب كلمة سر تم الاتفاق عليها مسبقا، نهض الأربعة من مقاعدهم، وعبأوا رشاشاتهم، اقتحم الألمانيان غرفة الطيار، فيما هدد الفلسطينيان بأسلحتهما، ركاب الطائرة. وأعلنوا اختطاف الطائرة، على يد خلية "تشي جيفارا" من قطاع غزة.

تجول الفلسطينيان بأسلحتهما بين المقاعد وجمعا جوازات السفر. كانت من بين المسافرين الإسرائيليين، ابنة مدير المفاعل النووي في ديمونة، بيد أنهم لم يكتشفوا أمرها: بعد ذلك، قام الخاطفون باحتجاز النساء والأطفال في مقدمة

الطائرة التي تم تحويل اسمها إلى "حيفا المحررة" في حين تم احتجاز الرجال في المؤخرة أطلع المسلح الألماني قائد الطائرة على خارطة كانت بحوزته، وحدد الهدف النهائي، وكان مطار عنتيبي في أوغندا. في تلك الأثناء، لم تكن هيئة الأركان على علم بشيء بعد.

بعد ساعة ونصف الساعة، هبطت الطائرة في مطار (بنغازي) في ليبيا، وأطلق الخاطفون سراح مسافرة بريطانية.

وصل نبأ اختطاف الطائرة إلى هيئة الأركان العامة، التي بدأ ضباطها وعلى رأسهم براك، بدراسة المعطيات الواردة من مطار ليبيا. تذكروا ما حدث في الجزائر عام ١٩٦٨، وكيف اضطرت حكومة إسرائيل آنذاك للخضوع لخاطفي طائرة"العال" واطلاق سراح عدد من المعتقلين في سجونها. لم يكن لدى هيئة الأركان، أي معلومات حول المطار أكثر من خرائط وصورة جوية واحدة قديمة. لا شك في أن الظرف كان صعباً.

في تلك الأثناء وتحديداً في العاشرة ليلاً، كانت الطائرة المختطفة قد أقلعت من مطار ليبيا، وهبطت بعد بضع ساعات في عنتيبي، حيث كان هناك بانتظارها ثلاثة مسلحين اخرين.

لاحظ المسافرون الذين تم إنزالهم من الطائرة إلى قاعة المسافرين، أن جنود جيش أوغندا، يتعاونون مع الخاطفين. وفي صبيحة اليوم التالي زارهم الرئيس الأوغندي، (عيدي أمين)، وسخر أمامهم من حكومة إسرائيل، التي غدرت به، ولم تقف إلى جانبه، في حربه ضد تنزانيا.

كان العقيد ايهود براك، مساعد رئيس شعبة الاستخبارات لشؤون العمليات، بين أوائل الذين تلقوا نبأ اختطاف الطائرة.

وقد عهد إليه رئيس شعبة العمليات، اللواء يكتوئيل آدم، بمتابعة تطورات العملية. كان اللواء آدم، قد حل محل رئيس هيئة الأركان، موطي جور، الذي كان آنذاك في مناورة كبيرة جنوب إسرائيل.

طار موتي مباشرة من المناورة إلى جلسة الحكومة، التي كانت قد التأمت على خلفية ما يجري في عنتيبي وفي الطريق، تم الاتصال بيكتوئيل آدم، وعلم أن رئيس هيئة الأركان سيصل في الساعة التاسعة مساءً، وان عليه دراسة الوضع، والتفكير فيما سيتم عمله بشأن ما يجري في عنتيبي.

وفي غضون ساعة، وصل رئيس هيئة الأركان إلى مكتبه. نظر إلى مجسم الكرة الأرضية الموضوع في زاوية الغرفة، واتصل بيكتوئيل ادم.

موطي:" كوتي ماذا سنفعل في عنتيبي"؟

كوتي:" لا أعرف في هذه الساعة"

موطي:" ماذا، ألم تصلك الأوامر بدراسة القضية؟. لقد سألني رئيس الحكومة رابين، ما إذا كان هناك خيار عسكري، وقلت له نعم يوجد. أريد الرد حالاً.

كوتي:" قل لي موتي، هل رأيت موقع عنتيبي هذه على مجسم الكرة الأرضية"؟

موطي:" ليس بعد. لكن ينبغي إيجاد طريقة للعمل".

استدعى موتي، براك من مكتبه في الطابق العلوي، واجتمع ثلاثتهم في قاعة الاجتماعات.

موطي:" حتى صبيحة يوم غد، أريد معرفة ما يمكن عمله في عنتيبي. ادع من تشاء، وقم بكل ما ينبغي أريد جواباً".

استدعى ايهود على الفور (موكي يتسار)، (عميرام ليفين)، قائد الكوماندو البحري، و(جابي زوهر) من شعبة الاستخبارات. طاقم تخطيط خاصاً. وفي تلك الأثناء، اتصل قائد سلاح الجو، اللواء بيني بيلد، ليعلم ايهود بأن رئيس مكتبه سيقدم كل ما في وسعه، وأن لدى أفراد من سلاح الجو معلومات عن مطار عنتيبي.

في غضون ساعتين، وصلت التصورات الأولية عن القاعة القديمة في المطار، بيد أن دليل الطيارين المدني، كشف النقاب عن وجود قاعة جديدة، إضافة إلى القديمة، وتركيبة معقدة من المدارج. كما كشف محاذاة المطار لبحيرة فكتوريا. من وجهة نظر موكي يتسار، الذي سبق وأن تواجد في أوغندا، فإن

الأوغنديين ليسوا جديين، ويمكن عمل اكثر مـا يمكـن تصـوره مـن النظـرة الأولـى لكن، مقابل ذلك، وصلت، معلومات اسـتخبارية، تفيـد بـان كتيبـة حراسـة أوغنديـة تتواجد في المطار وما حولـه.

في تلك الليلة، تبلورت عدة أفكـار تنفيذيـة ممكنـة، لوضـع يتواجـد فيـه ٤-٥ مسلحين في أجواء أوغندية محـايدة. وقـد اجمـع المسـؤولون، علـى ضـرورة مفاجأة الخاطفين، للحيلولة دون تعرض أي من الرهائن للخطـر. وكـان بيـن الأفكـار المطروحة، إنزال زوارق وعلى متنـها عـدد مـن المقـاتلين إلـى بحـيرة فكتوريـا، التسلل إلى القاعة القديمة فـي المطـار، قتـل المسـلحين واطـلاق سـراح الرهـائن. وكانت هناك فكرة أخرى، تقترح إنـزال طـائرة منفـردة وعلـى متنـها مركبتـان أو ثلاثة- تكون إحداها- وفقا لاقـتراح كوتـي يتسـار"مرسـيدس" سـوداء- تسـير مـن المدرج الجديد إلى القاعة القديمة وتسيطر بشكل مفاجئ علـى القاعـة وتقـوم بتصفيـة المسـلحين.

وللحقيقة، كانت هذه الفكرة العملية، أساسا تـم الارتكـاز إليـه فـي التخطيـط لعملية دورية الأركـان.

فـي السـاعة السـابعة صباحـا، طرحـت الأفكـار علـى مكتـب رئيـس هيئة الأركان. كانت قد طرحـت أفكـار أخـرى، بيـد أنـها رفضـت نظـرا لافتقارها لصعنر المفاجـأة .

أصدر موتي أوامر بالتركيز على داسـة الفكرتيـن الأوليـن. وألقـى ايـهود على عاتق قائد الكوماندو البحـري، مهمـة محاولـة إنـزال القـوارب، وعلـى عـاتق يتسار مهمة دراسة فكرة الطـائرة المنفـردة ومحاولـة إدخـال عـدد مـن المركبـات إليـها.

نفذت التجارب في اليوم ذاته وقـد فشـلت محاولـة إنـزال القـوارب. فيمـا بدت فكرة الطائرة المنفـردة ممكنـة تمامـا. فـي الوقـت ذاتـه، أمـر رئيـس هيئـة الأركان، سلاح الجو، بدراسة الجانب التنفيذي للرحلة إلى عنتيبـي ذهابـا وإيابـا.

بعد ذلك، التأم المجتمعون في مكتب شمعون بيرس، لإعادة النظر في المقترحات المطروحة. لم يهتم بيرس كثيراً بالتفاصيل، لكنه كان يرى ضرورة لتنفيذ عملية عسكرية. وحسب اعتقاده، لا مجال لإمكانية تعاون الرئيس الأوغندي، عيدي أمين معهم، ومن المحتمل أيضا، أن يبدي تعاطفه مع الخاطفين.

كانت هذه التقديرات مثيرة للقلق، فالعامل المشترك بين كل تلك الأفكار التي طرحت، والتي يتوقع مع نجاحها، هو الافتراض ببقاء الأوغنديين على الحياد، وان يسمحوا للجيش الإسرائيلي، أو لأي عنصر أجنبي آخر، بالهبوط في المطار، وتسلم الرهائن، والجنود الذين قاموا بتصفية الخاطفين. وإذا ما تبين أن الأوغنديين لن يقفوا مكتوفي الأيدي، فسيكون الوضع أكثر تعقيداً.

في صبيحة اليوم التالي، وصلت إلى إسرائيل أولى المعلومات، فقد أفادت المسافرة البريطانية التي أطلق الخاطفون سراحها في مطار بنغازي، بأن خلية الخاطفين تتألف من أربعة فقط، بينهم ألمانيان. كانت التقديرات الأولية في شعبة الاستخبارات تشير إلى أن الحديث يدور عن أعضاء المنظمة الإرهابية الألمانية "بادر مينهوف" التي تتعاون، وبشكل واسع، مع منظمات فلسطينية.

أما المعلومات التي وصلت في اليوم الثالث للعملية، فقد كانت أكثر إثارة للقلق. حيث عزل الخاطفون المسافرين الإسرائيليين عن المسافرين الأجانب، وطالبوا إسرائيل بإطلاق سراح عشرات المعتقلين الفلسطينيين، كما طالبوا حكومة ألمانيا الغربية، بإطلاق سراح عدد من المعتقلين، وطالبوا فرنسا كذلك بدفع فدية، قيمتها خمسة ملايين دولار.

كانت تلك الأنباء مزعجة وسيئة، رغم وجود جوانب إيجابية فيها: فبداية سيكون في المطار عدد قليل من الرهائن، وسيتمكن براك ثانية، من استجواب الرهائن الذين سيطلق سراحهم بعد حوالي ١٢ ساعة عن المبنى الداخلي القديم للمطار، إجراءات الحراسة، مستوى التعاون مع الأوغنديين وغير ذلك.

بعد ذلك، تم وعلى وجه السرعة، تعيين طـــاقم كلـف بالتوجـه إلـى بـاريس لاستجواب الرهائن الذين سيتم إطلاق سراحهم، وكان يضـم اللـواء(احتيـاط) رحبعـام زئيفي، من مكتب رئيس الحكومة، وعميرام ليفين من طـاقم التخطيـط التـابع لـبراك.

غير أن المعلومات التي وصلـت مـن ليفيـن، غـيرت الصـورة تمامـا، إذ تبين أن هناك عدداً آخر من المسلمين فـي أوغنـدا، وأن الأوغنديين يتعـاونون معـهم ويشاركون في مهام الحراسة، وان التفـاصيل التـي تتعلـق بمبنـى قاعـة الانتظـار، الغرف والأبواب في القاعة القديمة، كلها بحوزة ليفي، وأنـه حسـب انطبـاع الرهـائن الذين تم إطلاق سراحهم، ليست هناك قـوات حراسـة خاصـة فـي المطـار والقاعـة الجديدة. وعليه تم التوصل إلى تقدير جديد، يفيـد بانـه لا منـاص مـن إرسـال قـوة كبيرة إلى مطار عنتيبي، لقتل المسلحين، وتخليـص الرهـائن الذيـن انخفـض عددهـم من حوالي ٢٠٠-١٠٠، وفي ضوء التقارير التـي تتحـدث عـن عـدم وجـود قـوات حراسة مكثفة في المطار، بدا بالإمكان إحكام السـيطرة علـى القاعـة الجديـدة، طيلـة الوقت اللازم لتنفيذ العملية، وإدخال كل القوة والرهائن إلـى داخـل الطـائرة.

استدعى كوتي دان شومرون الذي عكـف، منـذ يوميـن، فـي قيـاد سـلاح المشاة والمظليين، على دراسة إمكانية تنفيذ عمليـة واسـعة، وقـد طلـب منـه طـرح خطته، ووافق على أسسـها.

كانت الخطة تقوم على أساس تكليف قوة دورية هيئـة الأركـان بـالعمل فـي القاعة القديمة، وفقا لفكرة الطائرة المنفردة ومجموعة السـيارات التـي سـتدخل إليـها، وهكذا، تبلورت خطة إنزال قوة كبيرة في عنتيبي تتألف مـن وحـدات مختـارة، تقـوم بإطلاق سراح الرهائن، تصفية المسلحين وكل من يتعاون معـهم ونقـل الرهـائن إلـى إسرائيل. وقد أمر كوتي أن يكون دان شومرون، قائد العمليـة وايـهود بـراك نائبـه.

اجتمع ايهود بالعميد دان شومرون، قـائد سـلاح المشـاة والمظلييـن، وبـدأوا استكمال تفاصيل الخطة، التي طرحت في ذلك الوقـت، أمـام رئيـس هيئـة الأركـان ووزير الدفـاع.

منذ اللحظة التي تقرر فيها تنفيذ العمليـــة العســكرية، بـدأت النقاشــات حــول تركيبة القوة التي ستقوم بتنفيذها. حاول ايهود الضغط من أجـــل تمكيـــن دوريـــة هيئـــة الأركان، لعب الدور الرئيسي في القاعة القديمـــة-تصفيـــة المســلحين وإطـــلاق ســراح الرهائن. كان قـــائد الوحـــدة يونـــي نتنيـــاهو، خـــلال الأيـــام الأولـــى التـــي أعقبـت اختطاف الطائرة، في مهمة تدريب في ســـيناء، وكـــان موكـــي بتســـار نائبـــه، يطلعـــه، خطوة بخطوة، على مجريات الأحداث. لكن، فـــي تلـــك المرحلـــة تحديـــداً، بـــدا الأمـــر أكثر جدية، فاستدعاه موكي للعــــودة.

وافق دان شومرون على طلب بـــراك، وتـــم تكليـــف دوريـــة هيئـــة الأركـــان بمهمة اقتحام القاعة القديمة في مطار عنتيبيــــي، إلـــى جـــانب مقـــاتلين مظلييـــن بقيـــادة متان فلنائي، وطاقم من لواء جولاني، بقيادة العقيـــــد، أوري ســـاغي-ايزنبـــيرغ.

كان يوم الجمعة ٢-٧-١٩٧٦ يوما بائسا بالنســبة لايـــهود بـــراك، فقـــد عـــاد رئيس هيئة الاستخبارات اللواء شلومو غازيت، الـــذي كـــان فـــي الخـــارج حتـــى ذلـــك اليوم، وحاول منع براك مـــن المشـــاركة فـــي العمليـــة، وقـــد جـــرى بينـــهما الحـــوار التـــالي:

غازيت:" ايهود، أنـــت تعـــرف الكثـــير مـــن الأســـرار، ولا يجـــب علينـــا تعريضـــك للخطر. ستكون كارثة إذا وقعت في الأسر، ولست مســـتعدا للموافقـــة علـــى مشـــاركتك في العمليـــة".

كان غازيت يتذكر ما حـــل بـــالعقيد، عـــوزي يـــائيري، الـــذي ســـبق ايـــهود براك، إلى منصب مساعد رئيس شعبة الاســـــتخبارات لشـــؤون العمليـــات، وقتـــل فـــي عملية تخليص الرهائن في فندق "سافوي" بتـــل أبيـــب.

غازيت:" أنت اليوم ضابط رفيـــع المســـتوى فـــي شـــعبة الاســـتخبارات، ولســـت قـــائد وحدة لست مســـــتعدا لأن يحـــدث لـــك مـــا حـــدث لعـــوزي يـــائيري، الـــذي خـــاض عملية"سافوي" دون ضرورة لست مستعدا لان تتعـــرض لنفـــس الخطـــر. مـــن وجهـــة نظري، الأمر منته. وسأتوجه إلى رئيس هيئـــة الأركـــان".

براك:" أنا أناشدك لا مبرر لمخاوفك. إذ ليس من الممكن أن أقع في الأسر في عنتيبي. كنت في أماكن أكثر تعقيدا وقد خرجت منها.

غازيت:" كنت آنذاك قائداً لدورية هيئة أركان، والوضع كان مختلفاً".

براك:" هذه المهمة هامة جداً. إنها عملية لها خصوصيتها. الأشخاص هناك بحاجة لذوي الخبرة الكبيرة، ولن تمنعني من المشاركة في العملية.

بعد ذلك، التقى ايهود موطي جور، رئيس هيئة الأركان. وجرى بينهما الحوار التالي:-

ايهود:" موطي سيأتي إليك شلومو غازيت وسيحاول إقناعك بمنعي من المشاركة في العملية".

جور:" فليحاول. لقد انتهيت الآن من الحديث في هذا مع رئيس الحكومة، اسحق رابين، وأخبرته بأنه دان شومرون سيقود العملية، وستكون أنت نائبه، وقد بدا لي موافقا.

براك:" موطي أعلم أن يوني نتنياهو سيتقبل الأمور بصعوبة.

جور:" يوني صغير. يحتاج إلى خبرة في مثل هذه العملية. أنا أهتم قبل كل شيء بما هو أفضل للعملية. ضع يوني نائباً لك في القوة".

براك:" حسناً سأخبره".

جور:" افضل أن يقوم دان شومرون بذلك. فهو قائد العملية".

براك:" وسأطلب التحدث إلى يوني بعد أن ينهي حديثه مع دان.

خرج ايهود من مكتب رئيس هيئة الأركان، وأسرع إلى المجموعة القيادية في منزل المظلي في رمات جان وفي المدخل، شاهد دان شومرون ويوني نتنياهو، منهمكين في الحديث. انتظر قليلا حتى ينتهيا، ثم اقترب من يوني ، الذي بدا مضطربا ومهموما.

ايهود:" هذا قرار رئيس هيئة الأركان. وباعتقادي، أنها توصية من كوتي".

يوني : أعلم. شرح لي دان. أريدك فقط أن تعلم أنه لو كان أحد غيرك، لما كنت سأوافق. كنت سأشعر بالألم. كل جنود القوة سيكونون من الوحدة وينبغي أن

أكون قائدهم. أنت الشخص الوحيد الذي أقبل تخويلـه بـهذه المهمـة، والوحيـد الـذي سيتفهم المحاربون طبيعة تعيينـه.

وقف الاثنان متواجهين للحظة، والصمت يخيـم عليـهما. وضـع ايـهود يـده على كتف يوني ، نظر في عينيه وقال له:" يونـي . أفـهم شـعورك. كنـا سـوية فـي الكثير من العمليات كقائد ومرؤوس. الان. هذا قـرار والعمليـة جديـة أكـثر مـن أن ننشغل بذلك. أفهم شعورك. وثق بـي. سـأفعل كـل شـيء لكلـي لا تتضـرر. أنـت ستكون نائبي في القوة، وسـتختار مـهمتك".

يوني :" أريد قيادة القوة واقتحام القاعـة نفسـها.

ايهود: حسناً. لندخل إلى المجموعـة".

بعد مضي سنوات على هذا الحوار، نشر عيـدو نتنيـاهو، الشـقيق الأصغـر ليوني في كتابه "المعركة الأخـيرة ليونـي " صـورة مختلفـة لمـا حـدث وحسـب أقواله، لم يكن يوني ينوي التنازل بسهولة عن تلـك المهمـة.

يقول عيدو نتنياهو في كتابه:" كـان يونـي يشـعر بالامتعـاض، إزاء قـرار تعيين ايهود براك قائداً لدورية هيئة الأركان. لـم يكـن يونـي ينـوي إبقـاء الوضـع على ما هو عليه، فالقوة التي ستتواجد في ساحة المعركـة سـتكون كلـها مـن جنـود الوحدة، ويوني ، بوصفه قائد الوحـدة، كـان يشـعر بأنـه الشـخص الوحيـد الـذي ينبغي أن يكون قـائدهم".

" في فجر يوم الجمعـة، جلـس ايـهود ويونـي وحدهمـا، وربمـا نشـبت بينهما مشادة حول مسـألة قيـادة الدوريـة. اسـتعرض ايـهود مـع يونـي تفـاصيل الخطة، وأبدى اقتراحات تنفيذيـة لمرحلـة مـا بيـن الـهبوط فـي عنتيبـي، الحركـة السريعة إلى القاعة والـهجوم.

"شعر يوني من ملاحظات ايهود، أنـه يعـتزم قيـادة العمليـة بنفسـه، ولـن يكتفي بمجرد الإشراف عليها، وكان ايـهود الـذي شـعر بتوتـر يونـي ، يظـن بـأن ساعات قليلة من النـوم، ستسـاعد يونـي علـى فـهم قـرار قيـادة سـلاح المشـاة والمظلييـن".

وعلى أية حال، كان ايهود يعتزم السماح ليوني بالإشراف على قوة الدورية لئلا يمس بصلاحياته كقائد للوحدة، ولكن، كان من المفترض، أن يكون مصدر الصلاحيات الأعلى في منطقة الهجوم واقتحام القاعة.

كان من الصعب تجاهل المشاكل التي واجهها يوني آنذاك، في دورية هيئة الأركان، وكان ايهود ونائب رئيس هيئة الأركان، اللواء يكتوئيل آدم، يدركان طبيعتها. فقبل اختطاف الطائرة ببضعة أسابيع فقط، توجه عدد من قدامى الضباط في دورية هيئة الأركان، إلى آدم، وتذمروا أمامه من أن يوني يمر بحالة نفسية صعبة، وأن أسلوبه في القيادة ليس كما كان عليه في السابق.

يعتبر مثل هذا الامر نادرا جدا في دورية هيئة الأركان، ولم يحدث قبل ذلك سوى مرة واحدة فقط، عندما كان مناحيم ديجلي قائد الوحدة، وتوجه عدد من الضباط إلى ايهود براك، الذي كان قد تحول آنذاك إلى سلاح المدرعات، وتذمروا أمامه من أسلوب عمل ديجلي.

كان هذا هو السبب في توجه يكتوئيل إلى رئيس الحكومة، اسحق رابين ليقنعه بتعيين ايهود براك قائدا لقوة دورية هيئة الأركان، التي ستقتحم قاعة مطار عنتيبي لقد كان كوتي يثق تماما بيوني ، بيد أن ما سمعه من ضباط الدورية أزعجه.

كان يوني يعيش أزمة شخصية عميقة، ولم يتضح ذلك إلا بعد وفاته، ففي ٢٩-٦-١٩٧٦، أي قبل وفاته بخمسة أيام، وفي ذروة الاستعدادات لإطلاق سراح الرهائن، كتب يوني إلى (بروريا) زوجته رسالة يقول فيها:" أنني أواجه مرحلة حاسمة في حياتي، وفي داخلي أزمة عميقة تضعف فهمي وتصوراتي. أنا أشعر بالتعب معظم الوقت، لكن هذا جزء فقط من المشكلة، لقد فقدت حسي بالرغبة في الإبداع والتجديد. والأمر صعب بالنسبة لي.

كان ايهود أحد أشد المقربين من يوني ، هذا إن لم يكن الأكثر قربا. ذلك أن شقيقيه لم يكونا آنذاك في الوحدة بيبي لم يكن في إسرائيل وأصدقاؤه خارج

الوحدة، لم يتفهموا طبيعة الاختبارات الصعبة، التي كـان يواجهـها فـي الوحـدة كمـا لم يتفهم زملاؤه في الوحدة تعقيدات حياته الخاصـة كإنسـان عـادي.

كان ايهود المقرب الوحيد الـذي أدرك هذيـن الجـانبين لـدى يونـي . كمـا كان الجهة التي أوصلت يوني إلـى منصبـه فـي الوحـدة، ودربتـه علـى أسـلوب القيادة. كان يدرك بأن يوني جدير بقيادة الوحدة وبلـوغ مـا هـو أبعـد. وقـد شـعر ايهود أن من واجبه، بوصفه صديقه وقائدة سابقا، مساعدته علـى تجـاوز تلـك الفـترة الصعبة. كان الوضع صعباً جداً بالنسـبة لـه. فالصداقـة التـي جمعـت بينـهما فـي العمليات التنفيذية المشتركة، وضعت فجأة علـى محـك الاختبـار.

بدأ التعارف بينهما مطلع عـام ١٩٦٩. كـان يونـي يصغـر بـراك بأربعـة أعوام، وكان قائد أطقم المسـتجدين، أمـا بـراك، فقـد عـاز انـذاك إلـى الوحـدة كتائب لقائدهـا.

كان يوني نتنياهو، أكبر سـنا مـن بقيـة ضبـاط دوريـة هيئـة الأركـان. ضابطاً مظلياً تسرح من الجيش، قبل حرب حزيران وقـد شـارك فـي الحـرب كقـائد سرية في معركة دارت رحاها في الهضبة السورية واصيـب فـي مفصلـه. ثـم عـاد إلى الجيش النظامي مع بداية حرب الاستنزاف وكـان حديـث الـزواج مـن (توتـي). كان طالباً متميزاً، علق دراسته ليعود إلـى الجيـش، إلـى الوحـدة التـي خـدم فيـها شقيقه بيبي نتنيـاهو.

لقد اكتشف ايهود ضابطاً يتسم بالجدية والنضـوج، والشـعور بـالحيرة رغـم ذلك. قائداً، عرف كيف يتحدث مع جنوده بـهدوء. لقـد أحـب لقاءاتـه معـه، ووجـد نفسه ينشغل معه أكثر فأكثر، وينزع إلى أحاديث خاصـة لا تتعلـق بمـا يجـري فـي الوحـدة.

توطدت العلاقة بين الضابطين حتـى بلغـت حـد الصداقـة الحميمـة، خـلال الرحلات الطويلة إلى مناطق التدريب وخـلال الاسـتعدادات للعمليـات الخاصـة. وقـد فتح يوني –الذي كان جميع أفراد عائلتـه باسـتثناء شـقيقه الصغـير بيبـي، يعيشـون

خارج إسرائيل- قلبه لقائده. كان تقدير كـل منـهما للشـخص الآخـر متبـادلا، وكـان ميلهما للموسيقى مشـتركا.

تحدث يوني لايهود عن شعوره بالحيرة إزاء انشـغاله بالخدمـة فـي الوحـدة التي أخذت جل وقته وغيابه عـن زوجتـه، كمـا تحـدث لـه عـن مشـاعر الشـوق والحنين إلى ذويه في الولايات المتحدة الأمريكيـة، الذيـن يعيشـون فـي مـنزل يتسـم بالتقشف والبساطة، وعن علاقاته المقعـدة معـهم.

كان يوني واسع الاطلاع على تـاريخ (أرض-إسـرائيل)، حتـى أنـه عـرف معارك يهودا المكابي، كما لـو أنـها حدثـت قبـل ذلـك بعـامين، وليـس قبـل آلاف السنين. كان من المهم بالنسبة لـه، أن يعـرف أدق التفـاصيل عـن الوحـدة منـذ أن أنشأها ابراهام ارنان وحتى اللحظة التي وصل فيـها إليـها.

أكثر يوني من الحديث عن شقيقه الصغير بيبي حتـى أنـه فـي مرحلـة مـا، اعترف بان أحد الأسباب التي حدت به للتطوع للخدمة فـي دوريـة الأركـان، رغبتـه في التواجد قرب أخيه وحمايته، ولم يكف عن الاهتمـام بشـؤونه، ليـس نـزولا عنـد رغبة والديه، بل لأنه كان يحبه حبـاً جمـا.

كان يوني يدرك طبيعة موقف بـراك الرافـض لإشـراك اثنيـن مـن عائلـة واحدة في نفس العملية، لذلك، حاول استغلال علاقـات الصداقـة التـي تجمعـه بـبراك لإقناعه بتفضيله على بيبي في العمليات الخاصة، وكـان يـدرك بأنـه، بـهذه الطريقـة، سيبعد بيبي عن المخـاطر.

وإضافة إلى العلاقة التي تربطـه بيونـي ، كـان لايـهود علاقـات بشـقيقه الصغير، بيبي، بيد أن الحديث يدور هنا عـن علاقـات مـن نـوع آخـر، فقـد كـان ايهود وفي مناسبات كثيرة، أستاذ بيبي، كمحارب وكقـائد طـاقم أيضـا.

يقول ايهود: "لقد كان الطابع الودي مع قـادة الأطقـم، جـزءاً لا يتجـزأ مـن عملي في الوحدة. كانت العلاقة المباشرة بين قائد الوحـدة والضبـاط، تفـوق مـا هـو مألوف في كتائب المظليين، التي لم تكن مشـاركة قـادة الكتـائب فيـها فـي نشـاطات قادة السرايا، بمثل هذا العمـق".

وعندما وقع الاختيار علـــى بيبـــي لتنفيـذ أول عملياتـــه فـــي الوحـــدة، عمـــل براك كموجه له ورافقه طيلـــة اشـــهر الاســـتعداد للعمليـــة، حيـــث خـــرج معـــه إلـــى التدريبات وتابعه عن كثب في المناورة النهائيـــة، التـــي لا يمكـــن أن تصـــدر الموافقـــة على تنفيذ عملية خارج الحدود دونـــــها.

قبل تلك العملية، واجه ايهود مشـــكلة كبـــيرة، كـــان عليـــه توحيـــد الطـــاقمين في طاقم واحد يقوم بعمل واحد. احتار القـــائد التنفيـــذي للطـــاقم تشـــاور مـــع منـــاحيم ديجلي الذي كان قد التحق بدورة مشاة البحرية في الولايـــات المتحـــدة، وتقـــرر أخـــيرا اختيار بيبـــي.

كانت السعادة تغمر بيبي، وقد شكر ايهود علـــى اختيـــاره، بعـــد ذلـــك بوقـــت قصير وصل شقيقه يوني ليشكر ايهود أيضا علـــى اختيـــار شـــقيقه. ورغـــم مخاوفـــه من العمليات الميدانية، الا أنه تمكن من السيطرة على نفسه ولـــم يضغـــط علـــى ايـــهود ليستثني يوني منـــها.

وعلى أية حال، شعر ايهود أن اختيـــاره لبيبـــي، أدخـــل الســـرور إلـــى نفـــس يوني، الذي اعتبر الأمر، بمثابة اعتراف بقـــدرة شـــقيقه الصغـــير علـــى قيـــادة عمليـــة خطيرة ومعقدة خارج الحـــدود.

يقول ايهود:" كان يوني نتنياهو شـــخصية تتســـم" بنبـــل الأخـــلاق، التصميـــم، الثقافـــة، والحساسية". لقد عرفته رجلا يتميز بالجدية والإخـــلاص فـــي كـــل عمـــل يقـــوم بـــه، ومع ذلك كنت اشعر بأنه يحس بشيء من وخز الضمـــير. أحسســـت بأنـــه يشـــعر أنـــه لا يتمكن من تقديم كل ما يريـــد".

منذ اللحظة التي عرفـــت فيـــها يونـــي الإنســـان، القـــائد والصديـــق، تعـــهدت برعايته وكنت أدرك انه سيأتي يوم يصبح فيـــه قـــائد الوحـــدة لطالمـــا تبادلنـــا أطـــراف الحديث حول الحياة في الجيش وخارجه. ولقد شـــعرت، منـــذ بدايـــات معرفتـــي لـــه أن في داخله قوة قيادية كبيرة، ليس أنا فقط، بل ابراهـــام ارنـــان ورئيـــس هيئـــة الأركـــان، اللذان اعجبا به وأحباه. كان يوني بالنســـبة لـــهما، أفضـــل المرشـــحين لخلافـــة ايـــهود

في نيسان ١٩٧٣ في قيادة الوحدة، بيد أن ايهود قرر التوصية لتعيين (جيورا زوريع)، الذي كان أكبر سنا وأقدم من يوني في الوحدة.

ويضيف ايهود:" ربما توقع يوني أن أوصي بتعيينه لكنني أرى من الأفضل أن يقود كتيبة مدرعات وأن يكتسب الخبرة، قبل أن يعود كقائد. وقد قبل يوني اقتراحي. وبعد أن أنهى مهمته كقائد كتيبة مدرعات، أدرك أن هناك(جيشاً إسرائيليا) خارج الوحدة وسلاح المظليين، وإذا اراد الوصول بعيداً فإن عليه أن يتعرف إليه.

كانت فترة الخدمة في المدرعات، ومرحلة الدراسة بعد ذلك في جامعة (هارفارد)، من أجمل أيام (يوني)، وقد أخبرني بذلك أكثر من مرة. لقد تسلم يوني زمام قيادة الوحدة، بعد (جيورا زوريع) في نيسان ١٩٧٣، عندما أصبح أكثر فهماً ونضوجاً.

وعلى الرغم من حساسية وخصوصية العلاقة التي جمعت بينهما، اضطر ايهود لمواجهة القرار المهني، الذي حرم يوني من قيادة دورية هيئة الأركان.

في تلك الأثناء، بلغت الاستعدادات للعملية مرحلة متقدمة، حيث أصدر وزير الدفاع (بيرس) موافقته، فيما أبدى (رابين)، رغم موافقته على مبادئ الخطة، بعض التحفظ، وقد توجه إلى رئيس الموساد، اللواء (احتياط) (اسحق حوفي) وقال له:" لقد وافقت مبدئيا، على العملية، لكنني لن أحرر موافقتي النهائية، قبل أن يتم التأكد من أمرين: أولهما: عدم وجود عقبات وقناة أو حائط بين القاعتين القديمة والجديدة، وثانيهما، أن يكون الرهائن في القاعة القديمة، قبل الهبوط في عنتيبي، لا أريد أن يحدث لنا ما حدث لقوة" رينجرز" الأمريكية التي خرجت لإنقاذ الأسرى في شمال فيتنام، واتضح لهم فيما بعد أن الأسرى ليسوا في المكان.

وقد تعهد رئيس هيئة الأركان، (موطي جور)، من جانبه، بنقل رسالة بهذا الشأن، إلى رجل الموساد، (ناحوم أدموني)، الذي توجه إلى كينيا.

وفي الساعة الثانية من فجر يوم الجمعة، غادر ايهود مكتب يوني في الوحدة لأخذ قسط من الراحة، فيما واصل يوني و(موكي بتسار) مناقشة التفاصيل.

في ساعات ما قبل الظهيرة، عاد ايهود ويوني إلى قاعدة الوحدة، واتفقا على تشكيلة القوة التي ستشارك في الهجوم. كان العميد (دان شومرون)، قائد الوحدة، يشرف على عملية التوجيه الميداني في القاعدة والتي وصلت إليها جميع القوات، لدراسة أدق تفاصيل المهمة العسكرية، استعداداً للمناورات التي ستجري لمختلف الوحدات بعد ذلك. في تلك الأثناء، تم استدعاء ايهود للرد على مكالمة هاتفية وصلت إليه، كان"كوتي آدم" على الخط الآخر.

كوتي: احضر إلى مكتبي حالا ايهود، لكن ايهود شعر بأن نبرات صوته لا تبشر بخير.

ايهود: كوتي أنا في منتصف عملية التوجيه الأخيرة. ولا أستطيع مغادرة الموقع الان".

كوتي:" ليس هناك خيار آخر، ايهود غادر القاعدة وعد حالا".

خرج ايهود على الفور لمقابلته. كان يخشى أن يكون قد حدث شيء ما، تسبب في تشويش كل ما تم الاتفاق عليه.

وفي مكتبه، كسر (كوتي) حاجز الصمت وقال:" إنني مضطر لإلغاء مشاركتك في العملية. عليك التوجه بعد ساعتين، على متن طائرة خاصة إلى نيروبي، عاصمة كينيا، للإشراف على عملية تزويد الطائرة بالوقود في طريق العودة، إعداد مستشفى متنقل، تجهيز منظومة اتصال بنا، بغرفة القيادة المنقولة جواً، وبالمسؤولين في إسرائيل، والتنسيق مع الكينيين الذين لا يعرفون شيئا بالطبع. فإذا طرأ تشويش على سير العملية في عنتيبي، سنضطر للعمل من نيروبي".

ايهود:" هل جننت؟ عليك أن تجد شخصاً آخر غيري. باستثناء، (دان) لا أحد يعرف كل تفاصيل العملية مثلي".



كوتي:" فكرت باللواء يونه افراتي. أنه في طريــــق العــودة. ثــم أننــي ســأكون فــي كينيا وسأكون بحاجة إلى وجود شخص بجانبي، يفهم العمليــــة وتفاصيلـــها جيــداً.

ايهود:" أنت مخطئ. إنهم بحاجة لي فــــي عنتيبــي. ويمكــن أن تجـد غــيري ليقــوم بالمهمة في كينيــا".

كوتي:" أعرف. ولكن للأسف لا خيار أمامي. ولا وقـــت أمامنـــا للاختـــلاف".

ايهود:" (دان) يعرف ذلـــك؟".

كوتي:" نعم. وكان الامر صعباً عليه. ليس هناك خيـــار. إنـــها الأوامـــر".

شعر ايهود في تلك اللحظة، وكأن السماء بثقلـــها قــد ســقطت عليــه. خــرج محطماً من مكتب نائب رئيس هيئــــة الأركـــان، وتوجــه إلــى منزلــه فــي (رمـات هشارون) لتبديل ملابسه وتوديع (نافا) وابنتيه. اخبر (نافا) بأنـــه ســيخرج فــي مهمــة إلى أوروبا. لكنها كانت تدرك تمامـــاً، بأنــه ســيخرج فــي مهمــة تتعلــق بالطــائرة المخطوفــة.

في ساعات ما بعد الظهيرة، أقلعت طائرة بيوينغ مـــن مطــار بــن غوريــون، وعلى متنها عدد من الأطباء، الممرضين، مستشفى متنقل وايــــهود بــراك بـــالطبع.

وقبل الإقلاع، اتصل ايهود بـــالعميد بروبكـا بـوران، الســكرتير العســكري لاسحق رابين، وأخبره بأنه متوجه إلى نــــيروبي. ثــم اتصــل بجــادي زوهــر، أحـد ضباط شعبة الاستخبارات، والذي كان عضـــواً فــي طــاقم التخطيــط الــذي يترأســه واتفق معه على أن يكون ضابط اتصالــــه فــي إســرائيل. اتفقــا فيمــا بينــهما علــى شيفرات ســرية.

وأراد ايهود أن يكون الاسم السري لرئيس الحكومــــة اســحق رابيــن،"صــهر ابرميلا". وكان"ابرميلا" ابراهام بن آرتشي صهر رابين والاســـم الســري للعملــة" بــار متشــعيه".

يقول ايهود:" طرت إلى كينيا والألم يعتصرنــــي. للمــرة الأولـــى فــي حيــاتي يتم إلغاء مشاركتي في عملية كنت جزءاً مهما منــــها، هــذا إذا لــم أكــن فــي قلبــها.



طيلة الطريق إلى نيروبي لم أتوقف عن التفكير في الأمر. كيف يعقل أن أكون على متن الطائرة في طريقي إلى كينيا، وليس مع المحاربين".

كان بانتظاره في نيروبي، (ناحوم ادموني)، رجل الموساد، وعدد آخر من كبار الشخصيات في الجهاز. وقد اجتمع في نيروبي مع ايهود في محاولة للوصول إلى معلومات دقيقة حول ما يحدث في عنتيبي.

بعد العملية بسنوات نشرت صحيفة" ديلي اكسبرس" البريطانية، جزءا من تلك الجهود وقالت:" أن الموساد جند ضابطا بريطانيا متقاعدا، رجل أعمال، عاش في كينيا. كان طيارا هاويا، يملك طائرة صغيرة".

ووفقا لأقوال الصحيفة، خرج الشخص المذكور بتاريخ ٣-٧-١٩٧٦ فجرا، في رحلة إلى عنتيبي. وصور لصالح الموساد، المطار وما حوله. لم تؤكد إسرائيل أبدا هذا الأمر، لكن ما كشفته الصحيفة، أثار حفيظة (عيدي أمين)، حاكم أوغندا، الذي دعا الطيار البريطاني، عقب ذلك إلى زيارة مصالحة في أوغندا. وبعد الزيارة الحارة، وقبل أن يصعد إلى طائرته عائدا إلى حيث أتى، قدم له (عيدي أمين) هدية خاصة: شبلين في قفص شحنا على متن الطائرة. وفي طريق العودة انفجرت الطائرة وتحطمت وبذلك أنهى عيدي أمين حسابه.

في صبيحة السبت، وصلت الصور التي التقطت في عنتيبي إلى غرفة القيادة في كينيا، نظر ايهود بتركيز ووجد الإجابات على الجوانب التي أثارت قلق رئيس الحكومة: إذ لا يوجد هناك عقبات أو حواجز بين القاعتين القديمة والجديدة في مطار عنتيبي.

اتصل ايهود على الفور، برئيس هيئة الأركان وقال له:" كل المعلومات التي طلبها اسحق رابين في طريقها إليك. فيما يتعلق بالسؤال الأول، الرد إيجابي، وليس هناك عقبات وبمقدوركم العبور".

كان الاتصال مشوشا، وليس من الواضح ما إذا كانت المعلومة قد وصلت. نقلت المادة المصورة بطائرة "بوينغ" التي خرجت على الفور من كينيا

إلى شرم الشيخ.. وقد وصلت الأفلام إلـــى قـوة دان شـومرون قبـل بضــع دقـائق فقط من الإقلاع لتنفيذ العمليـــة.

شعر براك في لحظة ما، أن (موطي جـــور)، لـم يـدرك بـالضبط، طبيعـة المادة التي ستصله. فعمد إلى الاتصال برجل اتصالــه، جـادي زوهـر، الـذي جلـس في هيئة الأركان في تل أبيب وقال له:"أعلـم موتـي وسـكرتير" صـهر ابرميـلا" أن كل شيء على ما يرام. وفيما يتعلق بالسؤال الأول: يمكن تنفيـــذ بـار مشـتعيه". وقـد قام (زوهـر) بـدوره بنقـل المعلومـات إلـى العميـد (افرايـم بـورن)، السـكرتير العسكري لرئيس الحكومــة.

ومع وصول المعلومة الاستخبارية والمـادة المصـورة، أخـذ قـائد العمليـة، (دان شومرون) الموافقة على الإقلاع، لكنه لم يتسلم الموافقة علـــى تنفيـذ العمليـة.

في تلك الساعة، عقد رئيس الحكومة، اسحق رابيـــن، جلسـة لمجلس الـوزراء فـي تل أبيب، وأمر سـكرتيره العسـكري، بـإصدار أوامـره إلـى الطـائرات بـالإقلاع والتحليق إلى حين صدور الموافقة النهائيـــة. فـي تلـك اللحظـة، وصلـت المعلومـة التي كان ينتظرها اسحق رابين من كينيا، والتي تفيـــد بـأن الرهـائن سـيكونون مـع حلول الظلام على عنتيبي، في القاعـة القديمـة للمطـار وعندئـذ، صـدرت الموافقـة ونقلها موطي إلى غرفة القيادة المنقولـة جـواً، والتـي ينتظـر فـي داخلـها، اللـواء (كوتي آدم)، قـائد سـلاح الجـو، اللـواء (بينـي بيلـد) وقـائد القـوة العميـد (دان شـومرون).

كان ايهود في كينيا، بانتظار اتصال هـاتفي مـن (جـادي زوهـر). وعندمـا سمع كلمة"صهر ابرميـلا سـيصل حتمـاً إلـى بـار متشـعيه"، أدرك أن الطـائرات الإسرائيلية في طريقها نحو الـــهدف.

كان ايهود على علم بـالوقت المحـدد لـهبوط الطـائرات، وكـان يـدرك أن استمرار العملية لأكثر من ساعة، يعنـي أن الوضـع بـات معقـداً. وعندمـا أقلعـت الطائرات فقط، وعلى متنها الرهائن، تلقـى التقريـر الأول بـالكود السـري مـن تـل

أبيب: لقد فقدت القوة عنصراً واحداً. هناك إصابات. الطائرات في طريقها للتزود بالوقود من نيروبي الهبوط بعد ساعة".

استقبل ايهود الطائرات على مدرج المطار. وعندما فتحت أبواب طائرة"هيركوليس" الأول، وجد نفسه يعانق دان شومرون. كان شومرون أول من أخبره بمقتل يوني في العملية.

دخل ايهود إلى الطائرة ليودع صديقه. كانت علامات الذهول والصدمة، ما تزال تعلو وجوه الرهائن. أشار أحدهم إلى سرير ملقى وسط الطائرة. كشف ايهود الغطاء ونظر إلى وجه يوني الشاحب. حملق في وجهه، ودعه، ثم نزل من الطائرة وقد اغرورقت عيناه بالدموع، وشعر بجرح عميق في داخله.

اتجه نحو موكي بتسار وعانقه. قال له موكي:" لقد أصيب يوني بعد أن نزلنا من السيارة وانفصلنا عنه. ويبدو أنه أصيب برصاص جندي أوغندي من برج للمراقبة. بعد ذلك، تسلمت القيادة، واتصلت بدان شومرون وأعلمته بالأمر، واستكملنا العملية. عدت إليه وعلمت بأن الطبيب لم يتمكن من إنقاذه.

سار ايهود باتجاه عدد من المقاتلين- عومر بار-ليف، شاؤول موفاز وامنون بيلد، جميعهم قادة القوات في الوحدة، ثم عاد إلى غرفة القيادة واتصل برئيس هيئة الأركان: لقد هبطت الطائرات وقتل يوني خلال العملية.

موتي:" هل حقاً ما تقول"؟

ايهود" نعم، وقد تم نقل الجرحى لتلقي العلاج. عملية التزويد بالوقود، ستنتهي بعد ساعة تقريبا. وسأتصل بك عندما تقلع الطائرات جميعها".

بعد ذلك اتصل ايهود بمنزله في (رمات هشارون) كانت الساعة الثانية فجرا. تحدث إلى (نافا)، ثم أخبرها بمقتل يوني. وطلب منها اطلاع زوجته (بروريا) على الأمر، بدل أن تعرف من مصدر آخر.

ايهود: "عليك عمل ذلك. لقد رأيت يوني قبل قليل وودعته، بعد دقائق سيعلنون عن العملية في الراديو".

أقفلت (نافا) الخط، ثم نزلت إلى شقة يوني و(بروريا). كانت تتمنى وهي تقرع الجرس أن لا تجيب (بروريا).

فتحت (بروريا) الباب. لم تكن (نافا) قادرة على الحديث قالت لها أن ايهود هاتفها من نيروبي. ثم أردفت قائلة:" وقد أصيب يوني خلال العملية"، ثم أضافت:" وجراحه خطيرة". ثم انفجرت بالبكاء. أدركت (بروريا) ما حدث. وبعد بضع ساعات وصل ضباط من الوحدة وأخبروها بما حدث.

بعد ذلك بيومين، دفن يوني في جبل هرتسل بالقدس، لم يحضر ايهود مراسيم التشييع، حيث اضطر للبقاء في كينيا يومين إضافيين للاهتمام بشؤون الجرحى في المستشفيات، ولحل مشاكل ظهرت في أعقاب العملية في عنتيبي. وبعد ثلاثة أيام فقط، عاد إلى إسرائيل، ثم توجه إلى منزل (بن تسيون)، وكان لقاؤه الأول بذوي يوني.

صافحه (بن تسيون نتنياهو) وقال:" لقد سمعت عنك الكثير من يوني، الذي كان يكن لك مشاعر الود والتقدير". تحدثت (تسيلا نتنياهو)، والدموع تنهمر من عينيها:" لقد تحدث عنك يوني كثيرا في رسائله، ولطالما رغبت في التعرف إلى هذا القائد الذي أحبه... وهنا علق ايهود بقوله:" كان يوني مثيراً للدهشة، أنه شخص نادر الوجود".

اراد بيبي أن يسمع من ايهود، الكثير عن الأيام والساعات التي سبقت عملية عنتيبي. كانا يتحدثان كشخصين تجمعهما كارثة مشتركة، وليس كقائد وحدة وضابط صغير تحدث بيبي عن مسألة تقسيم الإرث وما تركه يوني، وأراد من ايهود التدخل للوصول إلى تسوية مع (بروريا). بذل ايهود أقصى طاقاته للمصالحة بين ذوي يوني وزوجته (بروريا)، لكن جهوده هبت أدراج الرياح، وقد تسببت هذه المحاولة، فيما بعد بقطع العلاقات بينه وبين ذوي يوني، الذين زعموا بأن ايهود أبدى تعاطفه مع (بروريا).

بعد عملية عنتيبي ببضعة أشهر، وصلت إلى ايهود رسالة من يوني، كان قد أرسلها إليه عام ١٩٧٣ في جامعة ستانفورد، لكن حرب تشرين سبقت

وصول الرسالة، التي سلمت إليه بعد ثلاث سنوات. وقد أثنى يوني في رسالته على ايهود وكال له المديح. قرأ ايهود الرسالة، مرة تلو الأخرى، والدموع تنهمر من عينيه، وما زالت تلك الرسالة حتى اليوم، في بيت ايهود و(نافا) براك.

الفصل الثالث عشر

اللواء الصغير في هيئة الأركان
وضع نظرية بناء الجيش الإسرائيلي وشارك في غزو لبنان

في مطلع عام ١٩٧٧ ترك (ايهود براك) شعبة العمليات في هيئة الأركان، وتوجهت العائلة- ولدت له بنت أخرى تدعى ياعيل- مرة أخرى إلى الولايات المتحدة الأميركية. بهدف استكمال الدراسة.

التحق ايهود بجامعة"ستانفورد" كان هذه المرة أكبر وأكثر نضجا وخبرة، بيد أن الأهداف التي وضعها لنفسه قبل ذلك بأربع سنوات، لم تتغير. إنه مصمم على إنهاء الدراسة ونيل شهادة معتمدة في غضون أقل من عامين، والعودة بعد ذلك، إلى الجيش الإسرائيلي.

وخلافا لفترة دراسته في القدس، التي اعتاد خلالها التغيب عن المحاضرات، لم يضيع ايهود في جامعة"ستانفورد" محاضرة-تقريبا. وسرعان ما أنهى الدراسة وعاد إلى الجيش.

لم يخف ايهود خلال اتصالاته من الولايات المتحدة، رغبته في قيادة فرقة مدرعات نظامية- وهي مرحلة من الضروري أن يجتازها من يريد أن يصبح ضابطا رفيع المستوى على المسار القيادي.

للمرة الأولى في حياته العسكرية، يصطدم براك بعقبة ليست سهلة. وسرعان ما اكتشف من اعتاد الدخول بحرية إلى مكاتب الألوية، حتى عندما كان ضابطا صغيرا في الوحدة، أن الوصول إلى قيادة فرقة نظامية، ليس أمرا سهلا.

وكما كانت الحال عليه في مواجهات سابقة، وجد ايهود أمامه هذه المرة خصما قديما. ففي نيسان ١٩٧٨، عين (رفائيل ايتان) رئيسا لهيئة الأركان خلفا لموطي جور. كان رفائيل بانتظار هذه اللحظة ليصفي حساباته.

لم ينس رفائيل لايهود مناوراته التي قام بها في منافساته الخفية، على العمليات الخاصة. وقد كان لديه مرشحان قديمان من سلاح المدرعات لقيادة الفرقتين النظاميتين- يوسي بيلد للفرقة النظامية الجنوبية وعميرام متسناع للفرقة النظامية الشمالية. كان أيضا لدى قائد القطاع الشمالي، اللواء افيجدور"يانوش" بن جال ما يقوله. فقد كان"يانوش"، صديق رفائيل، يفضل تنصيب عميرام متسناع

قائداً للفرقة الشمالية. ولم يجد نفعاً تدخل نائب رئيس هيئة الأركان، اللواء يكتوئيل آرام، واللواء دان شومرون.

تعتبر قيادة الفرقة الشمالية النظامية، مطمح كل ضابط رفيع المستوى، يرنو للوصول إلى رتبة لواء. تسلم ايهود آنذاك فرقة احتياطية-كانت فرقة متميزة قادها اريك شارون في حرب ١٩٧٣، بيد أنها اليوم فرقة احتياطية.

واجه ايهود التحدي الجديد بكل شجاعة وقوة وصمم على إكساب الفرقة، القدرة العملية التي تتمتع بها الفرقة النظامية.

تمكن ايهود من إثبات قدراته بعد بضعة اشهر. فقد بادر الجيش الإسرائيلي إلى إجراء مناورة ثنائية على مستوى الفرق، في منطقة سيناء. تجمع بين فرقة براك الاحتياطية وفرقة يوسي بيلد النظامية.

بذلت الفرقتان جهوداً كبيرة في إطار الاستعدادات، وأعد قائد القطاع، دان شومرون، هيئة تحكيم لتحديد الفرقة الفائزة. بيد أن الضباط الذين شاركوا في المناورة، لم ينسوا بعد ذلك الأشهر الطويلة التي لم يهدأ الجدل خلالها، حول الجهة الفائزة. سجل براك لنفسه على هامش هذه المناورة إنجازاً متميزاً. فقبل أن تبدأ، استدعى قدامى دورية هيئة الأركان وعلى رأسهم العقيد موكي بتسار لخدمات احتياطية خاصة. وقد عين بتسار قائداً لوحدة استطلاع خاصة، تابعة للفرقة، ألقيت على عاتقها مهمة سرية- تشويش "منظومة الخصم".

جرت المناورة كالمناورات السابقة في الجيش الإسرائيلي، غير أن أحداً في فرقة يوسي بيلد، لم يلحظ وحدة الاستكشاف التي نجحت في اختراق غرفة قيادة الفرقة ليلاً، حيث تمكن موكي ومعاونوه من شل حركة منظومة الاتصال والسيطرة في قيادة الفرقة الخصم. كما نجحوا بواسطة جهاز خاص، في نزع قطعة مهمة جدا من غرفة الاتصال تعتبر ضرورية للاتصال مع الوحدات.

كانت الاضطرابات التي نشبت عقب المناورة ، فريدة من نوعها. وقد أمر اللواء دان شومرون، الذي أشرف على المناورة بوقفها مؤقتاً إلى أن يتم العثور على القطعة المفقودة.

في نهاية عام ١٩٧٩، تسلم براك قيادة الفرقة النظاميـــة فـــي الجنـــوب، خلفـــاً ليوسي بيلد. وقد و صل إلى هذا المنصـــب بعـــد أن أثبـــت نفســـه كضـــابط مدرعـــات بارع نشط، أجرى مناورات ناجحة، وسجل رقماً قياسياً كقـــائد ميدانـــي يملـــك القـــدرة على تفعيل قوات كبيرة. وقد كان العقيد، داني يتوم، احد قادة الالويـــة فـــي الفرقـــة.

كان دان شومرون قائد القطاع، وعلاقاته كـــانت جيـــدة بطبيعـــة الحـــال مـــع ايهود وبلغت ذروتها في عملية عنتيبي، حيث شـــارك بـــراك شـــومرون فـــي أفكـــاره بشأن تشكيل وحدة خاصة، وقد أبدى شومرون تحمســـه للفكـــرة، وكمـــا يبـــدو، كانـــا يثقان بأنه لو كانت هناك وحدة مماثلـــة فـــي حـــرب تشـــرين ١٩٧٣، لكـــانت صـــورة الحرب خلال الأيام الأولى مختلفـــة تمامـــاً.

غير أن رفائيل، لم يكن يحب المفاجـــآت. وقطعـــا تلـــك التـــي يشـــارك فيـــها دان شومرون وايهود بـــراك.

في الثالث والعشرين مـــن نيســـان ١٩٨٠، وفـــي ذروة منـــاورة الفـــرق فـــي سيناء، وصل النبأ المفجع: لقـــد مـــات ابراهـــام أرنـــان الـــذي شـــكل دوريـــة هيئـــة الأركان بعد صراع دام عشر سنوات مع مـــرض الســـرطان.

طار براك إلى تل أبيب، وقـــام بتـــأبين ارنـــان، منفـــذاً بذلـــك وصيتـــه التـــي كتبها قبل وفاته بسنوات طويلة. وقد دفن أرنان فـــي جبـــل هرتســـل بـــالقدس بـــالقرب من 'دادو' ويوني نتنيـــاهو.

في نهاية عام ١٩٨١، نفذت الفرقـــة النظاميـــة منـــاورة كبـــيرة فـــي ســـيناء، كانت آخر المناورات الكبيرة، قبل نقل سيناء إلى الســـيادة المصريـــة، وقـــد كـــان مـــن بين الحضور، اريئيل شارون، الذي عيـــن وزيـــراً للدفـــاع منـــذ تمـــوز ١٩٨١، وقـــد تابع باهتمام مجريات المناورة، واعجـــب بســـرعة حركـــة الدبابـــات وســـرعة بديهـــة قائد الفرقة وأثنى على براك وصافحـــه بحـــرارة.

بعد انتهاء المناورة ببضعة أسابيع، دعي العميـــد بـــراك إلـــى مكتـــب رئيـــس هيئة الأركان، رفائيل ايتان. كان اللقـــاء قصـــيراً. ورفـــائيل كعادتـــه، لـــم يكـــثر مـــن الكلام. قال له:" قررت تعيينك رئيسا لشعبة التخطيـــط فـــي هيئـــة الأركـــان. وســـيدخل

التعيين حيز التنفيذ بتاريخ ١-١٢-١٩٨١، وسيتم ترفيعك إلى رتبة لواء "بالنجاح والتوفيق".

صافح ايهود رئيس هيئة الأركان. وبعد أن اصبح خارج المكتب فقط، تمكن من إطلاق ابتسامة واسعة. لقد نجح في الصعود من رتبة مقدم إلى رتبة لواء. وقبل أن يصبح في الأربعينيات من عمره، كان أصغر لواء في هيئة الأركان العامة التي يترأسها رفائيل. وقد ولدت قبل ذلك بوقت قصير ابنته الثالثة عنات.

كانت شعبة التخطيط، الأقل أهمية في هيئة الأركان، بيد أن براك كان يثق بقدرته على تغيير هذا الانطباع، إذ أثبت أهمية أوراق العمل والتخطيط التي سيقدمها. وبالفعل، أصبحت شعبة التخطيط في عهد براك، نشطة ومهمة على صعيد وضع تقديرات استراتيجية للأيام العادية وللطوارئ. ولم يكن براك ينتظر المهام، بل يخلقها.

كانت المهمة الأولى ، إعداد"نظرية بناء القوة العسكرية الإسرائيلية"، ولطرحها أمام وزير الدفاع. وقد أدهش وضوح أسلوب طرح الخطة ومضمونها أعضاء هيئة الأركان، بينهم رئيس شعبة الطاقة البشرية، رئيس شعبة الإمداد والتموين، ونائب رئيس هيئة الأركان، الذين وجدوا من الصعب التصديق بأن الخطة طرحت على يد لواء، وصل إلى الشعبة قبل ذلك بثمانية أيام فقط. أما رفائيل، فقد سعد بانشغال اللواء الصغير في أمور لم تبد، من وجهة نظره، على رأس سلم الأولويات، لكنها كانت مهمة لمستقبل الجيش الإسرائيلي على المدى البعيد.

وجد براك الفرصة أمامه، لتطبيق كل ما تعلمه أثناء إعداده رسالة الماجستير في مجال تحليل المنظومات. وقد قرر التخطيط لحاجات الجيش الإسرائيلي على خلفية تقليص مكثف لميزانية الدفاع. وبذلك، تكون شعبة التخطيط، قد أخذت على عاتقها مهمة التخطيط الاستراتيجي الإشراف على

منظومة الاتصال في ساعات الطوارئ، وفحص الاحتياطي في مخازن الطوارئ.

في تلك الأيام، بدأت شعبة التخطيط تطبيق نتائج لجنة "اغرنات" في كل ما يتعلق بوحدات مخازن الطوارئ، كي لا يتكرر ما حدث في تشرين أول ١٩٧٣.

غير أن المسألة الأهم التي رافقت براك في شعبة التخطيط، وعلى مدى سنوات خدمته، إلى أن أنهى مهامه كرئيس لهيئة الأركان هي: تحديد اتجاهات لتطوير المعدات الحربية ونظرية العمل في ساحة الحرب المستقبلية.

في مقابلة أجريت معه في مطلع عام ١٩٨٢، طرح اللواء براك أفكاره حول مهمة شعبة التخطيط فقال:" أنه مجال تتنافس فيه وبشكل يومي، مع العدو دون أن تعرف ما يفعل، الحروب تُحسم فوزاً أو خسارة وفق مستوى نجاح الجيوش في تحديد اتجاهات العمل الصحيحة في الفترة الواقعة بين الحروب، والعمل وفقاً لها.

ويجدر بنا التنويه هنا، إلى أنهم ما زالوا يعزون لبراك حتى اليوم، الفضل في دفع مسيرة تطوير العاب الحرب المحوسبة، لا سيما وأنه درس بشكل نظري منظومات أسلحة حديثة، لمعرفة مدى تأثيرها على ساحة الحرب في نهاية القرن العشرين.

تسلم براك إلى جانب منصبه في شعبة التخطيط، مهمة أخرى لساعة الطوارئ: نائب قائد الجيش. فقد أصر وزير الدفاع، اريئيل شارون، على تعيين براك قائداً للجيش، بيد أنه استسلم أخيراً لرأي رفائيل، الذي احتفظ بالمنصب للواء افيجدور(يانوش) بن جال، الذي كان آنذاك في فترة الدراسة في الولايات المتحدة، بعد أن أنهى مهامه كقائد للمنطقة الشمالية. وقد تم التوصل إلى تسوية يقود ايهود بمقتضاها الجيش، ويعده للحرب. لكن في حال اندلاع الحرب، سيعود "يانوش" ليتسلم عملياً، قيادة الجيش، وسيكون ايهود نائبه.

لم يشهد الجيش الإسرائيلي سابقات كثيرة من هذا النوع، وحسب تقديرات هيئة الجيش، سيكون هذا الربط بين'يانوش' وبراك مثيراً للإشكالات. وبعد مرور فترة غير طويلة، اتضحت صحة هذه التقديرات، عندما وجد الجيش نفسه في مواجهة ألوية المدرعات السورية في لبنان. كان براك يدرك بأن هذا الامر سيثير الاشكالات، لكنه لم يشأ الاعتراض على قرار رئيس هيئة الأركان.

في عام ١٩٨٢، بدأت تهب رياح الحرب. فقد توالت الاستعدادات وحالات التأهب مرة تلو الأخرى، وعادت منظومات الحرب إلى وضعها الطبيعي مرة تلو مرة. بيد أن تقديرات الجيش، كانت واضحة، وتشير إلى اقتراب موعد المواجهة المباشرة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية.

بدأت المواجهة. وبتاريخ ٣-٦-١٩٨٢، تم إطلاق النار على سفير إسرائيل في بريطانيا، شلومو ارغوب، كان وزير الدفاع آنذاك في زيارة رسمية لرومانيا، وقد عاد على وجه السرعة إلى إسرائيل. وعلى الرغم من غيابه، اتخذت حكومة بيغن قراراً لا رجعة فيه، يقضي بمحاربة(الإرهاب) القادم من لبنان. وقد كانت هذه الفرصة التي انتظرها زمناً طويلا.

خرج ايهود براك إلى قيادة الجيش. كان'يانوش' ما يزال في الخارج ولما تم استدعاؤه، غادر جامعة هارفارد، واسرع على متن أول طائرة، إلى إسرائيل. بعد ذلك، بدأ اللواءان الاستعدادات الأخيرة للحرب.

كانت مهمة الجيش، كما وصفها قائد القطاع الشمالي، المسؤولة عن القطاع الشرقي لسهل البقاع، الذي كانت تتمركز فيه قوات سورية. وقد تقرر، أن لا تبادر إسرائيل إلى شن هجوم ضد السوريين، إذا ما التزموا جانب المحايدة. وفي حال تدخلهم لمساعدة المسلمين، سيجدون (أنفسا)سهم في مواجهة جيش مستعد لخوض الحرب.

لم يلعب الجيش دوراً مركزياً في المعارك التي جرت خلال الأيام الثلاثة الأوائل. فقد اقتحمت الفرق بقيادة(اسحق مردخاي) ،(افيجدور كهلاني)، (عمنوئيل سيكل)، (مناحيم عينان)، لبنان وتحركت شمالا. وفي اليوم الثاني

للحرب. وبعد احتلال مدينة(حاصبيا)، تسلم الجيش المسؤولية عن القطاع الشرقي. توجهت الفرقة إلى الشمال باتجاه بحيرة"القرعون" وسهل البقاع. كانت الرسالة الموجهة للسوريين واضحة- إذا تدخلتم، نحن هنا.

استعرت الحرب في القطاع الشرقي، في يومها الخامس، حيث دفع الجيش الإسرائيلي بقواته نحو الشمال، وتدخلت القوات السورية في سهل البقاع لصد القوات الإسرائيلية. عندئذ، أمر وزير الدفاع، اريئيل شارون بتغيير تكتيكي، يقضي بضرب السوريين في كل مكان يحاولون فيه التدخل في الحرب.

في ذلك المساء، تلقى الجيش الإسرائيلي الأوامر للتحرك شمالاً واحتلال طريق بيروت-دمشق، كخطوة استراتيجية تهدف إلى قطع الجيش السوري عن بيروت.

بلور قائد الجيش، اللواء افيجدور بن جال خطة الحرب التي كانت تنص على السيطرة على "مثلث توبلانا"- مفترق طرق استراتيجي يتحكم بقرية السلطان يعقوب التي تبعد مسافة بضعة كيلومترات جنوب طريق بيروت -دمشق- تحت جنح الظلام، وشن الهجوم من هناك في الصباح. وفي وقت متأخر، وصلت الأوامر من قيادة القطاع بالاستعداد للدفاع، واتفق "يانوش" مع براك على أن يكون الدفاع على نفس الخط.

خرج "يانوش" ليلا إلى المجموعة القيادية في القطاع الشمالي. وكان قبل ذلك، قد أمر نائبه براك، والعميد عميرام متسناع بالبدء في دفع قوات الجيش إلى مواقعها.

في الساعة الواحدة والنصف فجرا، عاد"يانوش" وفوجئ بأن القوات ما تزال بعيدة عن أهدافها، وقد أخبره براك ومتسناع بأن هناك مشكلة، حيث أرسلت قوة مدرعات متقدمة، تقريرا يتحدث عن صدامات مع السوريين، وأنه يخشى مع ذلك، أن يكون الحديث حول تبادل لإطلاق النار، بين القوات الإسرائيلية، بطريق الخطأ. ففي وقت مبكر من ذلك اليوم، هاجمت طائرة من سلاح الجو قافلة دبابات تابعة للجيش الإسرائيلي، وتسببت في حدوث خسائر

كبيرة. والخوف من حدوث أخطاء مصيرية أخـــرى، تعرقـل تقـدم الدبابــات باتجــاه مفترق "طرق توبلانــا".

أمر ايهود براك جميع القوات بالتحرك في مواقعها وبــدأ التــأكد مــن أمــاكن وجودها. في غضون ذلك، تشكل لديــه انطبــاع بــأن إحـدى القــوات، تتواجـد فــي منطقة جنوبية تبعد كثيراً عما تم تحديده في التقــارير الــواردة حتــى الآن. فــي تلــك الأثناء ذكرت نفس القوة، أنــها(شــخصت) وجـود صواريــخ ســورية علــى ظــهر مدرعـات.

كان"يانوش" قد وصل في تلك الســاعة مــن القطــاع الشــمالي، ولــم يــدرك طبيعة ما يجري، فأمر بفتح النــار علــى الســوريين. غــير أن متســناع، الــذي راوده نفس الشعور الذي راود براك، وشك فــي وجـود أمــر غــير طبيعــي فــي التقــارير، طلب من "يانوش" التريث للتأكد من أن الحديث لا يدور حــول قــوة تابعــة لنــا. وقــد أخذ "يانوش" برأيــه.

أمر براك قــائد الكتيبــة، بــالنزول مــن الدبابــات والتحــرك بحــذر باتجــاه الصواريخ للتأكد من أن الحديث يدور حــول وحــدة ســورية. وبعــد وقــت قصــير، وصل التقرير عبر أجهزة الاتصــال، وتبيــن أن تلــك القــوة، وحـدة تابعــة للجيــش الإسرائيلي. لقد نجحوا بأعجوبة في الحيلولــة دون حــدوث كارثــة.

معركة السلطان يعقوب

كانت الساعة الثانية فجراً، وتلقت القــوات ثانيــة، الأمــر بمواصلــة التحــرك باتجاه الــــهدف- مثلــث توبلانــا. ومــع أول بصيــص للنــور، أعلــن قــائد كتيبــة المدرعات التي تحركت منفردة، الاصطدام بكمين ســوري، ووقــوع عــدد كبــير مــن الجرحى. عند ذلك فقط، تأكد قــائد الجيــش مــن أن قسماً مــن القــوات لا تعــرف مواقعها بالتحديد. وتبين أن الكتيبة المنفردة، تتواجد علـــى مســافة ثلاثــة كيلومــترات شمال (مثلث توبلانا)، وتخوض معركة مع قوة سورية فــي أطــراف قريــة الســلطان يعقوب، وأن كتيبة جيورا ليف، التي أعلنت ظهر يــوم الخميــس أنــها تتواجـد علــى السلسلة الصحراوية فوق مثلث توبلانا، كانت تتواجد في حقيقــة الامــر علــى مســافة

ثلاثة كيلومترات جنوب الموقع. ولقد تسببت هذه التقارير في تضليل قيادة الكتيبة وقيادة الجيش.

أمر "يانوش" أحد ألوية المدرعات بالتحرك باتجاه القوة الإسرائيلية التي وقعت في الكمين السوري لمساعدتها، وقد أرسل قائد الجيش قوات أخرى للمساعدة، كما انضم العميد عميرام متسناع إلى قوات كتيبة يوم -طوف سامية، التي حاولت الاتصال مع القوة المنفردة، فيما تم إرسال ايهود براك ومعه العقيد، شموئيل اراد وقوة مظليين احتياطية، بقيادة دوبي هلمان، لاعداد قوة من سلاح المشاة.

كذلك، توجهت قوة أخرى مدرعة، بقيادة العقيد جيورا ليف، الذي أصبح فيما بعد رئيسا لبلدية (بيتح تكفا)- إلى القوة لانقاذها من الكمين. وقد أعلن قائد القوة، المقدم عيرا عفرون، أن الوضع صعب.

كان جيورا ليف، أول الواصلين إلى نهاية السلسلة الصخرية فوق" مثلث توبلانا" وفي اللحظة التي اشرف فيها على المنطقة، أوصى "يانوش" على الفور بإصدار الأوامر إلى كتيبة عيرا عفرون، بالتوجه جنوبا نحو قواتنا. وافق "يانوش" على ذلك. واعد العميد مزراحي قوة مدفعية مكثفة قامت بالتغطية لاتمام عملية الانسحاب، ثم توجهت القوة جنوبا.

خسائر إسرائيلية كبيرة

استمرت المعركة في قرية السلطات يعقوب حتى ساعات الظهيرة. كانت النتائج صعبة، حيث وقع عدد كبير من الجرحى، وأكلت النيران عددا كبيرا من الدبابات، فيما فقد عدد من الجنود-كلهم مقاتلون في سلاح المدرعات،- احترقت دباباتهم ووجدوا انفسهم بين الجنود السوريين والمسلحين.

ومقابل التقارير السيئة الواردة من قرية السلطان يعقوب، وصلت إلى قيادة الجيش تقارير تحدثت عن وجود كتيبة دبابات سورية من طراز (T-72) تتحرك باتجاه القرية المذكورة. وقد طلب"يانوش" موافقة رئيس هيئة الأركان على ضربها. وافق" يانوش" وأعد العميد يوسي بيلد، أحد كبار قادة الجيش كمين مدرعات للدبابات السورية، ويمكن القول بأن نجاح العملية، وإضرام النار في

عشرات الدبابات السورية، دون وقوع أي إصابات في صفوف افرادنا، قد أسهم في تحسين المزاج السائد في قيادة الجيش، عقب فشل عملية السلطان يعقوب.

في صبيحة اليوم التالي، بدأ قائد الجيش التحقيق مع قادة الوحدات، الذين كان يفترض أن يصلوا إلى مشارف"توبلانا". وأن يتمكنوا من السيطرة على طريق بيروت– دمشق. وقد تبين أن بعض قادة الألوية، اخطأوا في تحديد الموقع الذي تواجدوا فيه في الليلة السابقة، مما أدى إلى تشويش صورة الوضع وفشل الخطة.

تجدر الإشارة إلى أن بعض ضباط الجيش، المقربين من"يانوش" القوا عبء المسؤولية عن الفشل على عاتق اللواء أيهود براك، بذريعة أن "يانوش" خرج إلى المجموعة القيادية في القطاع الشمالي، وكان نائبه هو المسؤول عن تحركات القوة.

غير أن الحقيقة كانت مختلفة فوقوع القوة في الكمين السوري، كان قبل بزوغ الفجر، وبعد ساعات من عودة"يانوش" إلى قوة الجيش، وهذا يعني أنه أشرف في تلك الساعة على القوات. كذلك، دافع براك عن اللواء بن جال، في جميع التحقيقات التي جرت في فترة الحرب وما بعدها، وزعم أنه غير مسؤول عن الفشل في السلطان يعقوب.



الفصل الرابع عشـــــر

ايهود ٠٠٠ رئيسا للاستخبارات العسكرية
عارض "الشريط الأمني" بجنوب لبنان وتنبأ بالخسائر الجسيمة

بتاريخ ٧-٢-١٩٨٣، نشرت لجنة كوهين نتائجها في قضية مذبحة مخيمات اللاجئين، (صبرا وشاتيلا) قبل ذلك بخمسة اشهر، وتحديداً بتاريخ ١٨-٩-١٩٨٢، انتقم عدد من الجنود اللبنانيين لمقتل الرئيس اللبناني (بشير الجميل)، وقتلوا مئات الفلسطينيين، في مخيمات اللاجئين غربي بيروت.

أثارت الصور الفظيعة للمذبحة، هزة في إسرائيل والعالم، وقد وجهت انتقادات شديدة للجيش الإسرائيلي الذي لم يمنع حدوث المذبحة في المنطقة الواقعة ضمن حدود سيطرته ومسؤوليته القيادية.

أثارت نتائج اللجنة، ضجة جماهيرية وسياسية في إسرائيل. فقد اضطر وزير الدفاع، اريئيل شارون للاستقالة من منصبه.

وألقت اللجنة بالمسؤولية على أربعة ضباط في الجيش: رئيس هيئة الأركان، رفائيل ايتان، الذي تم توجيه اللوم إليه، لكن لم تتم تنحيته، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، اللواء يهوشع ساغي، الذي اضطر لاعتزال منصبه، قائد القطاع الشمالي، أمير دورون وقائد سلاح المشاة والمظليين، العميد عاموس يارون، اللذين حرما من شغل مناصب قيادية على امتداد ثلاث سنوات.

رأى براك بأن اللجنة كانت قاسية أكثر مما ينبغي على قيادة الجيش ووزير الدفاع، فقد كانت استقالة شارون ضربة قوية. كيف لا، وهو يكن له التقدير الشديد، وهو الذي قال أكثر من مرة، أن براك الضابط اللامع في الجيل الجديد، في هيئة الأركان مرشح لأن يصبح قائد قطاع.

لم يخف ايهود رغبته في الوصول إلى منصب قائد قطاع. كانت شعبة التخطيط في هيئة الأركان، من وجهة نظره، محطة مثيرة، تعلم فيها الكثير عن طابع ونشاطات هيئة الأركان العامة، لكنها تظل رغم ذلك، مجرد محطة على طريق السير نحو الأمام. كانت قيادة القطاع الشمالي على رأس أولوياته، تليها قيادة القطاع الجنوبي، وكان يرى بأن تقرير لجنة كوهين، سوف يتيح المجال لحملة تعيينات جديدة، ووجد نفسه مرشحا لأحد تلك المناصب.

بعد نشر نتائج لجنة كوهين ببضعـــة أسـابيع اسـتدعي اللـواء بـراك للقـاء شخصي مع نائب رئيس هيئــة الأركـان، اللـواء موشـيه ليفـي، الـذي كـان مـن المفترض، أن يعين في غضون وقت قصير، رئيســاً لهيئـة الأركـان العامـة، خلفـاً لرفائيل.

كان رئيس هيئة الأركان الجديد موضوعيا. قال له:" لقد قررت تعيينـــك رئيســاً لشعبة الاستخبارات. من وجهة نظري، أرى بأنك الأفضل لشغل هذا المنصب".

لم يستطع ايهود إخفاء دهشته. حاول إقناع ليفي وقـال لـه:" أشـكرك علـى هذا الاقتراح، لكنني أرى أن منصب قـائد قطـاع يناسـبني أكـثر. كـان طـابع كـل مسار خدمتي، تنفيذياً. لذلك، أنا واثق من وجود مـن هـم أفضـل منـي لشـغل هـذا المنصـب".

لم يقتنع ليفي بذلك، وقد أوضح لـبراك مـدى الأهميـة التـي يعزوهـا لتعييـن ضابط مثله في منصب رئيس شعبة الاسـتخبارات. لـم ينجـح ايـهود فـي زحزحتـه عن موقفـه.

وفي لقاء آخر، حاول موشـيه ليفـي، بالتعـاون مـع وزيـر الدفـاع موشـيه ارنس، وقائد سلاح الجو، اللواء دافيد عفـري، الضغـط مجـددا علـى بـراك لقبـول المنصب، وقد استجاب هذه المرة لطلبهم. وفـي ختـام اللقـاء، اتفـق وزيـر الدفـاع ارنس، ونائب رئيس هيئة الأركـان علـى تسـجيل إجمـال للقـاء، لـدى السـكرتير العسكري لموشيه ارنـس، ينـص علـى أن يكـون التعييـن محـددا بمـدة عـامين بالضبط، يعين براك بعد انقضائها قـائدا لقطـاع.

لم يدرك ايهود في ذلك الوقت، أن المسـؤولية عـن التعييـن ملقـاة فـي واقـع الامر، على عاتق داني يتوم، السـكرتير العسـكري لوزيـر الدفـاع، ارنـس، الـذي حضر لقاء ارنس وموشيه ليفي، والذي أوصـى بتعييـن ايـهود بـراك، بـدل أمنـون ليفكين شاحك، الذي اقترح ليفي تعيينه فـي البدايـة.

أصاب اللقاء ايهود براك بخيبة أمل. إنها المـرة الأولـى التـي تتعرقـل فيـها خطته.

بدأ براك الاضطلاع بمهامه الجديدة بتاريخ ٨-٣-١٩٨٣. دخل مكتب رئيس هيئة الأركان، حملق في صور جميع من سبقوه إلى هذا المنصب منذ عام ١٩٤٨. كانوا تسعة، استقال ستة منهم على خلفية اخفاقات استخبارية أو حوادث خارجية: ايسر باري، بنيامين جيبلي، حاييم هرتسوغ، يهوشفاط هركافي، ايلي زعيرا ويهوشع ساغي، فيما أنهى الثلاثة الأخرون،-مائير عاميت، اهارون ياريف وشلومو غازيت، مهام مناصبهم في الوقت المحدد.

كان معظم رؤساء الاستخبارات ضباطا قياديين وليسوا ضباطا مقاتلين، يحظون بتقدير كبير في هيئة الأركان بيد أن أحدا منهم لم يصل إلى رئاسة هيئة الأركان.

أحسّ براك في اجتماعات التعارف مع كبار المسؤولين في سلاح الاستخبارات، وخلال أيامه الأولى هناك، بأنه يتوق إلى زملائه في دورية هيئة الأركان والوحدات الميدانية التي تولى قيادتها. بدت له الأجواء الجديدة، غريبة بعض الشيء، بالنسبة لشخص أمضى أكثر أيام خدمته العسكرية في الميدان. غير أنه سرعان ما أعاد النظر في الوضع، وفي غضون بضعة أشهر بدأ يشعر بالرضى.

اكتشف ايهود عمق المسؤولية والطاقة الكامنة في هذا المنصب. كان يدرك أهمية شعبة الاستخبارات في الوسط الاستخباري، كما كان يدرك عمق الأذى الذي خلفه قرار لجنة(اغرنات) بشأن تنحية رئيس الشعبة، اللواء يهوشع ساغي. وكان أول قراراته، التعاون مع عناصر الاستخبارات الأخرى، وتحويل شعبة الاستخبارات إلى منظومة فاعلة نشطة-وخلاقة، تتفوق على استخبارات العدو والمنظومات الاستخبارية الأولى.

كان أول لقاءاته التي أجراها فور تسلمه زمام منصبه، مع اللواء (احتياط) شلومو غازيت، الذي عين رئيسا لشعبة الاستخبارات عقب حرب تشرين ١٩٧٣، ونجح في استكمال مهام منصبه.

وقد أشار عليه غازيت بقولـــه:' كرئيــس لشــعبة الاســتخبارات، أنــت ملــزم بالقراءة المتواصلة. أبدا في الصباح مـــع صحيفــة "هــآرتس' وأخبــار إذاعــة (بـــي. بي.سي) بعد ذلك استمع إلى أحداث الساعة في الراديـــو. وهنـــا، تكــون قــد عرفــت ٦٠% مما يجــب عليــك تحصيلــه، وستســتكمل ٤٠% مــن خــلال قــراءة المــواد الاســتخبارية.

شكر براك غازيت علـــى نصائحـــه، لكنـــه قـــرر العمـــل أكـــثر مـــن ذلـــك. واستجابة لنصائح ايتمار رابينوفيتش، الذي اصبح فيمــــا بعــد صديقـــه المقـــرب، بـــدأ ايهود قراءة كتب التاريخ. وفي أحد الأيام، وقـــع بيـــن يديـــه كتـــاب تحـــت عنـــوان:" ذكريات من لبنان" أعده دبلوماسي يدعـــى (أزيلـــي) عـــام ١٨٥٠.

كان أزيلي قنصلاً فرنسياً في لبنان. بـــدأ بـــراك بـــالقراءة وذهـــل ممـــا قـــرأ، وكأنه لم يمض ١٣٠ عاماً منذ ذلك الحيـــن. المســيحيون نفــس المســيحيين، الــدروز هم الدروز والقضية نفس القضية. كــــانت العائلـــة الدرزيـــة المســيطرة علـــى جبـــال الشوف هي عائلة جنبلاط. في أحـــد الأيـــام هـــاجم الـــدروز قريـــة مســيحية واجلـــوا سكانها. استنجد السكان بالفرنسيين، الذين اكتشفوا خلال وقـــت قصـــير مـــدى التعقيـــد القائم في لبنـــان.

أثار الكتاب حماس براك، وقد أخـــذه معـــه إلـــى إحـــدى جلســـات الحكومـــة، حيث شرح للوزراء أوجه الشبه بين الماضي والحـــاضر فـــي لبنـــان.

نجح براك أكثر من سابقيه ومن خلال التنســـيق مـــع رئيـــس هيئـــة الأركـــان في خلق قناة للحوار المباشـــر مـــع رئيـــس الحكومـــة ووزيـــر الدفـــاع. وقـــد كـــانت التقارير السريّة، التي قدمها اليهما، مختلفة عما اعتـــادا عليـــه فقـــد حلـــل المعطيـــات، واضاف نتائج معللة، وبـــدت الصـــورة الاســـتخبارية التـــي وصلـــت إلـــى مســـؤولي الأجهزة السياسية والأمنية، في مســـتوى آخـــر.

قبل أن يتسلم زمام منصبـــه الجديـــد، اعتـــاد رؤســـاء شـــعبة الاســـتخبارات. الظهور وبشـــكل مســـتمر أمـــام الهيئـــة السياســـية والمجلـــــس الـــوزاري لتقديـــم

التقديرات الاستخبارية بيد أن مستوى الثقة بهم، تراجع إلى حد ما، عقب المغامرة في لبنان.

تسلم براك زمام منصب رئاسة شعبة الأركان في عهد حكومة مناحيم بيغن وبعد ظهوره مرات عديدة أمام الحكومة، توجه اسحق شامير، الذي خلف مناحيم بيغن، إلى رئيس هيئة الأركان، موشيه ليفي، وطلب منه استدعاء رئيس شعبة الاستخبارات في أوقات أكثر تقاربا وحسب أقوال اسحق شامير وموشيه ارنس، في وقت لاحق، فقد كانت قدرة براك على الصعيد الاستخباري مذهلة وقد نجح في كسر روتين جلسات الحكومة.

في تلك الفترة، بدأت تتبلور علاقات الصداقة بينه وبين سكرتير الحكومة، دان مريدور وقد خلق المستوى الثقافي المتقارب، وسرعة البديهة لغة مشتركة بينهما، أسهمت في توطيد عرى هذه الصداقة خارج جلسات الحكومة أيضا.

دعي براك في إحدى جلسات الحكومة لتقديم تقدير استخباري في قضية محددة. كان رئيس الحكومة، اسحق شامير في الخارج، وقد ترأس جلسة الحكومة بدلا منه دافيد ليفي. وبينما هو يقرأ التقدير، تدخل ليفي بقوله:" لا ليس هكذا......".

فوجئ براك وبدا له أن ليفي يعترض على تقديره الاستخباري، وبعد انتهاء الجلسة فقط، قال له ليفي، أنه اراد طرح تقدير من جانبه، وأنه كان يرى بأنه -أي براك- تجاوز الوقت المحدد له.

ويمكن القول، أنه باستثناء هذه الحادثة المخجلة، كانت العلاقات بين ليفي وبراك على مر السنين، علاقات تقدير ومودة، كان ليفي من وزراء الليكود القلة، الذين أيدوا الانسحاب من لبنان، وقد أوضح أن مباحثاته مع ابنه جاكي المظلي الذي خدم في لبنان، أسهمت والى حد كبير، في بلورة موقفه هذا.

وفي لجنة الخارجية والأمن في الكنيست، التي دعي إليها باستمرار" نجح براك في كسب صداقة جديدة مع يوسي سريد. وعندئذ بدأت الوشايات من

وراء ظهره، وكان هناك من يقول أن رئيس شعبة الاستخبارات يهتم بتوطيد علاقاته السياسية، ويخصص لها وقتاً أكثر مما يخصصه العمل الاستخباري. وأن من يريد العثور على براك، فليبحث عنه في مبنى الكنيست، ومكتب رئيس الحكومة، وليس في شعبة الاستخبارات.

يقول العميد عاموس جلعاد، رئيس قسم الأبحاث في شعبة الاستخبارات: "بعد تسلم براك مهام منصبه، استدعاني لمقابلته. كنت قد أعددت ملفاً تضمن إجمال مشروع استخباري عكفت عليه، وقد كنت على قناعة بأنهم سيطلبون مني طرح القضية".

رأى براك أنني أبدا بفتح الملف، فاشار إلي بحركة يد كي أتوقف وقال:" ليس لهذا استدعيتك. أريدك أن تصبح رئيساً لمكتبي".

قلت له على الفور: "نعم أقبل". ولم اشعر بالندم على ذلك ولو للحظة. كانت تلك الفترة من أجمل مراحل حياتي. كان براك مختلفاً عمن سبقوه في شعبة الاستخبارات. بدا أكثر انفتاحاً وتشجيعاً للإبداع. كان يسمح بحرية الحوار بل ويشجعها. كان يبدو في بعض الاحيان كما لو أنه يفقد السيطرة، بيد أنه كان دائماً يدرك اللحظة التي ينبغي التوقف عندها. بعد ذلك، أدركت أن هذا أسلوب تبناه من أجل منح ضباط شعبة الاستخبارات حرية الإبداع، وتشجيعهم على التفكير بشكل مختلف. أقصد النظر إلى الجيش الإسرائيلي بعين العدو.

لقد لمست آثار هذا التغيير في شعبة الاستخبارات. بدا الجهاز أكثر حيوية ونشاطاً، واتخذت أساليب التفكير طابعاً جديداً ولقد اكتشفت في براك ميزة، انفرد بها عن كل من سبقه اعني القدرة على رؤية ما وراء الأفق والقدرة التحليلية".

كان تقدير الوضع الاستخباري الذي قدم مطلع عام ١٩٨٣ يتحدث عن إمكانية كبيرة لخوض حرب مع سوريا في الشمال. وبناء على هذا التقدير، الذي اعد في عهد يهوشع ساغي، بنى الجيش الإسرائيلي خطته للعمل. وكانت تلك

التقديرات، تشير إلى أن الرئيس السوري، ينـــوي حقـاً، خــوض حــرب، قــد يقحــم فيها الأردن أيضاً، وقد تتسبب في وقف مسيرة الســلام مــع مصـــر.

تقدير استخباري جديد ومغاير

غير أن براك بدأ وبعد تسلمه زمام منصبـــه ببضعــة اشــهر، وبعــد أن درس تشكيلات الجيش السوري ونوايا قادته، بإعداد تقديـــر جديــد للوضــع يختلــف تمامـــا عن تقدير ساغي وقد توصل براك إلى نتيجة تقول بــأن احتمـــال خــوض حــرب مــع سوريا ليس كبيراً، وكشف للمرة الأولى، خطــــراً يــهدد الأمــن القومـــي الإســـرائيلي، حتى لو كان على المدى البعيد، من جانب العراق وزعيمــــها صـــدام حســين.

لقد أتـــاح تقديـــر الوضـــع الجديـــد، الفرصــــة أمـــام بـــراك، لتقديـــر كفاءتـــه الاستخبارية. صحيح أن ســـــوريا اســـتأنفت جـــهودها ســـعيا للوصـــول إلـــى تـــوازن استراتيجي ضد إسرائيل، وتمكن السوريون بعد حـــرب لبنـــان، مـــن ترميـــم جيشـــهم، بما في ذلك سلاح الجو ومنظومة الصواريخ التـــي أصيبـــت بـــأضرار بالغـــة، بيـــد أن كل تلك المعطيات- المقلقة في حد ذاتها- لم تخلق صـــورة حـــرب وشـــيكة.

فاجأ براك الجميع ولأكثر من مـــرة، بـــإجراء مباحثـــات طويلـــة مـــع ضبـــاط (ثانويين)- برتبة ملازم أول وملازم ثان- وقد اســتمع، وفـــي أوقـــات متقاربـــة، إلـــى آراء وتقديرات بدت مختلفة عن تلك التي يطرحها كبــــار الضبـــاط فـــي الاســـتخبارات مثل هذه المناقشات أذهلته وأثارت اهتمامه غير مــــرة كــــان يــــدون المعلومـــات التـــي يجمعها في مذكرة صغيرة يحتفظ بها وقد ساعدته تلـــك المعلومـــات، إلـــى حـــد كبـــير، في بلورة تقدير الوضع الاســـــتخباري.

اعتاد بــــراك قبيــــل أن يطـــرح تقديراتـــه الاســـتخبارية أمـــام رئيــس الحكومـــة ووزير الدفاع، قراءة آلاف الوثـــائق وإجـــراء عشـــرات اللقـــاءات والنقاشـــات. كـــان يطرحها بداية أمام هيئة الأركان. ومن ثم أمـــام الهيئـــة السياســـية.

ولقد أثـــار التحـــول الكبـــير فـــي تقديـــرات الاســـتخبارات -إمكانيـــة كبـــيرة لخوض الحرب عام ١٩٨٤، مقابل تقديـــر يشـــير إلـــى عـــدم وجـــود فـــرص لحـــرب

وشيكة- دهشة هيئة الأركان، ورئيس الحكومة والـــوزراء بعـــد ذلـــك. بيـــد أن بـــراك قال:" هذا تقدير شعبة الاستخبارات، وأنا مســـؤول عنـــه".

أعجب ضباط شعبة الاستخبارات بالأسـلوب الـذي تبنـاه ايـهود بـراك فـي بلورة تقدير الوضع، لا ســـيما المســـاواة فـــي التعـــامل مـــع جميـــع الضبـــاط علـــى اختلاف رتبهم. وكان الشعور السائد بأن الأخطاء التـــي ارتكبـــت فـــي حـــرب تشـــرين ١٩٧٣،، والتي كان أساسها تجـــاهل تقديـــرات الضبـــاط ذوي الرتـــب المتدنيـــة، لـــن تعود في عهد بـــراك.

كان براك يرى أن مـــن الضـــروري إجـــراء زيـــارات مفاجئـــة، والحـــرص على المتابعة الدائمة، لمعرفة حقيقة ما يجري، فـــي الوحـــدة أو القـــاعدة.

ذات مرة، أعلن نيته زيارة القاعدة الاستخبارية فـــي شـــمال إســـرائيل. بـــدأت الاستعدادات والتحضيرات لهذه الزيارة في القـــاعدة، واســـتغرقت أســـبوعين.

هبط براك في مروحية رئيـــس هيئـــة الأركـــان فـــي القـــاعدة، تبـــادل بضـــع كلمات مع القائد، استعرض سريعا حرس الشرف، وبـــدل الدخـــول إلـــى مكتـــب قـــائد القاعدة، طلب التوجه إلى ســـكن الجنـــود. وهنـــاك كـــانت الصـــورة مختلفـــة، حيـــث القذارة والإهمال. بعد ذلك فقط، عاد إلى مكتب القـــائد ووبخـــه بشـــدة.

بعد وقت قصـــير مـــن تسـلمه زمـــام منصبـــه الجديـــد، وصلـــت معلومـــات استخبارية مهمة بشأن جنود(الناحل) الثمانية، الذين اختطفـــــهم المســـلحون مـــن موقـــع مراقبة في شرق بيروت في أيلول ١٩٨٢. وتبين أن ســـتة منـــهم وقعـــوا فـــي قبضـــة منظمة التحرير الفلسطينية واثنين وقعا في قبضة منظمـــة احمـــد جـــبريل.

وقـــد أوضحـــت المعلومـــات الاســـتخبارية أن المســـلمين يعـــتزمون نقـــل المخطوفين إلى طرابلس، شمال لبنان. فقـــرر رئيـــس الاســـتخبارات اســـتغلال عمليـــة نقلهم، وبدأت دورية هيئة الأركان استعداداتها، غير أن العمليـــة ألغيـــت عقـــب إلغـــاء نقل المخطوفيـــن.

كانت هذه الفترة، فترة عمل قاسية بالنســـبة لـــبراك، اســـتغرقت كـــل ســـاعات الليل والنهار -تقريبا. وقد وصف براك- في احتفال أجري لـــــه قبـــل اعتزالـــه الخدمـــة

في الجيش- أيامه في شعبة الاستخبارات فقال:" كانت أياماً طويلة وصعبة ومتعبة، سواء أكان ذلك من الناحية الجسمانية، أو من حيث نقل المسؤوليات.

لقد شعرت في شعبة الاستخبارات تحديداً، وأكثر ممن أي منصب آخر، ضرورة تقاسم المسؤوليات، ورفع مستوى الصلاحيات. لتتجاوز مجموعة الأشخاص الذين كانوا إلى جانبي، كنت سأغرق في بحيرة طبريا، ولم أكن لأتمكن من مهام القيادة.

يراودني، دائما، شعور بقصر الوقت. وكي يتسنى لك الوصول إلى النتائج المطلوبة، ينبغي العمل على أكثر من مسار، في نفس الوقت.

لدي عشر أصابع ورأس واحد. وهذا لا يكفي لكل ما اعتقد انه ينبغي التفكير فيه، والتخطيط له، وتنفيذه. اليوم ٢٤ ساعة وقد تعلمت أن عدم إراحة الجسد لساعات في النوم، تؤثر على مستوى الأداء. المجموعة النشطة فقط، هي التي تستطيع خلق نموذج يكون العمل، وفقاً له، مجدياً."

لقد رافقت مأساة حرب تشرين ١٩٧٣، براك، منذ اليوم الأول له في شعبة الاستخبارات، وكلما تعمق في معرفة الجهاز وأفراده- في ذلك الحين- كان يصعب عليه، أكثر فأكثر، استيعاب ما حدث.

وللوقوف على أسباب ما حدث، بدأ براك قراءة قصص تاريخية وأبحاث تناولت مشاكل ومفاجآت استخبارية، مثل عملية"بربروسا" التي فاجأ فيها الجيش الألماني روسيا، في ٢١-٦-١٩٤١، والهجوم الياباني على ميناء (بيرل هاربر) في ٧-١٢-١٩٤١.

وجد براك تماثلا عجيبا بين العثرات التي وقع فيها كبار ضباط الاستخبارات في تشرين أول ١٩٧٣، وبين نهج عناصر الاستخبارات في روسيا والولايات المتحدة عام ١٩٤١. لقد كان سبب الفشل الذريع للعمليات الثلاث، بلورة الفهم الخاطئ.

جند براك جميع العقول في شعبة الاستخبارات للعمل على تقليص إمكانية تكرار ما حدث إلى الحد الأدنى، بهدف عدم إفشال الجيش الإسرائيلي،

وربما لأنه كان حريصا على عدم إنهاء مهامــــه بعــثرة. فكــر فـــي الإنـــذار المبكـــر وكان هذا، من وجهة نظره، الإنجاز الأكــثر أهميـــة خـــلال ســنوات خدمتــه الثـــلاث كرئيس لشعبة الاســـتخبارات.

لم يكتف براك بالجانب النظـــري لمســـألة الإنـــذار. وقـــد عمـــد إلـــى إدخـــال عنصر جديد إلى سلاح الاستخبارات، تمثّل في وحـــدة رقابـــة، تضـــم أفضـــل العقـــول في السلاح، تتابع تقديرات الأبحـــاث. لـــم يكـــن مطلوبـــا مـــن أفـــراد هـــذه الوحـــدة، المشاركة في المهام الشاملة للأبحاث ولا تحديد نوايـــا العـــدو، بـــل محاولـــة الكشـــف عن الخيارات المتاحة أمامه للهجوم. وقد رأى براك فـــي هـــذه الوحـــدة، جـــزءً مـــهماً في المنظومة الاســـتخبارية.

في مطلع عام ١٩٨٥، حسمت أجـــهزة الأمـــن إحـــدى المســـائل التـــي تعتـــبر حساسة بالنسبة للأمن الشامل، وهي انسحاب الجيـــش الإســـرائيلي مـــن لبنـــان وإقامـــة الشريط الأمني في جنوب لبنـــان.

كانت المواقف والآراء فـــي هيئـــة الأركـــان، متضاربـــة إزاء هـــذه القضيـــة. كانت الأغلبية، بمن فيها قائد القطاع الشـــمالي، أوري أور، تثـــق بـــأن إقامـــة شـــريط أمني وربطه مع جيش جنـــوب لبنـــان، أفضـــل الطـــرق لحمايـــة المســـتوطنات فـــي الشمال.

غير أن براك عارض إقامة منطقة أمنيـــة، تقـــوم علـــى أســـاس إقامـــة عـــدد من المواقع، وقال في جلسة عقدت للحكومة وهيئـــة الأركـــان، أن مثـــل هـــذا الخـــط، سيبدأ كخط تكنات على محاور طرق مســـيطرة، وســـينتهي كخـــط تحصينـــات يشـــبه خط بارليف. وكي تتسنى حماية الجنود، سنضطر إلـــى حمايـــة المواقـــع. بعـــد ذلـــك، سنضيف إليها جدرانا من الإسمنت. ثم ســـنقوم بشـــق طـــرق إليـــها وسننشـــئ ثكنـــات للدفاع عن محاور الحركـــة.

ومن أجل تعزيز المواقع، سنرسل إليها قوافـــل إمـــدادات، ســـتحتاج إلـــى مـــن يرافقها ويقوم على حمايتـــها. ودون أن نشـــعر، ســـنجد أنفســـنا بقـــوات كبـــيرة، فـــي لبنان، وفي وضع الدفاع عن النفس. وســـنصبح أســـطورة خياليـــة".

في المقابل، اقترح رئيس شعبة الاستخبارات، تشكيل ثلاثة ميليشيات في لبنان: ميليشيا درزية في الشرق، مسيحية في الوسط، وشيعية في الغرب، بحيث تكون كل ميليشيا مرتبطة بطائفتها في لبنان.

تسرب الجدل الدائر إلى خارج هيئة الأركان. وقد كشف الصحفي الأمريكي توم فريدمان، مراسل صحيفة"النيويورك تايمز"، الذي خدم لسنوات في لبنان، النقاب عن حقيقة ترؤس رئيس الاستخبارات، مجموعة من ضباط هيئة الأركان والاستخبارات الإسرائيلية، تتبنى مواقف معارضة لمواقف وزير الدفاع، اسحق رابين ورئيس هيئة الأركان موشيه ليفي.

وحسب أقوال النيويورك تايمز، فقد أيد رئيس الحكومة، شمعون بيرس رئيس شعبة الاستخبارات، غير أنه قرر التنازل تجنباً لحدوث المواجهة مع وزير الدفاع اسحق رابين. وفي مطلع عام ١٩٨٥ تم حسم القضية، وقررت هيئة الأركان، تعزيز التواجد الأمني الإسرائيلي في الشريط الأمني.

لم تقتصر أهمية الإنذار المبكر- المسألة التي شغلت فكر براك إلى حد بعيد-على المستوى الاستراتيجي فقط، بل لعبت دورها على صعيد إحراز انتصارات تكتيكية غير قليلة، والحيلولة دون حدوث كوارث كبيرة، كان أبرزها على الإطلاق، ربما، تلك التي وقعت قبالة شواطئ أسدود.

ففي تاريخ ٢٠-٤-١٩٨٥، أي عشية الاحتفال بذكرى الاستقلال، كانت سفينة الصواريخ(موليدت) تقوم بأعمال الدورية، قرب حدود المياه الإقليمية الإسرائيلية.

على مسافة من هناك، في تل أبيب، تتبع رئيس شعبة الاستخبارات وعدد من ضباط الاستخبارات تحركاتها. قبل ذلك ببضعة اشهر كانت قد سرت شائعات حول إمكانية قيام الجناح البحري لحركة فتح بتنفيذ عملية مساومة، لإطلاق سراح عدد من المعتقلين الفلسطينيين، ومحاولة مهاجمة مبنى هيئة الأركان.

كان ياسر عرفات في تلك الأثناء، قد عـــهد إلـــى نائبـــه، أبـــو جـــهاد بمهمـــة التخطيط للعملية. وتمت الاستعدادات فـــي الجزائـــر.

اختار أبو جهاد عناصر العملية وكان معظمـــهم مـــن قـــادة "فتـــح" المتمـــيزين في المناطق. وقد عين محمود العـــالول، أحـــد كبـــار شـــخصيات فتـــح فـــي الضفـــة الغربية والذي نجح في العبور من الضفة إلى الأردن ومـــن ثـــم إلـــى الجزائـــر، قـــائداً للعمليـــة.

استغرقت التدريبات أسابيع طويلة، وقد شـــملت الســـباحة لأكـــثر مـــن عشـــرة كيلومترات يومياً والتدرب على مختلف أنواع الأسلحة. كـــانت قلـــة منـــهم تلـــك التـــي عرفت الهدف النهائي للعملية: الهبوط في شـــاطئ بيـــت-يـــام فجـــر يـــوم الاســـتقلال، السيطرة على حافلة (دان) واقتياد الرهائن إلـــى تـــل أبيـــب، وبـــدء عمليـــة مســـاومة، تثير الرأي العام العـــالمي.

في أعقاب الشكوك التي ثـــارت آنـــذاك، أمـــر رئيـــس الأركـــان موشـــيه ليفـــي باتخاذ استعدادات خاصـــة، فقـــام ســـلاح البحريـــة بتعزيـــز دورياتـــه خـــارج الميـــاه الإقليمية الإســـرائيلية.

قام المسلحون بإعداد سفينتي شحن كبـــيرتين توطئـــة لتنفيـــذ العمليـــة، وقـــاموا يوميا بإجراء مناورات لتحميل وإنزال الزوارق المطاطيـــة مـــن الســـفينتين.

وقبل أسبوعين من الانطلاق تم تفجـــير إحـــدى الســـفينتين، فقـــام أبـــو جـــهاد بإعلام ياسر عرفات فوراً، ولم يكن لدى الاثنين أدنى شـــك فـــي أن عمـــلاء الموســـاد هم الذين أغرقوها، في حين تجـــاهلت إســـرائيل الحـــادث تمامـــاً. وتـــم اتخـــاذ قـــرار بمواصلة الإعداد للعملية، مع توخي الحـــذر البـــالغ.

وقبل يوم الاستقلال الإسرائيلي بأسبوع، أبحـــرت مـــن الجزائـــر تحـــت جنـــح الظلام سفينة الشحن التي تحمل اسم" انـــافيروس"، وبعـــد أربعـــة أيـــام وصلـــت إلـــى ميناء بور سعيد المصرية، والتحقت بقافلـــة ســـفن كـــانت تبحـــر فـــي القنـــاة، باتجـــاه البحر الأحمـــر.

وفي أقصى الطرف الجنوبي من القناة، استدارت السفينة، والتحقت بقافلة سفن أخرى كانت تبحر في قناة السويس في طريقها إلى البحر المتوسط ولا شك أن هذه المناورات البحرية كانت ترمي للتخلص من المراقبة المحتملة، وقد أطلق ربان السفينة في جهاز الارسال كلمتي السر اللتين تم اختيارهما" الطريق نظيف".

وبعد خروجه من قناة السويس، عقد الربان اجتماعاً لرجاله، وأعلمهم بالمهمة الموكلة إليهم، وبمدى أهميتها، فقال:" هذه أهم عملية تنفذها حركة فتح حتى اليوم، بل هي أهم من قتل الرياضيين الإسرائيليين في ميونيخ ١٩٧٢".

على بعد قليل من (أنافيروس) كان قائد زورق الصواريخ الإسرائيلي"موليدت" -الوطن- على وشك إنهاء حراسته، والتحرك عائداً إلى ميناء اسدود، وكان الزورق الذي سيحل بدلاً منه في الحراسة في طريقه إلى الموقع، حينما ظهرت على شاشة الرادار ظلال سفينة تتجه شرقاً.

أعلم قائد الزورق (موليدت) قائد السلاح بوجود سفينة مشبوهة، فأمره قائد السلاح. اللواء أبراهام بن شوشان، بأن يطلب من السفينة أن تعلن عن هويتها، وبدلاً من أن ترد السفينة على الزورق، تلقى الزورق صلية من رشاش.

أمر قائد(موليدت) بفتح النار على السفينة، إذ أصابتها مدافع(فولكان) الرابضة على متنه إصابة قاتلة، مما أدى إلى اشتعال النار فيها. وقد واصل الزورق الاقتراب من السفينة وهو يواصل إطلاق النار عليها. وقد أدى هذا الوضع إلى إصابة بعض المسلحين على ظهر السفينة، وقام قسم آخر بإلغاء الزوارق المطاطية في الماء، في محاولة للفرار من السفينة المصابة، بيد أنهم استسلموا في نهاية المطاف للزورق الحربي. وبعد دقائق معدودة، غرقت انافيروس.

اتصل قائد سلاح البحرية برئيس هيئة الأركان، موشيه ليفي، وبرئيس شعبة الاستخبارات العسكرية ايهود باراك وأعلمهم بأن ملف السفينة(أنافيروس) قد أغلق.

وفي أيلول ١٩٨٥ سيطر المسلحون على يخت إسرائيلي في ميناء لارنكا القبرصي وقتلوا ثلاثة إسرائيليين وقد قادت التحقيقات إلى تونس، حيث قيادة منظمة التحرير.

عرض براك أمام هيئة الأركان ثم أمام وزير الدفاع، اسحق رابين، والمجلس الوزاري المصغر، ملف تونس الآخذ في التضخم، وقال: لا يجب، بأي حال من الأحوال، أن نسمح بمنح حصانة "للإرهاب" في أي مكان يتواجد فيه، وإذا كان راس الإرهاب موجوداً في تونس، فيجب تحطيمه مما سيؤدي إلى قطع ذيل الإرهاب فوراً.

لقد اعتقد رؤساء المنظمات الفلسطينية، إن مكانتهم في تونس خارج متناول يد إسرائيل، بيد أنهم سرعان ما أدركوا أن الامر ليس على هذا النحو.

أوصى براك بالقيام بعملية مشتركة بين سلاح الجو والكوماندو، وشرعت دورية هيئة الأركان بالتدرب على نماذج، بيد أن الحكومة أرادت عملاً سريعاً. أما الخيار الثاني فكان يتمثل في الهجوم الجوي.

ضم رئيس الأركان ليفي، صوته إلى صوت رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية براك، وطرح الخيار أمام وزير الدفاع ورئيس الحكومة شمعون بيرس، فأوصى بيرس أمام المجلس الوزاري بالقيام بعمل جوي ضد قواعد المنظمات في تونس.

وفي الأول من تشرين الأول ١٩٨٥، تم تنفيذ أطول هجوم جوي سبق لسلاح الجو الإسرائيلي أن نفذه. وقامت خلاله طائرات (أف-١٥) بمهاجمة مراكز منظمة التحرير على الساحل التونسي. وقد جاءت النتائج مذهلة: فقد قتل عشرات الأشخاص، وعلى رأسهم قائد القوة-١٧ والحارس الشخصي لعرفات.

كان رئيس شعبة الاستخبارات أثناء الهجوم في غرفة العمليات المتقدمة، وأصغى إلى تقارير الطيارين. وقد أفاد المقدم طيار يوآل بلوشو أنه بدأ الهجوم، ثم أعلن أن هناك عطباً ما حيث لم تتحرر القنابل الموجودة اسفل الطائرة، ولم ينجح في التغلب على هذا العائق، فقال باختصار: سأتجه نحو البحر.

ومضت عدة دقائق شديدة التوتر، قبل أن يـــأتي صوتـــه مــرة أخــر
كل شيء على ما يرام لقد انضممت إلى السرب مــــن جديـــد.

لم يستطع الهجوم على تونس تصفية الإرهاب فلم يمـــض ســـوى أر
حتى سيطر أربعة مســـلحين علـــى الســـفينة(اكيـــلا لاورو)، وهـــي ســـفين
إيطالية، كانت تبحر علـــى طـــول ســـواحل البحـــر الأبيـــض. وقـــد عمـ
الاستخبارات العسكرية إلى تشكيل غرفـــة عمليـــات أماميـــة اســـتعداداً لقيـ
بالعمل ضد السفينة، بيد أن هذا الاستعداد انتهى عندمـــا قـــام الأربعـــة بتسـل
إلى السلطات المصرية في بور ســـعيد.

نجحت وحدة التنصت في شـــعبة الاســـتخبارات أثنـــاء الخطـــف مـ
محادثة هاتفية بين الخاطفين وقـــائد جبهـــة تحريـــر فلســـطين(ابـــو العبـــاس
أسمى نفسه خلال الاتصال باسم شيفري هو أبـــو خـــالد، وقـــد جـــاء الاتصـ
النحو التـــالي:

أبو خالد: كيف حالك يا مـــاجد؟

ماجد: على ما يرام، الحمـــد لله.

أبو خالد: اسمعني. أولاً يجـــب أن تتعـــامل مـــع الرهـــائن بصـــورة جيـــدة
تعتذر لهم ولطاقم السفينة، والربان وقولوا لهم: أنكم لـــم تكونـــوا تقصـــدون ا
على السفينة، قولوا لهم هدفكم الأساسي هـــل تســـمعني؟

ماجد: لقد تحدثنا معهم، وقلنا لهم أن هدفنا لم يكن الســـيطرة علـــى الســـفينة.

ومن الجدير بالذكر، أن مصـــر أطلقـــت ســـراح خـــاطفي الســـفينة فـــي
تسليمهم لأنفسهم، وخرجوا من مصر في طائرة إلى ليبيـــا. وفـــي الطـــائرة كـ
العباس، وثلاثة من مختطفي السفينة. وعندما خرجـــت الطـــائرة مـــن المجـــا
المصري، قامت طائرات أميركية باعتراضها، وإرغامـــها علـــى الـــهبوط فـ
تابعة لحلف الناتو في جزر سيشل، وتم اعتقـــال أبـــو العبـــاس، بيـــد أنـــه تمك
الخروج من المعتقل والتوجـــه إلـــى ليبيـــا. وتفيـــد مصـــادر أجنبيـــة أن الأ

تمكنوا من اعتراض الطائرة بفضـــل معلومـــات وصلتـــهم مـــن شـــعبة الاســـتخبارات العسكرية الإســـرائيلية.

وفي نهاية عام ١٩٨٥ انتهت ثلاثة ســـنوات مـــن الخدمـــة لايـــهود بـــراك فـــي رئاسة شعبة الاستخبارات. وغادرها تاركاً خلفـــه جـــهازاً واثقـــاً مـــن نفســـه. وانتقـــل من الشعبة إلى قيادة المنطقة الوسطى، وحل محله اللـــواء امنـــون شـــاحك.

الفصل الخامس عشر

ايهود براك....قائداً للقطاع الأوسط

تعليم الدرس الأول في السياسة بين المستوطنين

انتهت فترة عمل ايهود في شعبة الاستخبارات في كانون الثاني ١٩٨٦، والتي طالت مدتها لثلاث سنوات. واتضح له من خلال المحادثات التي أجراها مع رئيس الأركان، (موشيه ليفي)، أن وظيفته القادمة، ستكون قائد القطاع الأوسط.

لقد أسهمت فترة عمله في شعبة الاستخبارات في تحسين مكانته داخل الجيش الإسرائيلي وعلى المستويات السياسية والأمنية الرفيعة. فقد أتاحت هذه الكوارث الفرصة للتعرف عليه أكثر من التعرف على أي ضابط آخر رفيع، باستثناء رئيس الأركان.

كان براك يحب التقارير الاستخبارية التي تتيح له فرصة المشاركة في جلسات الحكومة. والمجلس الوزاري، كما أن رؤساء الحكومات الثلاثة الذين عمل معهم: (مناحم بيغن) و(اسحق شامير) و(شمعون بيرس)، لم يخفوا ارتياحهم وتقديرهم لتقديراته العسكرية، وعلى وجه الخصوص (اسحق شامير)، بوصفه كان قائداً لحركة"ليحي" إبان حرب ١٩٤٨، وعضوا تنفيذيا في الموساد. هذا إضافة إلى وجود اسحق رابين كوزير للدفاع، والذي كان يعرف براك، ويكن له الكثير من المودة.

وفي طريقه إلى الخارج في يومه الأخير في الشعبة، مر براك أمام صور رؤساء الشعبة، وعرف أن صورته ستنضم إليهم منذ الغد. لقد أصبح أحد ثلاثة رؤساء لشعبة الاستخبارات، الذين انهوا مهام عملهم مثلما خططوا منذ البداية، دون إقالة أو توبيخ أو وصمة ما، إضافة إلى تاريخه العسكري الكبير.

وفي تعقيبه على هذه الفترة من عمله، قال ايهود:" يدمن الإنسان العمل الاستخباري، مثلما يدمن(الأفيون)، يدمن السعادة الكامنة في العمليات التنفيذية، والتكنولوجية، والسياسية والاستخبارية. ويدمن صراع العقول الذكي واللانهائي في مواجهة خصوم يبذلون كل ما بوسعهم لإفشاله".

لم يكن تعيينه قائدا للقطاع الأوسط ترفيعا كبيرا، فقد كان براك يفضل مهمة أخرى، قائد القطاع الشمالي مثلا، أو نائب رئيس الأركان. بيد أن هاتين

الوظيفتين لم تكونا شاغرتين، حيث وعد وزير الدفاع، اللـــواء (يوســي بيلــد)، بتسلم القطاع الشمالي، في حين كـــانت الوظيفــة الثانيــة رهنــاً برئيــس الأركــان موشـيه ليفي، الذي لم يكن من المعجبين بايهود بــراك. وربمــا كــان عــدم محبــة ليفــي لــه عائدة إلى عدم شعوره بالارتياح بــالعمل مــع بــراك، وربمــا يكــون قــد ورث مــن (رفائيل ايتان)، و(افيجدور بن جال) شــكوكيتهم تجــاه ايــهود، فقــد حــذراه مــن أن ايهود طموح ولا يرى سوى منصب واحد، وهو منصب رئيــس الأركــان. لــم يكــن ليفي معادياً لبراك، مثلما بدا في بعض الاحيان، بيد أنــه كــان متحفظــاً مــن السـباق الذي يخوضه نحو القمـــة.

كان براك يدرك أن تعيين ليفي رئيسا للأركان لم يــأت علــى أرضيــة كونــه الأفضل من البقية، بل لكونه أقدمهم وأكـبرهم ســنا، ونظــرا لان عــدد الذيــن كــانوا يكرهونه أقل من الآخرين. لقد كان ليفي أقل الضبــاط الذيــن تنافســوا علــى منصب رئيس الأركان تــأثيرا.

ورغم كونه قد قضى غالبية خدمتــه العســكرية فــي المظــلات، الا أنــه لــم يترأس كتيبة مظليين نظاميـــة أو لــواء مظلييــن نظاميــا، وهمــا الشــرطان اللــذان يعتبران ضروريين جداً لبلـــوغ القمــة والضبــاط الثلاثــة الآخــرون الذيــن نافسـوه على المنصب. (افيجــدور بــن غــال)، و(دان شــومرون)، و(أمــير دروري) كــانوا أكثر نضجا منه لتسلم المنصب، أضف إلى ذلك أن تاريخـــهم العســكري كــان أغنــى منه بكثير على صعيد تولي قيادة أطــر عســكرية.

راقب ايهود الصراع الدائــر بيــن الضبــاط الأربعــة، ورغــم أنــه كــان لا يزال، آنذاك، ضابطاً شاباً برتبــة لــواء، الا أنــه كــان يــدرك أنــه سـيخوض هــذه المنافسة إن عاجلا أو آجلا، وأراد أن يتعلــم كيــف يجــب أن يخوضــها، والمواطــن التي يجب أن يركز عليها آنـــذاك.

واتضح له أن الكفاءة ليست كافية، فقـــد كــان يعلــم أن الألويــة الثلاثــة بــن غال وشومرون وأمير دروري لا يتحدث أحدهم مـــع الآخــر، وبالتــالي فلــن يوافــق على أن يكون نائبا لأي رئيس أركان منهم قـــد يحظــى بــالمنصب، وربمــا إن كــان

أحد الأسباب التي جعلت موشيه ليفي يحظى في نهاية المطاف بالمنصب، هو رغبة القيادة العليا في تهدئة الأوضاع داخل هيئة الأركان.

ناضل رفائيل ايتان نضالاً شديداً من أجل نقل المنصب إلى بن غال، بيد أن الائتلاف الذي ضم أرئيل شارون واللواء إسرائيل طل، ونائب وزير الدفاع مردخاي تسيبوري، نجح في إحباط مساعيه.

ولم يخف براك رغبته آنذاك، في رؤية صديقه دان شومرون في المنصب، وربما خشي من محاولة جماعة موشيه ليفي - وكلها من سلاح المظلات- الوقوف أمام ترقيته. أضف إلى ذلك، أنه خشي من تأثير (رفائيل ايتان) على رئيس الأركان الجديد، وكان يدرك أن (رفائيل) ليس من المعجبين به.

ورغم كل ذلك، فاجأ (موشيه ليفي) الجميع، ففي كل ما يتعلق به، كان رئيس أركان معقولاً جدا، ومحترفا وموضوعيا. ورغم أن ايهود لم ينضم إلى الجوقة التي أحاطت بليفي من المظليين ، الا أنه كان يعتقد أن آراء (ليفي) مقبولة ومعقولة.

تسلم براك قيادة(كفير) -القطاع الأوسط، وخلفه صف طويل من المعجبين والكارهين. وكان المعجبون يعتقدون أن لديهم قائدا فذا لا يشق له غبار، ومفكر ورابط الجاش وجريء وموسيقي موهوب، حساس، وقادر على تأبين زميله (يوني نتنياهو)- الذي سقط في عنتيبي بكلمة تقطع نياط القلب.

اما الكارهون، فقد رأوا فيه إنسانا يصعب التعامل معه، متعجرفا، مفاخراً بنفسه، ونافذ الصبر ويحتقر الذين يقلون عنه ثقافة.

ويقول أحد الضباط رفيعي المستوى: من الصعب التجادل مع (براك)، فكل نقاش معه يتحول إلى نقاش متقفين، يصعب مجاراته فيه نظرا لسرعة بديهته، وقدرته على التحليل. إن الذين يتجادلون معه دون أن يتمتعوا بالثقافة العالية، سرعان ما يجدون أنفسهم عاجزين عن مجاراة ألفاظه وحججه التي تتدفق كالسيل العرم. وهو يشكل خطرا على رؤسائه، فهم يشعرون أنه يدفع بهم

إلى الزاوية، وقدراته تتفوق عليــهم. إنـــه قــادر علــى الجلــوس مــع ســائق ســيارة ليوضح له ببســـــاطة الطريق إلـــى هـــدف مــا، أمــا حينمــا يجلــس مــع الضبـــاط الكبار، فهو ليس على اســــتعداد لإعادة مـــا يقــول مرتيــن، بــل يطلــب منــهم أن يفهموا حتى الماحاتـــه.

ويقول خصومه: أنه يعتبر جميـــع المــهام والوظــائف مجــرد محطــة علــى طريق منصب رئاسة الأركان، وربما كان هذا الســـبب خلــق انطباعــا حــول بــراك يفيد بأنـــه لا ينظــر الا إلــى جســام الأمــور، ويخصــص وقتــا هامشــياً للمســائل الصغـيرة.

ولم يستطع حتى خصومه أن يتجــاهلوا العمليــات المســجلة باســمه: ســابيناء، اختطاف الضباط السوريين، ربيع الشباب، وغيرها مـــن عشــرات العمليــات. بيــد أن البعض أشار ايضاً إلى معركة (الســلطان يعقــوب)، والتــي تعتــبر النقطــة الســوداء الوحيدة في تاريخ (براك) العسكري، ولم يكفوا عـــن توجيــه أصــابع الاتــهام، حينمــا اتضح أنه نائب قائد سلاح المدرعات، وأن المسئولية تقــع علــى عــاتق قــائد الســلاح افيجدور بن جــال.

* * *

لم يحظ ايهود براك بالهدوء فترة طويلــة فــي أعقــاب توليتــه منصــب قــائد القطاع الأوسط واشتعلت النيران على الحدود الأردنية. ففــي التاســع والعشــرين مــن كانون الثاني ١٩٨٦ هـــاجم المســلحون دوريــة تابعــة للجيــش الإســرائيلي كــانت تتحرك على طريق الدوريات علــى بعــد قليــل مــن مســتوطنة محولــة فــي غــور الأردن، مما أسفر عن مقتل جنديـيـــن.

وصل ايهود براك إلى المنطقة، بعد فـــترة قصــيرة مــن الحــادث، وبعــد أن أجرى تحقيقا قصـــيرا، تنبـــه إلـــى أن ضباطــا وجنــوداً أردنييـــن يقومــون بتمشــيط المنطقة. وبعد عدة ساعات بعث الأردن إلى إسرائيل رسالة جـــاء فيــها: "لــن نســمح للمسلحين بالمساس بـــالجيش الإســرائيلي".

عندما كان ايهود في شعبة الاستخبارات تلقى الكثـــير مـــن المعلومـــات حـــول اللقاءات التي تجري مع الملك الحسين وكبار رجـــال مملكتـــه. وكـــان يـــدرك إلـــى أي حد يعنى الملك بالسلام، لذا أمل في أن تتغلـــب الرغبـــة الجامحـــة علـــى أحـــداث مـــن هذا القبيـــل.

أولى براك أهمية كبيرة لمسالة إعداد الجبهة فـــي قطاعـــه للحـــرب.

لقد تلقى ايهود في القطاع الأوسط أول درس سياســـي فقـــد كـــان هنـــاك مائـــة ألف مستوطنا، في مواجهة مليون فلسطيني، وقائد لـــواء واحـــد كـــان عليـــه المنـــاورة بينهما بصورة دائمة. وقد نجح في غضون عدة أشهر فـــي خلـــق اتصـــال مـــع كبـــار زعمـــاء المســـتوطنين يســـرائيل هرئيـــل، اوري ارئيـــل، وشـــيله جيـــل، وبنحـــاس فلرشتاين، يوآل بن نون، بني كتســـوفر وغـــيرهم.

كان براك يصغي إلى المســـتوطنين خاصـــة حينمـــا يتحدثـــون عـــن الأمـــن، وعن المشاكل التي يواجهونها على الطرقات. وتعلـــم التمييـــز بيـــن النـــواة المســـتقرة للمستوطنين، وبين الزعامة المشاغبة من أمثـــال الحاخـــام ليفنغـــر، وبـــاروخ ورجـــال كهانا.

لقد تمكن قبل اثنتي عشرة ســـنة، مـــن اكتشـــاف زخـــم الخطـــر الكـــامن فـــي المجموعة المتطرفة التي سكن معظم أعضائها فـــي تـــل الرميـــدة فـــي الخليـــل وفـــي عدد صغير من المستوطنات في قلب منطقة عربية وفي منطقـــــة صحـــراء القـــدس.

وكأن هذه البؤرة الهائلة من التوتر لم تكـــن كافيـــة، فقـــد وجـــد نفســـه، فـــي الكثير من الأحيان، مضطرا لإطفاء بؤر نار صغـــيرة هنـــا أو هنـــاك.

فذات مـــرة قـــدم زعمـــاء اليســـار، وبينـــهم نشـــطاء حركـــة "الســـلام الآن" وشخصيات يسارية من إسرائيل للتضـــامن مـــع الفلســـطينيين، وكـــان مـــن الواضـــح دائما أن مثل هذه الزيارات التضامنية تنتـــهي دائمـــا بمواجـــهات. وقـــد انتـــهت هـــذه الزيارة أيضا بمواجهة شـــديدة.

وكان ضمن أعضـــاء اليســـار عضـــو الكنيســـت شـــولاميت ألونـــي، وأوري أفنيري. وقد كان نشطاء حركة كاخ بانتظارهم قـــرب الخليـــل. وســـرعان مـــا تحـــول

السباب والشتائم، إلى مواجهات عنيفة، لم يكن الجيش مستعداً لها، ووجد الجنود أنفسهم واقعين بين فكي كماش بين محرضي اليمين، ونشطاء اليسار. مما اضطر القائد لطلب النجدة، فتوجه براك في طائرة هليوكبتر من قيادته إلى المنطقة لتهدئة الأوضاع. وفي ساعات المساء، بدا على شاشات التليفزيون (زعران) اليمين وهم يضربون أعضاء اليسار، وقائد القطاع وحفنة من الجنود يحاولون حماية أوري أفنيري بأجسادهم.

أجرى براك مقابلة مع الإذاعة الإسرائيلية واتهم المستوطنين بانتهاك التفاهم، والتصرف بصورة غير مناسبة تجاه الجنود.

سرعان ما خمدت هذه المواجهة بين براك والمستوطنين وقد اعترف إسرائيل هرئيل وأوري اريئيل، فيما بعد أن براك كان منطقياً ويتميز بالصبر، ويفكر في مشاكل المستوطنين.

ألحقت الحرب اليهودية الداخلية اضرارا جسيمة بعمليات محاربة الإرهاب- رغم أن تلك الأيام كانت أيام هدوء نسبية في قيادة القطاع الأوسط، بيد أنه ورغم ذلك الهدوء، كان هناك إحساس بأن شيئاً ما على وشك أن يقع، وأنه الهدوء الذي يسبق العاصفة.

نشأت علاقة متينة بين ايهود براك وأحد كبار رجال جهاز الأمن العام، (يعقوب بيري). وكان بيري يدرك أن شيئا ما سيحدث، ويعمل على افتراض أن انتفاضة ستندلع بين الفينة والأخرى. وأفادت تقارير جهاز الأمن العام، أن هناك طاقة وقوة هائلة كامنتين في منظمة صغيرة، أخذت تطفو على سطح الأحداث في غزة، وأن هذه المنظمة تدعى(حماس).

وفي إطار الاستعداد لقادم الأمور، بادر براك، إلى طرح فكرة تشكيل وحدة جديدة(دوفدفان)، قال: أريد و حدة يبدو رجالها وكأنهم عرب، ويتحدثون اللغة العربية بصورة جيدة، ويمتطون الدراجات في شوارع البلدة القديمة في نابلس، أريد اشخاصا يعملون بغطاء جزئي، كي يصلوا إلى مرحلة التنفيذ العملي، دون الحاجة إلى قوات كبيرة، أو الكشف عن أنفسهم مسبقاً".

كان براك يدرك طبيعة ردود فعل هيئة الأركان علـــى تشـــكيل وحـــدة جديـــدة فإذا ما عمل بالطرق الرسمية لتشكيلها، ســـتتم المصادقـــة عليـــها بعـــد ســـنتين، فـــي أحسن الأحوال، لذا قرر تقصير الإجـــراءات، واتبـــاع الأســـاليب التـــي ســـبق لـــه أن انتهجـــها.

ومثلما فعل، (أبراهام أرنان)، قبل ثلاثيـــن عامـــاً، اســـتدعى ايـــهود ضـــابطين من قيادة القطـــاع الأوســـط همـــا(تســـاي ف)، و(أوري بـــارليف)، وكلفـــهما بتجنيـــد جنود للوحدة الجديدة، على أن يكونوا مـــن وحـــدات قيـــادة القطـــاع الأوســـط. وأعلـــم براك رئيس الأركـــان موشـــيه ليفـــي، واللـــواء (أبيـــهو بـــن نـــون)، رئيـــس شـــعبة التخطيط، فوافق على ما فعـــل.

قال ايهود للضابطين:"فتشا عن ضبـــاط ممـــن يبحثـــون عـــن مهمـــة مثـــيرة، وجنود ذوي حوافز عالية، أعلنـــوا فـــي الوحـــدات المقاتلـــة، أننـــا نريـــد متطوعيـــن لوحدة خاصة: ولا شك أن الأمور ستســـير علـــى مـــا يـــرام". واقـــترح علـــى (أوري بارليف) الذي عين رئيسا لها اســـم(دوفدفـــان).

وعندما جاء قائد الوحدة الجديدة ليقترح عليـــه أي نـــوع مـــن الســـلاح يحملـــه جنود الوحدة، بدا واضحـــا لـــبراك أن البنـــادق العاديـــة لا تصلـــح للمســـتعربين، لـــذا اقترح أن يحملوا مسدسات من طـــراز(اف،ان). عندمـــا قـــال لـــه أنـــه لا يوجـــد فـــي مخازن القطاع عدد كافٍ من المسدسات لتسليح الوحـــدة، أمـــر ايـــهود جميـــع ضبـــاط القطاع بإعادة مسدساتهم، التي أخذوها مـــن القطـــاع. لقـــد كـــانت وحـــدة (دوفدفـــان)، في تلك الآونة أحد الأسرار الخفية جدا فـــي الجيـــش الإســـرائيلي.

حرص ايهود على ربط وحدة (دوفدفان) بجـــهاز الأمـــن العـــام، وهـــو الأمـــر الذي جعل(بيري) يتحمس للغاية، ويقدم جميـــع المســـاعدات الممكنـــة.

كان الاثنان يعتقدان أن الـــهدوء الســـائد فـــي الضفـــة والقطـــاع هـــو هـــدوء خادع، وبالتالي قدرا أنه إذا ما اندلعت انتفاضـــة، فـــإن الوحـــدة الجديـــدة ســـتلعب دوراً حاسما في مقاومتها. إلى جانب جهاز الأمن العـــام. وجنودهـــا هـــم الذيـــن سيتســـللون

إلى مراكز التجمعات السكانية الفلسطينية بالتعاون مع مسئولي جهاز الأمن العام والعملاء.

تبنى ايهود الوحدة الجديدة، وراقبها، وحضر تدريباتها، ودراسة أعضائها للغة العربية. وشاهد الجنود وهم يتخفون في صورة عربي كهل، أو شاب نشط، أو امرأة، وعندما كان يتجول في الأسواق، كان يجد من الصعوبة بمكان، تشخيص أولئك الجنود المنخرطين وسط الجماهير الفلسطينية. ثم شرع أعضاء الوحدة في دراسة المعلومات المتوفرة حول قادة المنظمات المختلفة.

بدأت الصدامات خلال الصيف، ثم اتسعت، وبدا أن بؤر التوتر الأساسية في جامعة النجاح، وجامعة بير زيت في رام الله، وقد قتل عدد من الفلسطينيين خلال الصدامات هناك.

أخذ القطاع يستعد لمواجهة الأحداث المتفاقمة، وكانت التقارير الاستخبارية المتراكمة على مكتب براك تثير القلق، فقد كانت المنطقة ناجحة تماماً، لبدء عمليات خطف جنود والقيام بعمليات عسكرية ضد إسرائيل. وتعززت قوة حركة حماس، وأدرك براك وبيري أن بؤرة التحريض الرئيسية تكمن في أوساط حماس.

أشارت وسائل الإعلام إلى النجاحات الأولى التي أحرزتها وحدة(دوفدفان) على صعيد اعتقال (المخربين) على أنها نزاعات بين العشائر، فشعر براك أن الوحدة تسير في الطريق الصحيح.

وقع أخطر حادث عسكري في الحادي عشر من آب ١٩٨٧، كان (ايبي موزس) من مستوطنة ألفي منشه القريبة من قلقيلية، يسافر في ساعات المساء مع أبناء عائلته على الطريق المؤدي إلى منزله، وكانت معه زوجته وأطفاله الثلاثة.

وفي أحد منحنيات الطريق ألقيت زجاجة حارقة على السيارة، مما أدى إلى إحراق المرأة وإحدى بناتها، وإصابة البقية بحروق شديدة.

وفي نفس الليلة هاجم المئات من المستوطنين قلقيلية، ودمروا الأشجار، وحطموا نوافذ المنازل، وحطموا السيارات وأضرموا فيها النيران. وبدا لسبراك أن مخاوفه على وشك التحقق وأن الهدوء شارف على الانتهاء.

وفي يوميات القطاع سجلت أحداث ذلك اليوم كمفترق طرق على طريق العنف، والذي قدر له أن يجر المنطقة إلى دائرة عنف لعدة اشهر.

الفصل السادس عشر

ايهود نائبا لرئيس الأركان
خطط لاغتيال أبو جهاد في تونس

بدأت المعارك حول منصب رئيس الأركان في آب ١٩٨٦، وفي لقاء غير مخطط مع وزير الدفاع، (اسحق رابين)، قال لرئيس الأركان (موشيه ليفي)، أن ولايته في هيئة الأركان، ستنتهي في نيسان ١٩٨٧، وهو الأمر الذي أثار خيبة لفين الذي كان يأمل أن يمدد له فترة ولايته سنة أخرى، وبالتالي، يكون ثاني رئيس أركان في الجيش الإسرائيلي بعد (رفائيل ايتان) يتم تمديد فترة ولايته.

كان المرشح الرئيسي للمنصب هو نائب رئيس الأركان (دان شومرون). وقد بذل (موشيه ليفي) كل ما في وسعه للحيلولة دون تعيين شومرون، حيث كانت الخصومة بين الاثنين، على اشدها، وخصوصاً خلال العامين الأخيرين. لقد بدأت الخلافات بين الاثنين، منذ سنوات الستينات، حيث تنافس شومرون مع ليفي، حول كل منصب في المظلات وسبقه إليه. وعندما كان شومرون قائدا لكتيبة المظليين، اكتفى ليفي بترؤس مدرسة المظليين.

أضف إلى ذلك، أن شومرون – بطل عملية عنتيبي- كان حبيب وسائل الإعلام، في الوقت الذي لم يكن فيه موشيه ليفي ضابطاً متميزاً، ولم يقد في أي حرب قوة كبيرة، ولم يُسجل في ملفه الشخصي أي أحداث بارزة، بل لقد كان تعيينه رئيساً للأركان مفاجأة مدهشة للكثير من الضباط.

وقبل فترة وجيزة من إعلام اسحق رابين لليفي باعتزامه إنهاء ولايته، أجرى تعيينا مفاجئا، حيث عين اللواء (أمير دروري) نائباً لرئيس الأركان بدلا من (دان شومرون). ورغم أن شومرون كان صاحب أكبر فرصة في تولي رئاسة هيئة الأركان، الا أن ثلاثة ضباط آخرين انضموا إلى المنافسة، وهم: ايهود براك، اوري اور، وأمير دروري. ومن الجدير بالذكر، أن ايهود براك قرر حال تعيينه قائداً للقطاع الأوسط، مطلع ١٩٨٦ أن يخوض المنافسة على رئاسة الأركان لقد كان أحد تلاميذ وزير الدفاع اسحق رابين، وحبيباً لرئيس الحكومة اسحق شامير، وأصغر ضابط برتبة لواء في الجيش، وكانت لديه العديد

من الإلماحات التي تشير إلى أن وزير الدفاع، يعـــتزم ترقيتـه فـوق جميـع الضبـاط الأقدم منه، ويعينه رئيسا للأركـــان.

تحولت الصداقة الطويلة بينه وبين دان شومرون إلـــى توتـر، تصـاعد كلمـا اقترب موعد الاختيار. وتتشـــكل فـي الجيـش (لوبـي) يسـعى لتعييـن بـراك فـي المنصب وعلى رأس هذا اللوبي، العميد شاؤول موفـــاز، الـذي أنـهى لتـوه منصـب قائد لواء المظليين. هذا إضافة إلى تأييد ارئيل شـــارون لـه.

وفـي كـانون الثـاني ١٩٨٧، قـرر اسـحق رابيـن تجديـد وعـده لـدان شومرون، وتعيينه رئيسـاً للأركـان. اسـتدعى بـراك، وبالتعـاون مـع شـومرون، عرضا عليه منصب شعبة الأركان ونائب رئيـس الأركـان.

كان ذلك اليوم يوم خيبـة أمـل عميقـة للواعيـن الأول قديـم: نـائب رئيـس الأركـان أمـير دروري، والثـاني ايـهود بـراك. وقـد أدرك دروري ان طريقـه العسكري شارف على نهايتـه، فعقـد مؤتمـراً صحفيـاً هـاجم فيـه قـرار تفضيـل شومرون عليـه.

وفي نفس المساء، أعلن اسحق رابين عن تعييـن ايـهود بـراك نائبـاً لرئيـس الأركان، ونشرت الصحف صورته وهـو بـالملابس البيضـاء علـى جنـاح طـائرة سابينا المخطوفـة.

وقال رابين لبراك: مـن الضـروري أن تجتمـع أنـت وشـومرون، وتتفقـا. وقد جلس الاثنان معاً في لقاء قصير، بيد أنه كان مجديـاً وقـد أثنـى شـومرون علـى تصرف براك أثناء فترة التنافس، جراء عـدم لجوئـه إلـى التشـويه، ومـن الجديـر بالذكر أن شومرون لم يكن يعلم أن بـراك أنقـذه قبـل عـدة سـنوات، مـن مؤامـرة كانت تحاك ضده لاستبعاده من المنافسة علـى المنـاصب الرفيعـة.

علم براك بوصفه آنذاك، رئيسـا لشـعبة الاسـتخبارات العسـكرية، أن شـعبة الأمن الميداني تجـري تحقيقـات ضـد ضـابطين رفيعـي المسـتوى، أحدهمـا دان شومرون، فقد وصلت إلـى شـعبة الأمـن الميدانـي، رسـالة مـن مجـهول، ضـد الضابطين، وتتعلق بمســائل شـخصية لا علاقـة لـها بأدائـهما العسـكري بصـورة

مباشرة، ولم يكن يحق لرئيس شعبة الاستخبارات التدخل في التحقيق. بيد أنه سرعان ما اكتشف، أن الأمر يتعلق بعملية تشويه تتعلق بحياة شومرون الخاصة وانحرافه الجنسي، أي أنه لوطي- وأن هدف هذه العملية، هو وضع حد لمهنته العسكرية.

استدعى براك رئيس شعبة الأمن الميداني، وحاول أن يوضح له أهداف الرسالة التي وصلته، ومن الذي يقف خلفها، بيد أن رئيس الشعبة أصر على موقفه، وقال لبراك: أنا حقاً خاضع لك، بيد أنك تدرك أن علي أن أقدم تقريراً مباشراً في قضايا التحقيق الحساسة إلى رئيس الأركان مباشرة.

التقى براك برئيس الأركان موشيه ليفي واحتج على التحقيق، بيد أن ليفي فوجئ بموقف براك، وقال له: أنه أمر بمواصلة التحقيق. فقال براك أنهم يحاولون تدمير ضابط متميز. وحينما أدرك أن ليفي لا ينوي الاستجابة له، طلب منه السماح له بلقاء وزير الدفاع موشيه آرنس وقد تمكن براك من إقناعه، فأمر بوقف التحقيق وحفظ الملف.

لم يكن شومرون يعلم بما حدث، لقد تناهت إليه شائعات، بيد أنه لم يكن يعلم بأن رئيس الأركان على علاقة بالأمر، ولم يكشف له براك الأمر الا عندما عين رئيسا للأركان، فأعلمه بأن هناك جهات رفيعة في الجيش، تعمل على التحقيق معه.

كانت العلاقات بين شومرون وبراك، حتى التنافس على رئاسة الأركان، وطيدة جداً، وكانت لهما لقاءات في مجال العمل العسكري. أولها في أيار ١٩٦٥ في العملية التي أسميت (ليلة الآبار) في قلقيلية فقد عمل الجيش الإسرائيلي ضد عدة أهداف بالقرب من قلقيلية، وكان ايهود قائداً لقوة من دورية هيئة الأركان، في حين كان شومرون قائداً لوحدة مظلات. وقد قام كل منهما بتدمير عدة آبار في الأراضي الأردنية.

أما اللقاء الثاني فجرى خلال حرب الاستنزاف على قناة السويس، في حين قاد شومرون كتيبة مظليين، تولى براك منصب نائب قائد دورية الأركان.

وفي تموز ١٩٧٦،خططا معا، لعملية"كرة الرعد" والتي تم خلالها تخليص الرهائن في عنتيبي. كان شومرون، آنذاك، قائد سلاح المظلات والمشاة، في حين تولى براك منصب مساعد رئيس قسم العمليات في شعبة الاستخبارات العسكرية.

كان اللقاء بين رئيس الأركان المنتظر ونائبه في مكانه، وتلاشت الخلافات. ويذكر التاريخ العسكري الإسرائيلي التزاوج في العمل بين براك وشومرون كأنجح تزاوج بين رئيس أركان ونائبه.

لقد منح شومرون نائبه، مجال مناورة وعمل واسعين جدا، بما فيها المجال التنفيذي، وفي نفس الوقت قلص براك لقاءاته وتصريحاته للصحفيين، إلى أدنى حد ممكن. وفي التاسع عشر من نيسان ١٩٨٧، تسلم شومرون رئاسة هيئة الأركان، وبعد ثلاثة أسابيع، سلم براك رئاسة القطاع الأوسط لعميرام متسناع، وانتقل إلى مكتب نائب رئيس الأركان.

وكان تقسيم العمل بينهما واضحا، وإن لم يكن رسميا، ففي الوقت الذي عكف فيه شومرون، على معالجة قضايا الأمن الشامل، تولى براك مهام التخطيط العملي، والمخططات المستقبلية وإعداد الجيش للحرب~.

لقد تنبه براك للأخطار المستقبلية على إسرائيل أخطار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية في العراق وإيران. ورغم أن الدولتين كانتا غارقتين في حرب دموية، الا أن براك ارتأى ضرورة إعداد الرد الشافي على إمكانية الحرب البيولوجية والكيميائية.

كانت الاستعدادات تتطلب مبالغ باهظة، بيد أن براك لم يكن يعلم الحقيقة الا عندما تسلم منصبه كنائب لرئيس الأركان، وهي أن خزينة الوزارة خاوية تقريبا. ووجد أنه لا يوجد هناك حتى شيكل واحد من المبالغ الهائلة، التي يحتاجها لموازنة نيران الرعب الاستراتيجي في الشرق الأوسط.

كانت غالبية الأموال مخصصة للأمن الشامل، أما أموال المساعدات العسكرية الأميركية، فقد خصصت في غالبيتها لتمويل صفقات الشراء، وعلى

وجه الخصوص شراء الطائرات الحديثة لسلاح الجو الإسرائيلي. وباقي ما بقي، فكان يصب في ميزانية طائرة (هليفي).

كان مشروع طائرة هليفي قد بدأ يتبلور في شباط ١٩٨٠، بيد أنه لم يدخل حيز التنفيذ الفعلي الا في أوج الحرب اللبنانية. وكان بيغن، قال في إحدى الجلسات الحكومية، التي ناقشت العلاقات الإسرائيلية مع الولايات المتحدة: أنه يتوجب الاستعداد لإنتاج منظومات حربية إسرائيلية كي لا تظل إسرائيل رهنا بالمساعدات العسكرية الأميركية، وأعطى الضوء الأخضر للصناعات الجوية الإسرائيلية للشروع بمشروع طائرة هليفي.

وفي شباط ١٩٨٣، وفي أعقاب نشر لجنة كوهين لاستنتاجاتها بشأن مذبحة صبرا وشاتيلا، في لبنان، غادر ارئيل شارون منصب وزير الدفاع. وفي آذار تم تعيين موشيه آرنس خلفا له.

كان آرنس يفتقر إلى المعرفة الأمنية، بيد أنه كان خبيرا في هندسة الطائرات. لذا تم تدفيق أموال بكميات لم يسبق لها مثيل، إلى المشروع هليفي. ووجدت إسرائيل نفسها عبدا لهذا المشروع الذي وعد آرنس بأن يكون أحدث طائرات المستقبل.

كانت طائرة هليفي في نموذجها الأول طائرة عادية نسخة عن طائرة (ميراج وكفير)،بيد أن آرنس، الذي كان شريكا في التخطيط لبناء طائرة(هوابا)- آمن بأن الصناعات الجوية الإسرائيلية، قادرة على تطوير طائرة مقاتلة تبز جميع الطائرات الأخرى.

وقد خطط آرنس لمشاركة الولايات المتحدة في تمويل المشروع، بيد أن الأميركيين لم يكونوا متحمسين للمشروع، فهم لم يفهموا لماذا يتوجب على إسرائيل- التي تتمتع بأموال المساعدات العسكرية الأميركية- أن تخوض هذه المغامرة الكبيرة. أضف إلى ذلك، أنه كان من مصلحة الولايات المتحدة، بيع طائرات حربية إلى إسرائيل.

تقبل شومرون وبراك مشروع الطائرة كحقيقــة قائمــة، لكــن حينمــا اتضــح لهما أنه سيأكل غالبية ميزانية الدفاع قررا الدفع باتجاه إعـــادة النظــر فيــه.

وقد وجد الاثنان إلى جوارهما وزيــر الدفــاع الجديــد اسـحق رابيــن، الــذي حل بدلاً من آرنس عام ١٩٨٤. وقد اكتشف رابين، حقـــائق مثــيرة للاهتمــام فســلاح الجو الإسرائيلي، الــذي يعتــبر الزبــون الأول لطــائرة هليفــي، لــم يكــن متحمســا للطائرة، لقد خشي الطيــارون مــن أن تحــول طــائرة هليفــي دون شــراء الســلاح لطائرات (اف١٥)و(اف١٦) التي كانوا يعرفونها جيــدا، أضــف إلــى ذلــك، أنــه لــم تكن لديهم أي ضمانات تؤكد بأن (هليفي) ستكون متمــيزة مثلمــا وعــد(آرنــس). لــم يكن ايهود براك بحاجة إلى وقـــت طويــل كــي يــدرك أن هنــاك ضــرورة لوقــف المشروع في مــهده.

لقد تحولت قضية(هليفي) من قضية أمنية إلــى قضيــة سياســية، بيــن حزبــي العمل والليكود. وكان من الواضح، من هي الجهة التـــي يؤيدهــا بــراك.

وفي الثلاثين من آب ١٩٨٧ عقدت الحكومة اجتماعـــاً لحســم هــذه القضيــة، وقد صوت اثنا عشر وزيراً، وعلى رأســـهم وزيــر الدفــاع اسـحق رابيــن ووزيــر الخارجية شمعون بيرس، ضد مشروع هليفـــي فــي حيــن صــوت رئيــس الحكومــة واحد عشر وزيرا آخر- غالبيتـــهم مــن الليكــود- لصــالح المشــروع. وفــي نهايــة الجلسة أعلن الوزير موشيه آرنس، عن استقالته مـــن الحكومــة وتظــاهر الآلاف مــن عمال الصناعـــات الجويــة وأغلقــوا الطــرق، بيــد أن الولايــات المتحــدة ســارعت للإعلان عن اعتزامها تزويد إســـرائيل فــورا بمائــة وخمســين طــائرة مقاتلــة مــن طــراز (أف-١٦).

الطائرة الشراعية

في الخــامس والعشــرين مــن تشــرين الثــاني ١٩٨٧ هبــت عاصفــة فــي إسرائيل فقد تمكن (مخرب) شــيعي مــن التســلل إلــى إســرائيل باســتخدام طــائرة شراعية، وهبط بها بالقرب من "كريات شمونة" وتســلل إلــى إحــدى قواعــد(النــاحل) العسكرية القريبة، ونجح في قتل ستة جنود قبـــل أن يقتلــوه.

وقد قرر براك وشومرون، التعامل مع هذا الحـادث بخطـورة بالغـة، جـراء السهولة التي تمكن خلالها(المسلح) مـن الدخـول إلـى القـاعدة وقتـل سـتة جنـود، وقرروا إقالة قائد لواء الناحل. بيد أن الجانب الخطير الذي كـان يخشـاه بـراك، هـو أن تفسر المنظمات الفلسطينية الحادث بأنه دلالة علـى ضعـف الجيـش الإسـرائيلي. ولم يدر براك، إلى أي حد كان هذا الوصـف ملائمـاً للواقـع. لقـد تحـول(المسـلح) المذكور، إلى بطل قومي في الضفـة والقطـاع.

وعندما اندلعت الانتفاضة بعد أسبوعين من ذلـك التـاريخ تـم الإعـلان عنـه كبطل من أبطالها. فقـد قـامت الانتفاضـة علـى مبـدأ تحطيـم أسـطورة المقـاتل الإسرائيلي، الذي بدا بكامل ضعفه خلال عمليـة معسـكر النـاحل.

اندلعت الانتفاضة في التاسع من كـانون الأول١٩٨٧، حينمـا قـامت شـاحنة إسرائيلية بصدم سيارة فلسطينية وقتل أربعة أشخاص مـن ركابـها، وهـم مـن مخيـم جباليا. وقد أدت هذه الحادثة، إلى إضرام النيران فـي قطـاع غـزة، خصوصـاً علـى أرضية الشائعات القائلة، أن السائق نفذ عمليته للانتقـام لمقتـل جنـدي إسـرائيلي فـي قطاع غزة قبل يومين. وخـرج عشـرات الآلاف مـن الجمـاهير الغزيـة، وهـاجمت الجنود والمواقع، وقد ذهل الجنود، وهـم يـرون لأول مـرة، الجمـاهير الغاضبـة لا تتراجع أمام إطلاق النار عليـها.

عقد رئيس الأركان اجتماعاً عـاجلاً لتـدارس الأمـر، وكلـف ايـهود بـراك بالعمل على إيجاد الحلول لهذه الحرب التي لم يسـبق للجيـش الإسـرائيلي أن خـاض مثلها.

وفي أول جلسة حكومـة ناقشـت الانتفاضـة، قـال بـراك:" الأمـر يتعلـق بحرب طويلة، فالقضية ليست قضية أيام وأسـابيع، بـل قـد تسـتغرق سـنوات لـذا، يجب علينا أن نتخذ الاستعدادات اللازمة لمواجهـة الوضـع الجديـد، وبلـورة حلـول خلاقـة.

لم يكن الجيش مستعدا لمواجهـة مثـل هـذا الوضـع، ممـا أحـدث ارتباكـاً شديداً، وكان رد الجيش على غضب الجمـاهير ومظاهراتـها، إطـلاق النـار عليـها.

مما أسفر عن مقتل عشرات الفلسطينيين في الأسابيع الأولى، ووجدت إسرائيل نفسها معزولة، وموضع هجوم في شتى أنحاء العالم.

عمل الطاقم الذي شكله براك بكل طاقته للعثور على حلول عملية، فتم استبدال العيارات النارية بعيارات بلاستيكية، ثم بالعيارات المطاطية، وعندما اتضح أن هذه العيارات قاتلة، إذا ما أطلقت عن أبعاد قصيرة، جرى استبدالها بالعيارات الملونة وكلما استعر اوار الانتفاضة، كلما ارتفعت وتيرة التجارة الإسرائيلية في محاولة لوقفها: مدافع حجارة، سيارات مدرعة تم تزويدها بجهاز خاص لرشق المتظاهرين بالحجارة، بلاستك خاص لإطفاء الإطارات المشتعلة، غازات مسيلة للدموع....الخ.

كان نائب رئيس الأركان، براك، مسئولا عن الوحدات الخاصة: دوفدفان في الضفة الغربية، وشمشون في غزة. وقد مارس براك ضغوطاً من أجل إرسال الوحدات الخاصة: دورية المظليين، وجولاني وجبعاني لمواجهة الانتفاضة، والتخفيف عن المستعربين. وقد أدى هذا القرار إلى إثارة مواجهات شديدة مع قادة الوحدات الخاصة الذين اضطروا لتغيير بعض التدريبات أضف إلى ذلك، أنهم قالوا: أن مواجهة المظاهرات ليست من مهام عملهم.

اقترح براك إقامة سجن كبير قادر على استيعاب معتقلي الانتفاضة، واشار إلى معتقل(كتسيعوت) في النقب، بيد أن قائد القطاع الجنوبي اسحق مردخاي، عارض إقامة المعتقل في قطاعه، الا أن براك أصر على ذلك، وأقام المعتقل.

وفي أوج اندلاع الانتفاضة، وجد براك نفسه، مرة أخرى، في قلب عاصفة الفعل- حسب ما نشرته وسائل الإعلام الأجنبية-كانت تلك إحدى عمليات دورية هيئة الأركان المتميزة، على بعد آلاف الكيلو مترات، من سواحل إسرائيل.

اغتيال أبو جهاد

في أعقاب اضطرار المنظمات الفلسطينية لإخلاء بيروت في آب ١٩٨٢، حطوا الرحال في تونس. على بعد آلاف الكيلو مترات من إسرائيل، ومن هناك أخذ ياسر عرفات يشغّل ويفعّل جناح العمليات العسكرية. الذي يترأسه، ومن هناك صدرت الأوامر إلى النشطاء الميدانيين، ولنشطاء الانتفاضة.

وفي حوالي الساعة الثانية من ليلة السادس عشر من نيسان ١٩٨٨- وحسب ما نشرته وسائل الإعلام الأجنبية- سمع صوت نسائي خارج الفيلا التي يقطنها أبو جهاد- نائب الرئيس الفلسطيني للشؤون العسكرية ورئيس شعبة العمليات في حركة فتح.

نادت المرأة باسم أبو سليمان- الحارس الشخصي لأبو جهاد، فسارع الحارس إلى الباب، وفتحه جزئيا ونظر إلى الخارج، وكان آخر شيء شاهده هو لمعة نيرانية، وآلام حادة، ثم سقط أرضا، بعد أن أصيب في رأسه.

كان أبو جهاد في غرفة مكتبه في الطابق الثاني في فيلته الفخمة، والواقعة في حي سيدي بوسعيد التونسي. وقد أقلقه الصوت الذي انبعث من الطابق الأرضي، فأخذ مسدسه وتوجه نحو السلم، في الوقت الذي كان هناك أشخاص يرتدون بزات زيتية اللون يتسلقون الدرج بسرعة باتجاهه، ولم يتمكن أبو جهاد من إطلاق النار، حيث عاجلته صلية نيرانية فألقته أرضا.

خرجت أم جهاد على صوت إطلاق النار، وشاهدت زوجها وهو ينهار أرضا، وأدركت أنها التالية في الدور، وبدلا من أن تتلقى العيارات النارية، امتدت يد قوية باتجاهها، ودفعتها إلى غرفة النوم مجددا، وقال لها صاحب تلك اليد" لسنا مهتمين بك، ادخلي غرفة نومك وابقي هادئة" استجابت أم جهاد للأمر، وأخذت ابنها الذي يناهز الثالثة عشرة، وأغلقت على نفسها غرفة النوم وهي تبكي مصير زوجها. في حين قامت القوة المهاجمة بتمشيط المنزل بسرعة. ومن شق صغير في غرفة النوم شاهدت المهاجمين وهم يغادرون الفيلا حاملين معهم صناديق ومظاريف كانوا قد أخذوها من الفيلا.

حاولت أم جهاد الاستغاثة بالهاتف، بيد أن الخط كان مقطوعاً فخرجت إلى الشرفة وأخذت تصرخ قائلة" قتلوا أبو جهاد، قتلوا أبو جهاد". وبعد دقائق، قدم حراس عرفات الذي كان يسكن في فيلا مجاورة، وحال بزوغ الفجر اكتشفت قوات الأمن التونسية، ثلاث سيارات: حافلتين صغيرتين، وسيارة بيجو ٣٠٥، على ساحل البحر، على بعد عشرين كيلومترا من منزل أبو جهاد.

وبعد عدة أيام نشر(جل فرانكل) مراسل جريدة واشنطن بوست مقالة، قال فيها أن اغتيال أبو جهاد تم على أيدي عملاء الموساد ودورية هيئة الأركان والكوماندو البحري.

وافادت الجريدة، أن قرار التصفية اتخذ في جلسة حكومية خاصة في السادس من نيسان ١٩٨٨، وقد شارك في هذه الجلسة رئيس الموساد ناحوم أدموني.

كان مسلحون قد هاجموا قبل هذا التاريخ بشهر عمالاً يعملون في المفاعل النووي في ديمونة، بعد أن تسللوا من سيناء وقد قتل ثلاثة من الرهائن قبل أن تنجح وحدة مكافحة الإرهاب في السيطرة على الحافلة. وقبل أن يتم تصفيته، قال أحد المسلحين: لقد أرسلنا أبو جهاد.

طرح رئيس حكومة الوحدة الوطنية، اسحق شامير، في مطلع نيسان، لأول مرة، إمكانية اغتيال أبو جهاد، بيد أن ثلاثة وزراء من حزب العمل هم: وزير الخارجية شمعون بيرس، ووزير المعارف اسحق نافون، والوزير بلا وزارة عيزر وايزمن، عارضوا العملية، في حين أيدها وزير الدفاع اسحق رابين، ووزير التجارة والصناعة حاييم بارليف ووزراء آخرون. ولم يجر في نهاية الجلسة تصويت على الاقتراح، فقد حسم القرار اسحق شامير بالقول: لقد تم نقل القرار إلى الموساد والجيش الإسرائيلي.

وافادت وسائل الإعلام الأجنبية انه تم استدعاء رئيس الموساد ناحوم أدموني لحضور جلسة الحكومة التالية، وأعلن شامير انه سيتم تصفية أبو جهاد قريبا، "فهذه هي اللغة الوحيدة التي يفهمونها".

لقد سبق العملية عملية إعداد دقيقة، ففي أعقاب اتخاذ القرار استدعي إلى مكتب وزير الدفاع ثلاثة ضباط: دان شومرون رئيس الأركان، وايهود براك نائبه، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أمنون ليفكين شاحك. وفي نهاية الاجتماع، اتخذ قرار بأن يترأس ايهود براك الطاقم التخطيطي، يساعده في ذلك رئيس شعبة الاستخبارات شاحك، ورئيس الموساد وضباط آخرون.

كان براك مسروراً لتحديد هدف العملية فقد كان أبو جهاد مسئولا عن العديد من العمليات العسكرية ضد إسرائيل، والتي أسفرت عن مقتل عدد كبير من الإسرائيليين واليهود.

وخلال ذلك اللقاء، وضع براك الإطار الأول للعملية: شعبة الاستخبارات العسكرية مسئولة عن ملف المعلومات، والموساد مسئول عن الإعداد التنفيذي على أرض الواقع، وسلاح الجو مسئول عن الرقابة والتغطية الجوية، وسلاح البحرية سينقل القوة إلى الهدف، وجنود الكوماندو البحري هم المسئولون عن إنزال القوة على الساحل التونسي، أما عملية التصفية نفسها، فسيقوم بها جنود دورية هيئة الأركان.

كانت لدى شعبة الاستخبارات ملفات ضخمة حول أبو جهاد: بيد أنها لم تكن تفي بالغرض. ومنذ اللحظة التي تم فيها اتخاذ قرار التصفية، قام براك بتفعيل عدد كبير من العملاء لجلب المزيد من المعلومات.

ووفقا لما نشرته وسائل الإعلام الأجنبية تم إرسال عملاء الموساد إلى تونس، فعادوا من هناك وهم يحملون معلومات كاملة عن المنزل، وصورا له من الداخل والخارج، بما فيها أنظمة الحراسة، ونظام الحياة اليومية لأبو جهاد. كما بادر براك، إلى تنفيذ تحليق جوي فوق المنزل وتصويره، وتصوير الطرق المؤدية إليه.

ورغم أن أبو جهاد لم يشعر بشيء، الا أنه كان تحت المراقبة طيلة أسبوع، كما كان عملاء الموساد يتصنتون على جهازه الهاتفي، وعرفوا كل ما يعتزم عمله. وقد تمكنت الأجهزة الحديثة التي تم زرعها في منزله من كشف

النقاب عن عادات لم تكن معروفة عنه. فقد اتضح مثلا، أنه اعتاد العمل حتى منتصف الليل في صالون المنزل في الطابق الأول، ثم الصعود إلى الطابق الثاني إلى غرفة العمل، أو إلى غرفة النوم الملاصقة لها.

حدد براك اسم الضابط الذي سيقود العملية: المقدم موشيه يعلون قائد دورية هيئة الأركان، في الوقت الذي كان فيه الطاقم المنتخب للتنفيذ يتدرب على نموذج مشابه على أحد سواحل جنوب إسرائيل، على الهبوط والحركة والسيطرة والانسحاب.

في الثالث عشر من نيسان ١٩٨٨ انطلقت عدة زوارق حربية إسرائيلية من ميناء حيفا باتجاه الغرب. كانت الزوارق محملة بكم كبير من المعدات الحربية، بما فيها مستشفى ميداني، وأجهزة إلكترونية، وطائرة هليوكبتر لإنقاذ الجنود من المنطقة عند الضرورة. وكان نائب رئيس الأركان ايهود براك، على متن أحد الزوارق.

وإبان إبحار السفينة، تلقت رسالة تقول: أبو جهاد في منزله، ويواصل العمل حسب العادة. وأفاد عملاء الموساد في تونس: أن شخصيات رفيعة من المنظمة، بمن فيهم ياسر عرفات، موجودون في تونس. كان الإغواء كبيرا جدا لتصفية جميع القادة الموجودين، بيد أن ايهود براك وبالتشاور مع رئيس الأركان دان شومرون، قرر التمسك بهدف العملية الأصلي.

لقد كان الإغواء للمشاركة في عملية التصفية لدى براك كبيرا. وتذكر أنه أبحر قبل خمس عشرة سنة بالضبط- في نيسان ١٩٧٣- على متن زورق حربي إسرائيلي إلى ساحل بيروت لتنفيذ عملية (ربيع الشباب)، كان آنذاك برتبة مقدم، وقائد لدورية هيئة الأركان، أما الان فهو ضابط رفيع برتبة لواء، ونائب رئيس الأركان.

اقتربت الزوارق الحربية في الخامس عشر من نيسان في ساعات منتصف الليل من الساحل التونسي. وأفادت قوة طلائعية من الكوماندو البحري

أن الشاطئ هادئ. وقام براك بمعانقة موشيه يعلون بشدة، قبل هبوطه هو والجنود إلى الزوارق.

في ذلك الوقت كان عملاء الموساد يسيطرون على خطوط الهاتف، وباستخدام أجهزة تكنولوجية حديثة كانوا يتحكمون في المحادثات، وفيما إذا كان يجب السماح لأبو جهاد بسماعها أم لا.

كانت التوجيهات المعطاة لقائد الدورية واضحة: اقتل أبو جهاد وحراسه، لكن لا تمس بزوجته وأولاده. كانت العملية خاطفة جداً، حيث لم تستغرق منذ وصول الجنود إلى المنزل، وحتى مغادرة آخرهم، وركوبه السيارة دقائق معدودة.

وكان النجاح بنسبة ١٠٠%، فقد غادر الجنود المكان تاركين خلفهم جثمان (أبو جهاد) وقد مزقه الرصاص، دون أن يلحظ أي شخص من أصحاب المنازل المجاورة حدوث شيء غريب.

سارعت القوة بالسيارات إلى الشاطئ، وهناك امتطت الزوارق المطاطية إلى الزوارق الحربية، التي كانت ترسو بالانتظار على بعد عدة مئات من الأمتار.

استقبل ايهود المقاتلين على متن السفينة، وتم إجراء الاستجواب الأولي، وبعد أربع وعشرين ساعة، كانت الزوارق في إسرائيل.

ومن الجدير بالذكر، أن إسرائيل لم تعترف أبداً بتنفيذها للعملية وعندما سئل رئيس الحكومة شامير عن العملية، قال:" لقد سمعت عن ذلك في الراديو".

شعر براك، مطلع ١٩٨٩، أن نبوءته قبل ثلاث سنوات بدأت تتحقق، فقد بدأت منظمة جديدة تحتل مكانة واسعة في الضفة والقطاع، منظمة حماس، وهي منظمة إسلامية متطرفة، ترفع لواء محاربة إسرائيل بلا هوادة. وقد وجد الجيش الإسرائيلي في تلك الآونة نفسه أمام موجة عمل عسكري جديدة، قامت خلالها حركة حماس باختطاف وقتل جنود بعد أن تخفى مقاتلو حماس في صورة يهود متدينين ونقلوا الجنود معهم مجانا. وفي السادس عشر من شباط، تم اختطاف

المظلي آفي سسبورتس، وتم قتله حال ركوبه السيارة، وتم العثـور على جثته بعد عدة أشهر.

عقدت هيئة الأركان اجتماعا، أصدرت في نهايته تعليمات مشددة للجنود فيما يتعلق بالركوب المجاني. بيد أن الأوامر لم تجد نفعاً في الحيلولة دون عملية القتل التالية.ففي الثالث من أيار اختطف وقتل الجندي (إيلان سعدون) والذي كان بانتظار الركوب المجاني، قرب عسقلان وقد اكتشف جهاز الأمن العام، أن حركة حماس تقف خلف هذه العملية أيضاً، فتم اتخاذ قرار يقضي باعتقال الشيخ أحمد ياسين رئيسها.

اعتقال الشيخ ياسين
وحادث الحافلة ٤٠٥

لم يضع اعتقال الشيخ ياسين حداً للعمليات التي كان الطاقم التنفيذي لحركة حماس يقوم بها. ففي السادس من تموز، نجح أحد أعضاء حماس في السيطرة على عجلة قيادة حافلة على الخط(٤٠٥)، كانت في طريقها من تل أبيب إلى القدس، ودهور السيارة في وادٍ عميق قرب قرية أبو غوش مما أسفر عن مقتل ستة عشر شخصاً، وإصابة سبعة وعشرين آخرين بجراح. وقد هزت هذه العملية التي كانت من أخطر العمليات التي شهدتها إسرائيل في تلك الأيام- ثقة الإسرائيليين بقدرة الدولة.

اختطاف الشيخ عبيد
من جنوب لبنان

وقعت عملية الحافلة (٤٠٥) في الوقت الذي كان فيه رئيس الأركان يعد لعملية جريئة: خطف الشيخ عبيد، زعيم حزب الله من جنوب لبنان. وكان هناك سببان لاختيار هذا الهدف:

- للتأكيد على أن عملية الاختطاف لن تبقى حكراً على طرف واحد.

- للضغط على حزب الله لإطلاق سراح الجنديين رحميم الشيخ، ويوسف فينك، اللذين تم اختطافهما إبان قيامهما بدورية في منطقة الحزام الأمني في جنوب لبنان.

كان براك يؤمن بأن اختطاف الشيخ عبيد سيكشف معلومات مهمة حول مصير الملاح الإسرائيلي المفقود رون اراد. لقد فتش براك-منذ إسقاط طائرة أراد في جنوب لبنان، في تشرين الأول ١٩٨٦، جميع الطرق الممكنة على الصعيدين السياسي والاستخباري، للحصول على معلومات عمّا آل إليه مصيره.

وعندما بدأ ملف عبيد في التبلور، بات براك واثقا من أن بمقدوره تقديم معلومات حول مكان وجود اراد، مما قد يتيح الفرصة للقيام بعملية كوماندو جريئة لتخليصه.

وفي السابع والعشرين من تموز، تم إنزال قوة مختارة من دورية هيئة الأركان بالقرب من بلدة جبشيت باستخدام طائرات الهيلوكبتر، حيث وصل جنود هذه القوة إلى منزل الشيخ المحاط بالآلاف من الشيعة واختطفوه من سريره.

وقبيل الفجر عادت القوة إلى إسرائيل، بيد أن حجم النجاح كان بحجم الأمل، فقد رفض حزب الله حتى مجرد التفاوض حول إطلاق سراح الشيخ.

وبعد خمس سنوات من ذلك التاريخ، وبوصفه رئيسا للأركان، كان براك الرأس المخطط لعملية خطف أخرى من حركة أمل وهو (مصطفى ديراني)، وهي المنظمة التي كانت تحتفظ (برون أراد) اثر وقوعه في الأسر، تم(باعته) لحزب الله.

ولا شك، أن عمليتي الاختطاف أشارتا بوضوح إلى طبيعة الرجل الذي وقف وراءهما: جريء عملي، ومفاجئ في المكان الذي لا يتوقعه إنسان.

لقد عززت الانتفاضة، واشتداد ساعدها، مكانة وحدتي المستعربين اللتين تم تشكيلهما: دوفدفان في الضفة الغربية، وشمشون في قطاع غزة.

كان التعاون بين ايهود ويعقوب بيري وطيدا جدا، فقد أعرب بيري عن تذمره من توفر المعلومات الاستخبارية، وفي نفس الوقت عدم توفر القوة

المنفذة، فتعهد براك بتوفير هذه القـوة، وقـام بمطالبـة رؤسـاء الوحـدات العسـكرية بإعداد قوائم بأسماء الضباط المتميزين، واسـتدعاهم إلـى مكتبـه لإقناعـهم بالخدمـة لمدة سنة في إطار وحدتي شمشـون ودوفدفـان.

لقد أذهل براك جـهاز الأمـن العـام بسـرعة التنفيـذ، ففـي الكثـير مـن الأحيان لم تمـض سـاعات معـدودة، علـى وصـول المعلومـة، حتـى يكـون الشـخص المطلوب معتقـلاً.

وفي الكثير مـن الاحيـان، كـان رئيـس الأركـان ونائبـه يصطدمـان مـع الوزراء، على أرضية إجراءات فتـح النـار فـي عـهد الانتفاضـة. وقـد قـاد هـذه الحملة الوزارية، (رفـائيل ايتـان) و(رحبعـام زئيفـي) و(يوفـال نئمـان)، وأحيانـا ارئيل شـارون.

رفائيل: يجب أن تطلقوا عليهم النار، مثلما تطلقون النـار علـى الكـلاب.

زئيفي: يجب فتح النار على كل من يرشـق حجـراً.

براك: هناك قوانين، هناك إجراءات متشددة لإطلاق النار، ونحـن سـنعمل وفقـاً لـها.

رفائيل: في الحروب لا توجد قواعد، مـا هـذا الكـلام الـذي أسـمعه عـن إجـراءات وقواعد فتح النـار؟

براك: نحن لا نفتش عن إغراق مدن الضفة وغزة بـالقتلى، بـل نفتـش عـن أسـاليب للردع والقتل، لكن وبوضوح، ليس القتـل دون ضـرورة.

زئيفي: يجب استخدام النيران الحية، هذا هو الأسلوب الوحيـد الـذي يفهمونـه.

ايتان: يجب محو قرى كاملة من قـرى المتظـاهرين والمحرضيـن.

رحبعام زئيفي: يجب طرد كل المحرضين، لا يوجد حل افضـل مـن الترانسـفير.

براك: مرة أخرى، الجيش لن يفعل أي شـيء يخـالف القـانون.

الفصل السابع عشر

حرب رئاسة الأركان

تولى مهام الاستعدادات لمواجهة الصواريخ العراقية

بدأت التحركات في هيئـــة الأركـــان فـــي الأول مـــن نيســـان ١٩٩٠ توطئـــة لخوض الصراع حول تعيين رئيس هيئة الأركـــان، حيـــث لـــم يبـــق لـــدان شـــومرون سوى سنة واحدة في هذا المنصب. وقد اعتبر ثلاثـــة ضبـــاط أنفســـهم، مرشـــحين لـــهذا المنصب: نائب رئيس الأركان ايـــهود بـــراك، ورئيـــس شـــعبة الاســـتخبارات امنـــون شاحك، وقائد القطاع الشمالي: يوسي بيلد، والذي كـــان يحظـــى بتـــأييد رفـــائيل ايتـــان، ونشطاء من الليكـــود.

كان ايهود براك مقتنعاً بأن هذا المنصب مـــن نصيبـــه، بيـــد أن زلـــزالاً وقـــع في الحكومة قبل أسبوعين مـــن عمليـــة التعييـــن. فقـــد عمـــل وزيـــر الماليـــة والقـــائم بأعمال رئيس الحكومة شمعون بيرس على (تفجير) حكومـــة الليكـــود الوطنيـــة، حيـــث عمد إلى تجنيد أعضاء الكنيســـت مـــن حزبـــي (شـــاس) و"أجـــودات إســـرائيل"، فـــي محاولة للإطاحة باسحق شامير. واستقال جميـــع وزراء حـــزب العمـــل مـــن الحكومـــة واستقال معهم وزير الدفاع اسحق رابين، رغم تحفظه علـــى خطـــوات بـــيرس.

كانت الضربة شديدة الوطء علـــى ايـــهود بـــراك، فرابيـــن لـــم يكـــن يخفـــي محبته لنائب رئيس الأركان، لقد استمرت علاقتـــهما زمنـــا طويـــلا. وكذلـــك لقاءاتـــهما التي كان قسم منها يجري في منزل وزير الدفـــاع، لقـــد كـــانت العلاقـــة القائمـــة أكـــبر بكثير من العلاقة التي تنشأ بين وزير دفاع، ونائب رئيـــس أركـــان. لقـــد الـــتزم رابيـــن قبل ثلاث سنوات، أمام براك، بأن يتم تعيينه الرئيـــس القـــادم للأركـــان، أمـــا الآن فقـــد اصبح براك يخشى من عدم تحقق هـــذا الوعـــد.

لقد كان يعلم تماما بـــالوضع السياســـي، وتنبـــأ حدســـه بـــأن خطـــوة بـــيرس ستكون وبالاء وهذا مـــــا حـــدث ففـــي حزيـــران ١٩٩٠، نجـــح شـــامير فـــي تشـــكيل الحكومة دون حزب العمل، وكان أسوأ بشرى بالنسبة لـــــبراك، تعييـــن موشـــيه آرنـــس وزيرا للدفاع. لقد كان لارنس حساب طويل مع ايهود، فهو لـــم ينـــس أنـــه كـــان أكـــبر شخصية أسهمت في حفظ وإحباط مشروع طـــائرة(هليفـــي).

قائد القطاع الشمالي (يوسي بيلد)- الذي لم يكـــن فـــي عـــهد رابيـــن مرشـــحا حقيقيـــا لمنصـــب رئيـــس الأركـــان، أخـــذ الان يزاحمـــه علـــى المنصـــب. وشـــكل

بيلد(لوبي) ترأسه رفائيل ايتان، الـذي أوضـح لآرنـس، أن بـراك اندفـع أكـثر ممـا ينبغي، وانه يتمتع بتجربة ضحلة، على صعيـد المنصـب.

لقد فاجأ آرنس، براك فـهو لـم يتطـرق خـلال أول حديـث بينـهما، إلـى طائرة(هليفي)، بل طلب منه أن يقدم إليـه تقريـراً للوضـع، كـي يكـون ملمـاً حـال تسلمه لمنصبه كوزير للدفـاع.

وفي تشـرين الثـاني، اتصلـت إحـدى موظفـات مكتـب (عزرائيـل بنـو) السكرتير العسكري لرئيس الحكومة، بمكتب ايهود، بيد أنها لـم تجـده هنـاك، فـتركت له رسالة مفادها:" رئيس الحكومة يرغب في رؤيـة نـائب رئيـس الأركـان، السـاعة الخامسة مساء، بيد أن الموظفة فـي مكتـب بـراك سـجلت أن اللقـاء سـيكون فـي الساعة السابعة بدلاً من الخامسة، أي بتـأخير سـاعتين.

وفي حوالي الساعة الرابعة والنصف اتصل(عزرائيـل بنـو) برئيـس مكتـب براك(يوني كيرن) وقال له: ماذا تفعلون في تل أبيـب، بعـد نصـف سـاعة يجـب أن يجتمع رئيس الحكومة ببراك. وبعد دقيقتين، كـان بـراك ينـهب الأرض بسـيارته فـي طريقه على القـدس.

استقبله شامير بود-وقال:" ايهود، كيـف حـالك؟ تعـال واجلـس، هـل تـود شرب شيء ما؟؟ أدرك شامير أن ايـهود متوتـر، وقـرر إفـراغ ذلـك التوتـر مـرة واحدة فقال:" لقد قررنا أن تكون أنـت رئيـس الأركـان القـادم، الحكومـة سـتصادق على ذلك خلال الأسبوع القادم، تـهنئتي، وبالنجـاح".

وحال خروجه من مكتب رئيس الحكومة، قال ليونـي كـيرن: أخـرج ورقـة واكتب:" يسمح لكل شـخص أن يرتكـب خطـأ واحـداً فقـط". وكـان يقصـد بذلـك الموظفة في مكتبه التي كادت تخرب الزيـارة لرئيـس الحكومـة.

بدأ ايهود يفتش عن زوجته بالهاتف، كـي تكـون أول مـن يعـرف بـالتعيين، ثم توجه الاثنان إلى أبو غوش لتناول وجبة حمص ومعهما اللـواء (دانـي يتـوم).

طلب ايهود من كيرن أن يحتفظ بالسر، بيد أنه لم تمض ساعة، حتى أذاع التليفزيون النبأ، لقد تسرب السر من رئيس الأركان دان شومرون، الذي توجه إلى مكتب ايهود، وهنأ الموظفين هناك.

وقد علم براك، فيما بعد، أن آرنس عينه رئيسا للأركان بتوصية من اسحق رابين الذي كان آنذاك في المعارضة، وقد تجاهل آرنس جميع ضغوط اليمين الإسرائيلي، الذي قال أن ايهود يؤيد حزب العمل، وأن تعيينه سيكون بمثابة إحراز هدف ذاتي من قبل الليكود.

وقد صافحه جميع الوزراء في أعقاب المصادقة على القرار، في حين أرسل إليه رفائيل ايتان بطاقة كتب فيها:" ايهود ... مباشرة أقول لك أنني كنت أعارض تعيينك لأنني اعتقد أنك لم تشغل وظائف عسكرية بما فيه الكفاية، وأنك تفتقر إلى المعرفة في مجال الانضباط والإدارة وأتمنى أن أكون مخطئا".

حرب الخليج الثانية

فاجأ الجيش العراقي العالم كله في الثاني من آب ١٩٩٠، باحتلاله الكويت في ساعات معدودة، وفي خطاب الانتصار قال (صدام حسين): "أنه إذا ما حاولت الولايات المتحدة التدخل في النزاع (العائلي) في الخليج، فإنه سيقوم بإحراق (تل أبيب) بصواريخ سكاد التي يملكها".

لم تكن المفاجأة في الجيش الإسرائيلي كبيرة، فقبل عدة أيام من الاجتياح العراقي، قدمت شعبة الاستخبارات العسكرية تقديرا للوضع، للحكومة، جاء فيه "أن هناك احتمالا كبيرا لأن يجتاح الجيش العراقي الكويت".

قرر شامير عدم إجراء التعديلات الجديدة في الجيش حاليا إزاء أحداث العراق.

ومن الجدير بالذكر، أن براك بذل جهودا كبيرة إبان توليه منصب رئيس شعبة الأركان، لحل المعضلة العراقية، وحينما تولى(أمنون شاحك) رئاسة الشعبة تابع نفس الاتجاه.

بدأت الاتصالات بين الولايات المتحدة وإسرائيل في أعقاب الاجتياح. وتناسى الطرفان الأزمة التي نشبت بينهما، على أرضية رفض إسرائيل مبادرة وزير الخارجية الأميركي. كانت الاتصالات بين الدولتين ناجعة جدا، وقد قام بتنسيق هذه الاتصالات (ديفيد عفري) مدير عام وزارة الدفاع، وتم الإعلان عن حالة الاستعداد القصوى في هيئة الأركان، وأخذت شعبة العراق في الاستخبارات تعمل بمعدل أربع وعشرين ساعة يوميا، والأقمار الصناعية الأميركية، توفر المعلومات اللازمة، وكلف رئيس الأركان (دان شومرون)، ايهود براك، بالإشراف على حالة الاستعداد القصوى.

وفي أعقاب الاجتياح العراقي للكويت، قدمت شعبة الاستخبارات تقديم وضع أفادت فيه أن من المحتمل أن يطلق صدام حسين الصواريخ على إسرائيل.

وقال نائب رئيس الأركان أن العراق قد يطلق صواريخ سكاد من منطقة (إتش-٣)، غربي العراق. وأن كل صاروخ عراقي تقليدي، قد يسفر عن سقوط حوالي عشرة إسرائيليين، إضافة إلى الأضرار المادية الجسيمة، ومن المتوقع إطلاق عشرات الصواريخ على إسرائيل.

كانت الصواريخ العراقية تقلق براك بصورة لا تقل عما كان يقلقه سلاح الجو العراقي. وفي إحدى جلسات هيئة الأركان تساءل: ما الذي كان سيصبح عليه الوضع لو أن صدام حسين اجتاح بدباباته الأردن، بدلا من الكويت؟ وكانت التقديرات الأميركية تفيد بأن لدى العراق مالا يقل عن ستين فرقة مدرعة، قسم منها مجهز بدبابات تي-٧٢ الروسية.

وكلما اقترب موعد انتهاء الإنذار الذي وجهته الولايات المتحدة للعراق، كلما أفادت الأنباء الاستخبارية بأن العراق يدفع بالمزيد من المنصات الصاروخية والصواريخ إلى الصحراء العراقية الغربية. بيد أن السؤال الذي كان يحتاج إلى إجابة هو: هل يعتزم صدام حسين إطلاق صواريخ تقليدية على إسرائيل أم صواريخ ذات رؤوس كيميائية وبيولوجية؟

شكلت هيئة الأركان طاقما برئاسة ايهود براك وعضوية رئيس شعبة الأركان اللواء (ايهود يتوم) واللواء (دورون روبين)، وضباط رفيعي المستوى في شعبة الاستخبارات، ورئيس شعبة الساحة العراقية العقيد (عموس جلعاد)، وضباط رفيعي المستوى في سلاح الجو وقيادة الجبهة الخلفية.

كانت تقديرات الطاقم، أن لدى العراق أسلحة ورؤوسا صاروخية كيميائية، وقدرة على تطوير أسلحة بيولوجية. ووفقا لهذه التقديرات شرعت وزارة الدفاع في شراء أقنعة واقية من الغازات وتجهيزات أخرى، وأخذت الطائرات الأميركية تفرغ حمولتها من التجهيزات في القواعد الإسرائيلية.

في الثالث عشر من كانون الأول، وفي أوج الاستعدادات توطئة لهجوم أميركي على العراق، وقعت كارثة في قاعدة سلاح الجو (عوفده) القريب من إيلات. فقد تحطمت طائرة خفيفة من طراز (سسنه) بعد إقلاعها مما أسفر عن مقتل أربعة من طياري الهليوكبتر، أباتشي- وضابط عمليات السرب.

لقد اتضح بعد سبع سنوات من اندلاع حرب الخليج، أن ايهود براك أعد خطة تقوم خلالها دورية هيئة الأركان بمهاجمة المنصات الصاروخية العراقية وأهداف أخرى غربي العراق.

كما تم تعيين العميد (أمير نحومي) للإعداد لهجوم جوي في غربي العراق.

بدأت الولايات المتحدة هجومها في السادس عشر من كانون الثاني ١٩٩١، وحينها دخلت إسرائيل في مرحلة الاستعداد لامتصاص الضربات التي قد توجه إليها. ودعا اسحق شامير إلى جلسة طارئة في مكتبه، دعا إليها وزير الدفاع (موشيه آرنس) ورئيس الأركان (دان شومرون)، ونائب رئيس الأركان ايهود براك، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أمنون شاحك، وقائد سلاح الجو (أبيهو بن نون)، وضباطا كبارا آخرين وقد أعلم شامير الحاضرين، بالموقف الإسرائيلي: "لن نكون المبادرين إلى الهجوم، وإذا ما هوجمنا بالصواريخ سنرد". لم يكن براك في حاجة إلى أي تحليلات، فقد كانت التقديرات العسكرية

تؤكد أن العراق سيقصف إسرائيل بالصواريخ، وأن هجومه الصاروخي سيكون أقرب بكثير مما يتوقعون.

وفي الساعة الرابعة ودقيقة، أعلن المراقبون في برج المجمع الحكومي، أنهم شاهدوا صاروخا يمر فوق تل أبيب ويسقط في البحر. لقد كان ذلك الصاروخ في حقيقة الأمر هو صاروخ عراقي لضبط النار. وقد كشفت إحدى الصحف العربية الصادرة في لندن النقاب، عن أن العراق جند فلسطينيا كان على ساحل البحر، وأعلم العراقيين بمكان سقوط الصاروخ كي يضبطوا نيرانهم بصورة أفضل.

سقطت أول مجموعة صواريخ سكاد عراقية على إسرائيل في نفس الليلة، ستة منها في جوش دان، واثنان وجها إلى حيفا، مما أسفر عن إصابة حوالي سبعين شخصا بجراح. لقد حلت لحظة الاختبار الحقيقية، وكان على الحكومة اتخاذ قرار بهذا الصدد، وبدا أن رئيس الأركان ونائبه والطائرات في مدارجها بانتظار هذا القرار.

كانت جلسة الحكومة الطارئة في صبيحة ذلك اليوم صعبة للغاية. وقد أفاد رئيس الأركان بأن الصواريخ التي سقطت كانت تحمل رؤوسا عادية، ولا يوجد أي دليل على إطلاق صواريخ غير تقليدية، كيميائية أو بيولوجية.

دفع الوزيران شارون ورفائيل ايتان باتجاه المبادرة بالرد على القصف، بيد أن الوزير ديفيد ليفي، كان أكثر اعتدالا وحذرا. وقد أيد وزير الدفاع القيام بالرد العسكري، شريطة أن يتم بالتنسيق مع الأميركيين.

لاحظ ايهود براك، أن السكرتير العسكري لشامير أعطاه ورقة صغيرة، وبعد أن قرأها شامير، غادر قاعة الجلسة دون أن يقول شيئا. لقد كان الرئيس الأميركي (جورج بوش) على الطرف الآخر من سماعة الهاتف. وقد أعرب بوش عن أسفه العميق على المصابين الإسرائيليين، وكاد أن يتوسل لشامير قائلا: لا تردوا، اضبطوا أنفسكم، لأن أي رد إسرائيلي، سيؤدي إلى حل الائتلاف

العسكري الأميركي، أتيحوا لنا الفرصة للعمل، وسوف نعالج نحن قضية الصواريخ".

عاد شامير إلى الجلسة، ولم يعلم الوزراء بما دار بينه وبين بوش، بيد أنه أنهى الجلسة قائلا: إذا كانت هناك ضرورة ، سنعقد جلسة أخرى اليوم.

تواصل سقوط الصواريخ على إسرائيل رغم الوعود التي قدمها الرئيس الأميركي. ورغم التقارير التي قدمها الطيارون الأميركيون والبريطانيون حول دقة الإصابات التي أوقعوها بالمنصات الصاروخية العراقية.

سافر نائب رئيس الأركان ايهود براك في الحادي والعشرين من كانون الثاني إلى واشنطن سرا، للاجتماع بوزير الدفاع ورئيس الأركان الأميركي، وقد نقل إليهما رسالة واضحة تقول أن إسرائيل لا تستطيع ضبط نفسها أكثر من ذلك.

توجه براك إلى الولايات المتحدة متخفيا في صورة رجل أعمال، وقد كان التنكر دقيقا إلى الدرجة التي صعب على مدير مكتبه التعرف عليه في البداية، وعرض براك على القيادة العسكرية الأميركية خطة أعدتها هيئة الأركان الإسرائيلية لمهاجمة المنصات الصاروخية العراقية، وقال: "إننا نقدر الجهد الذي يبذله الطيارون الأميركيون والبريطانيون بيد أن لدى طيارينا اعتقادا بأنهم قادرون على عمل ذلك بصورة أفضل.

وعد وزير الدفاع الأميركي، بنقل الطلب إلى الرئيس الأميركي، وطلب من إسرائيل ضبط نفسها حتى يأتي رد الرئيس. عاد براك في نفس اليوم إلى إسرائيل، حاملا معه الرد الأميركي القائل بأن الولايات المتحدة تعد بتعزيز جهودها ضد الصواريخ العراقية، وبإرسال بطاريات أخرى من صاروخ (باتريوت) إلى إسرائيل، بيد أن الأميركيين لم يتفهموا الاحتياجات الأمنية الإسرائيلية، مما أبقى المطلب الإسرائيلي قائما على جدول الأعمال.

وبعد عدة أيام، توجه رئيس الحكومة ونائب رئيس الأركان، لإجراء لقاء مع (الملك الحسين) في لندن، وقد جرى اللقاء في فيلا الملك في حي كينسنجتون،

لقد تم الكشف عن هذا اللقاء، لأول مرة، في المذكرات التي كتبها رئيس الحكومة اسحق شامير. وقد استقبلهما الملك بحرارة بالغة، ولم يخف قلقه من النتائج التي قد تتمخض عنها حرب الخليج. وقد عرض شامير أمامه، أهداف اللقاء قائلا:" نحن على وشك مهاجمة العراق، ونريد من الأردن ألا يتدخل". وعرض شامير على الملك خرائط تنفيذية، وقد وضعت عليها اسهم تشير إلى غربي العراق، وكانت الأسهم تمر فوق المجال الجوي الأردني. وبوصفه طيارا قديما، أدرك الملك الحسين ما الذي يقصده شامير.

حافظ شامير وبراك على لهجة هادئة وهما يوضحان له إلى أي حد يحترمانه ويقدرانه: هناك خياران للهجوم أمام إسرائيل، الأولى عبر المجال الجوي السعودي، والثاني-المفضل- عبر المجال الجوي الأردني"، كانت أيدي الملك الحسين تتجول على الخارطة، وعقله يدرك تماما إلى أين تتجه.

*براك: "أرجو أن تأمر طياريك بألا يتدخلوا، فنحن لسنا معنيين باعتراض الطائرات الأردنية".

لم يعط الملك الحسين ردا واضحا، بيد أن اللقاء انتهى بإحساس، أن الملك يدرك أن لا خيار لديه، لقد نقلت إسرائيل إليه الرسالة التي أرادت نقلها.

وفي السابع والعشرين من كانون الثاني، أقلع براك مرة أخرى إلى الولايات المتحدة. وكانت إسرائيل قد تلقت في الليلة الماضية، أثقل هجمة صاروخية عراقية، وقد سقط أحد صواريخ سكاد في وسط (رمات جان) مما أدى إلى إصابة العشرات بجراح، وتدمير حوالي ألف شقة تدميرا شاملا، وقد صاحبه وزير الدفاع موشيه آرنس ومدير عام وزارة الدفاع، ديفيد عفري، ورئيس مكتب الوزير (يرمي اولمرط).

كان وزير الدفاع الأميركي، ورئيس هيئة الأركان المشتركة (باول) بانتظارهم في المطار، وهم على علم تام بالمزاج السائد في أوساط الجهاز الأمني

الإسرائيلي، وكانوا يدركون أن إسرائيل اتخذت قرارا بشن هجوم على العراق، لذا استدعوا على عجل كبار مسؤولي وزارة الدفاع الأميركية للتشاور.

كانت الحكومة الإسرائيلية، قد عقدت اجتماعا طارئا قبل توجه آرنس وبراك وحاشيتهما إلى الولايات المتحدة، وقد غير وزير الدفاع موشيه آرنس رأيه في ضرورة ضبط النفس، وعدم الهجوم على العراق. كما طرحت خطة الهجوم التي أعدها اللواء (دورون روبين).

لم يبد ايهود براك مرتاحا من العملية، فقد كان يدرك أن العملية جيدة، بيد أن تنفيذها يرتبط بسقوط عدد كبير جدا من الضحايا.وقد أدى طرح الخطة إلى توفير الأجواء بين روبين وبراك، الذي كان آنذاك، قد بدأ بتركيب هيئة الأركان مما حدا ببراك، لاتخاذ قرار باستبعاد روبين من تركيبته.

بدا براك مقطب الوجه، خلال اللقاء مع وزير الدفاع الأميركي ورئيس هيئة أركانه، وقال: "لقد تحملنا بصمت، وضبطنا أعصابنا، ولا نستطيع مواصلة هذا الوضع، بعد الآن، لن تستطيعوا وقفنا".

دخل يرمي أولمرط، خلال الحوار، وسلم آرنس ورقة، لقد تلقت إسرائيل أثناء الحديث موجة صواريخ أخرى، وقد سقطت على بعد قليل من سكن وزير الدفاع.

استأذن آرنس، وتحدث هاتفيا مع زوجته، التي قالت له أن المنزل أصيب، بيد أنها والأولاد بخير، وتحافظ على معنوياتها.

طلب رئيس الأركان الأميركي التحدث مع براك على انفراد كجندي مقابل جندي، وأوضح له وجهة النظر الأميركية.

كان الاثنان يعرفان، أحدهما الآخر، فعندما كان براك رئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية كان (باول) سكرتيرا عسكريا لوزير الدفاع (كاسبر واينبيرجر).

وفي الكتاب الذي ألفه (كولني باول) حول حرب الخليج وصف بإسهاب اللقاء آنف الذكر فقال: "فتح ايهود خارطة العراق على الطاولة أمامنا وأشار إلى

غربي العراق، وهي المنطقة التي كانت تنطلق منها الصواريخ على إسرائيل- وعرض أمامي خطة الجيش الإسرائيلي، والتي تتضمن الدمج بين الهجوم الجوي والبري على المنطقة وفي عمق الصحراء العراقية "كانت الخطة جريئة جدا، بيد أنها كانت مدمرة تماما للائتلاف العسكري الأميركي في المنطقة". "طلبت التحدث مع ايهود على انفراد كجندي إلى جندي، وتوجهنا أنا وهو إلى مكتبي".

براك: "الهجمات الصاروخية تدمر معنويات الإسرائيليين، ونحن لا نستطيع ضبط أنفسنا أكثر من ذلك. يجب عليكم تفهمنا، وعدم الحيلولة دون قيامنا بالعملية".

باول: أنت تعرف أن تدمير الصواريخ هو أحد أهدافنا، ونحن نعمل بهذا الاتجاه، وقد بعثنا اليكم ببطاريات صواريخ باتريوت لاعتراض صواريخ سكاد".

براك: "نحن نقدر ذلك جيدا، بيد أن صواريخ باتريوت غير مجدية، وليس أدل على ذلك من أن صواريخ سكاد لا زالت تسقط على إسرائيل. ومن الصعب أن تتفهم إسرائيل أن تقوم أي جهة بالدفاع عن أمنها، والجماهير الإسرائيلية تتوقع من الجيش الإسرائيلي أن يقدم الحلول لذلك، ونحن لا نرغب في أن يتم إسقاط طيارين أميركيين وبريطانيين في المهمة التي يتوجب علينا نحن تنفيذها".

باول: "جنرال براك، يجب عليكم أن تتفهمونا إذا ما قمتم أنتم بالعمل، فإن الائتلاف العسكري الهش الذي أقمناه، سيتحلل."

براك: "إذا لم نبدأ العمل، وتدمر الصواريخ، فإن من المحتمل أن يستخدمها صدام حسين لإطلاق رؤوس كيميائية وبيولوجية على إسرائيل عندما يبدأ الهجوم البري الأميركي، وإذا ما حدث ذلك، فإنك تعرف ما الذي يتوجب علينا عمله".

باول: لا شك أنني أعرف ما تقصده".

ومن الجدير بالذكر، أن باول قال في كتابه: "كنت على علم بأن هناك طواقم صواريخ إسرائيليا موجودا في حالة تأهب تنفيذي، ومن يعرف ما هية الرؤوس التي كانت هذه الصواريخ تحملها".

براك:"هناك قوة تنفيذية جوية وبرية إسرائيلية على أهبة الاستعداد للعمل ضد الصواريخ العراقية، وستجتاز طائراتنا وهي في طريقها إلى العراق المجالين الجويين الأردني والسعودي، والملك الحسين يعلم بذلك".

باول: "أعلمني الجنرال(شوار تسكوف)- قائد القوات في الخليج- أن السعودية تعارض بشدة، عبور الطائرات الإسرائيلية المجال الجوي السعودي".

براك: "لقد نجحت إسرائيل، حتى الآن، في البقاء نظرا لأننا نعرف كيف نرد، ونشن الحرب كلما تعرضت إسرائيل لخطر على وجودها. ولا شك أن رئيس الحكومة ووزير الدفاع، سيقولان لك نفس الكلام، نحن سنبادر إلى العمل إذا ما تواصل سقوط الصواريخ علينا".

حاول باول تهدئة روع براك، وكشف له النقاب عن أن القوات الأميركية الخاصة (قوات دلتا) وقوة خاصة بريطانية (اس ايه اس) انضمتا إلى الجهد الخاص بتدمير الصواريخ، وتحدث عن الالتزام الأميركي العميق تجاه الأمن الإسرائيلي، وأهاب ببراك قائلا : "دعونا نكمل المهمة".

وعد براك بنقل أقواله إلى وزير الدفاع ورئيس الحكومة، بيد أنه رفض الالتزام بعدم رد إسرائيل على الهجمات الصاروخية العراقية.

وفيما كان الطاقم الإسرائيلي يستعد للعودة إلى إسرائيل، طلب وزير الدفاع الأميركي أن يرافقوه إلى لقاء لم يجر الإعداد له مع الرئيس الأميركي، الذي طلب التحدث إليهم.

كان الرئيس الأميركي يعلم بسقوط صاروخ عراقي قرب منزل آرنس، وقد استهل الحديث قائلا: "يجب أن تعرفوا أن قلبي وقلب الشعب الأميركي معكم، أنا لم أشعر طيلة حياتي بالإلتزام بأمن إسرائيل، مثلما أشعر بذلك الآن".

استعرض الرئيس الأميركي الجهود التنفيذية التي تقوم بها القوات المتحالفة في الخليج، وقال: لقد بات الهجوم البري وشيكا. وقال: أنه أمر قائد القوات في الخليج أن يعطي الأولوية لتدمير الصواريخ العراقية غربي العراق.

نقل (موشيه آرنس) أقوال الرئيس لاسحق شامير، الذي قرر الاستجابة لطلب بوش، وهكذا واصلت إسرائيل ضبط نفسها.

وقبل انتهاء المعارك توجه براك مرة أخرى بيد أن وجهته هذه المرة كانت بروكسل، وبصحبته رئيس شعبة الأركان داني يتوم، ورئيس مكتبه (يوني كيرن)، فقد أراد المستشار الألماني هلموت كول أن يشكر إسرائيل على ضبط النفس الذي أبدته.

وقد تم نقل الثلاثة من مطار بروكسل في سيارة تابعة للسفارة الأميركية حتى الحدود الألمانية، ومن هناك نقلتهم إحدى السيارات الألمانية إلى العاصمة بون.

بدا المستشار الألماني ودودا جدا، وقد قدم إليه براك تقريرا قصيرا عن الوضع، وكاد كول أن يخرج عن طوره وهو يعرض إمكانية ألمانيا لتقديم المساعدات لإسرائيل، وقد عرض عليه براك احتياجات إسرائيل، وبعد التشاور مع رؤساء الجيش، أعلن كول: "أن ألمانيا سترسل إلى إسرائيل بطارية باتريوت.




الفصل الثامن عشـــــر

ايهود يتسلم القيادة

سعى إلى ترميم الجيش وتشكيل هيئة أركان نمطية

في الأول من نيسان ١٩٩١ ودع الجيش الإسرائيلي رئيس هيئة الأركان السابق دان شومرون، واستقبل الرئيس الجديد ايهود براك.

كان الجيش الإسرائيلي في تلك الآونة، يعاني من مشاكل خطيرة للغاية، خصوصا على صعيد صورته ومعنوياته. فالانتفاضة التي كانت لا تزال متواصلة، منذ ثلاث سنوات ونصف السنة دمرت صورته كجيش قادر على فعل كل شيء. لقد كشفت المواجهات المستمرة للجيش مع راشقي الحجارة، والملثمين، النقاب عن الارتباك الذي يعيشه الجيش الإسرائيلي والصعوبات التي يواجهها في هذه الحرب الجديدة التي فرضت عليه.

ولم تتوقف وسائل الإعلام العالمية-التي لم تكف عن كيل المديح له، في الستينات والسبعينات-عن مهاجمته، ومهاجمة جنوده الذين، أصبح شغلهم الشاغل مطاردة الصبية في الأزقة والحارات في نابلس والخليل وغزة، وصورته في صورة (دواد) العبري الحديث الذي يواجه (جوليات).

أضف إلى ذلك، أن عدم مبادرته إلى الرد إبان حرب الخليج، رغم عشرات الصواريخ، التي أطلقها العراق على إسرائيل، دمرت قدرة الردع الإسرائيلية. وإزاء توقع الضباط الإسرائيليين ضرورة الرد الإسرائيلي على الهجمات العراقية، فقد حدث شرخ في صورة الجيش الإسرائيلي على الصعيدين الداخلي والخارجي.

أدى تسلم ايهود براك لرئاسة هيئة الأركان وقيادة الجيش، إلى حدوث توقعات واسعة لإحداث تغيير درامي في صفوفه. لقد كان الجيش في أمس الحاجة إلى قفزة نوعية، على صعيد وسائل القتال، والتي أخذت تصبح أغلى رويدا رويدا، فالدبابة الحديثة أصبحت في الآونة الحالية تساوي ثمن طائرة قبل عشرين سنة، فالطائرة الحديثة تساوي في الأونة الحالية مبلغا يتراوح بين ٤٠-٨٠ مليون دولار.

وهكذا، كان على ايهود براك، أن يكرس جهده وعمله لجانبين هامين يسيران جنبا إلى جنب، أولا أن يبني خطة تقليصات مؤلمة ومصيرية على صعيد

النفقات، ومن الناحية الأخرى، كان عليه أن يعمل على تجهيز الجيش بأسلحة حديثة، وتحسين كفاءته القتالية. ورغم أن وسائل الإعلام أكثرت، في تلك الآونة، من الحديث عن مقولة تنسب لبراك: "جيش صغير وذكي"، إلا أنه لم يطلق أي تصريح بهذا الصدد أبدا.

لقد أراد براك جيشا كبيرا وقويا وذكيا، بيد أن الموارد الإسرائيلية لم تكن تسمح له بالاحتفاظ بجيش كبير، مما ألزم براك بقصر، مهمته على المهمة الصعبة والمؤلمة.

اختار براك أن يستهل الوضع بصورة غير طبيعية، فعقد اجتماعا لجميع ضباط الجيش الإسرائيلي من رتبة مقدم فما فوق، وليعرض أمامهم المخطط الذي يعتزم تنفيذه. وفي السابع من نيسان ١٩٩١، كان مبنى الثقافة في تل أبيب يغص بهم.

صعد ايهود إلى المنبر، وبدأ يتحدث عن الأهداف، والاختبارات، والانتصارات وحوادث العمل، وحوادث الطرق. وعن الواجب الذي يتحمله القادة في جميع المستويات، والمتمثل في ألا يعود الأبناء الذين ربتهم أمهاتهم حتى سن الثامنة عشرة من الجيش في توابيت، وأعلن في نهاية الاجتماع، عن شن حرب لا هوادة فيها، ضد حوادث العمل والطرق.

وصل ايهود إلى قيادة الجيش على أهبة الاستعداد والجاهزية، كانت الأخيرة التي يحملها في جعبته تغص بالأفكار، كان يرغب أولا، في إعادة الشعور بالفخر والثقة الذاتية إلى الجيش ومعالجة القضايا ذات العلاقة بالحوافز، وكسر ظاهرة الحراس التي تمت في عهد الانتفاضة.

وكانت أولى المهام التي وضعها نصب عينيه هي موقف التساقط من الخدمة الدائمة. لقد كانت هذه الظاهرة خطيرة بصورة خاصة في أوساط قادة الكتائب. فالضباط المتميزون، والذين يعتبرون العمود الفقري للجيش، لم يعودوا يرون أن مستقبلهم يكمن في الخدمة العسكرية.

كان براك يعتقد جازما أنه ودون هؤلاء القـادة، فـإن قـدرة القيـادة والتفكـير المستقبلية في الجيش ستتضرر. توجـه بـراك إلـى هـؤلاء الضبـاط وجلـس معـهم، وتساءل عن سبب عدم رغبتهم في إكمـال الخدمـة؟ لمـاذا لـم يعـد الجيـش يجذبـهم مثلما كان عندما كانوا ضباطا صغـارا؟

واستمع براك إلى شكواهم حول الأجـور، وحـول شـروط الخدمـة، وعـدم توفر السيارات للعودة إلى المنزل أيـام الإجـازات، كمـا أن سـيارات (التنـدر)التـي يستخدمها الضباط تشبه السيارات التي تستخدمها شركة الـهواتف، وهـو الأمـر الـذي يشـعرهم بالمهانـة إلـى حـد مـا. وتحـدث معظمـهم عـن الدراسـة، وعـن المسـتقبل المشـرق في الحياة المدنية التي يتوفـر فيـها قـدر أكـبر مـن المـال، والشـروط الأفضل والكماليـات.

وقد أدت المحادثات التي أجراهـا بـراك إلـى بلـورة خطـة "أفـق" والتـي تسمح للضابط بالتوجه إلى الدراسـة الأكاديميـة، فـي أي وقـت يشـاء، فـي إطـار الخدمة الدائمة، وقد جاءت الردود على هذه الخطـة ممتـازة.

أدت الاتصالات المباشرة والوديـة جـدا، بيـن رئيـس الأركـان والضبـاط الميدانيين، أكثر من مرة إلى توتر مع قادة هيئة الأركـان العامـة. ولـم يحبـوا بشـكل خاص، التقارير التي كان يقدمها خـلال جلسـات هيئـة الأركـان حـول الاتصـالات التي يجريها مع قادة الكتـائب.

وفي إحدى جلسـات هيئـة الأركـان، سـمع ضـابطين برتبـة لـواء يقـول أحدهما للآخر: لماذا يريد ضباطا برتبة لواء في هيئة الأركـان مـا دام يصغـي طيلـة الوقت لقادة الكتائب؟ فأوقف الحديث وقال لهما: مـن لا يصغـي للكـادر الميدانـي لـن يكون بأي حال قائدا للواء أو لفرقة في الجيـش الإسـرائيلي ولا لـدي.

وفي أول مقابلة مع وسائل الإعـلام، أعلـن بـراك عـن تقليصـات حاسـمة، بسبب مشاكل الميزانية. ونسبت إليه إحدى الصحف قولـه: "كـل مـا لا يطلـق النـار سيقلص"، بيد أنه اضطر في بعض الحالات إلى أحـداث تقليـص أيضـا فـي الوحـدات التي تطلق النار، فقد أمر بإيقاف أحـد الأسـراب الجويـة العاملـة وتقليـص سـاعات

الطلعات الجوية في سلاح الجو، مما أثار جدلا حاميا بينه وبين قائد سلاح الجو، اللواء ابيهو بن نون، كما ثار جدل بينه وبين قائد المدرعات أيضا، حول حل لواء مدرعات نظامي.

وكانت أمام ناظريه في مجال التقليصات أيضا، إذاعة الجيش الإسرائيلي، حيث قال: أنه لا ضرورة لتفعيل إذاعة عسكرية، لا تعمل في الشؤون العسكرية، فهو لم يحب منظر الجنود والضباط العاملين في الإذاعة، وهم يجرون مقابلات ببزاتهم الرسمية مع الوزراء. وقال لمنتقديه: "لا أستطيع إجراء تقليصات في الوحدات العسكرية العاملة، وعدم المساس بالإذاعة".

لقد مني براك في عملية التقليص الآخر للإذاعة العسكرية، بخسارة كبيرة، فقد هب مراسلوها لمواجهته، ووصفت محاولته بأنها مساس بحرية التعبير، وأثاروا الدنيا، ولجأوا إلى الوزراء والسياسيين، الذين هاجموا بغالبيتهم براك، وعندما أخذ وزير الدفاع موشيه آرنس يبدي ترددا، أدرك براك أن فرصته أصبحت ضئيلة.

لقد كان هذا أول درس له في السياسة الإسرائيلية، وليس الأخير.

قامت عاصفة أخرى ضد براك حينما حاول إنهاء خدمة اللواء (دورون رابين)، فقد قال له: حسب تقديراته، لن يتم تعيينه قائدا لأحد القطاعات، وأنه يترك له قرار إنهاء خدمته في الوقت الذي يراه مناسبا.

ويقال، أن أيهود لم يكن راضيا عن تصرف دورون، إبان عملية (النعيمة) الفاشلة عام ١٩٨٨، وكذلك عن الخطة التي وضعها للهجوم على العراق.

ورغم أن تقديرات براك، بهذا الصدد، كانت مهنية بحتة، إلا أن كبار الضباط فهموها على أنها محاولة لبناء هيئة أركان تقوم على خريجي دورية هيئة الأركان أمثال: داني يتوم، عوزي ديان، وعميرام لافين، ونحاميا تماري، وشاؤول موفاز، ويعلون وغيرهم.

لقد أكدت قضية دورون لكبار الضباط في هيئة الأركان، أن هناك عهدا جديدا منذ تولي براك رئاسة الأركان، يختلف عن عهد دان شومرون. وكان الضباط قد اعتادوا أن يؤموا جلسات هيئات الأركان وبأيديهم أوراق أعدوها وسجلوا عليها الأمور والقضايا التي يودون مناقشتها. بيد أنهم فوجئوا، حينما جاءوا لحضور الجلسة بعد تولي براك، بسكرتيره العسكري، يطلب منهم إبقاء الأوراق في الخارج. وعلى الطاولة، وجد كل منهم قلما وورقة للكتابة وجدولا محددا للنقاشات التي ستدور، وكان براك يدير الجلسات بشدة. وعندما يسهب أي ضابط فيما يجب عليه أن يوجز، لم يكن براك يتورع عن لفت نظره لذلك، ومقاطعته قائلا: فهمت، التزم بالقضية الرئيسية. وفي الكثير من الأحيان، عندما كان يرى أن ضباطا يتبادلون فيما بينهم أوراقا تحمل ملاحظات، كان يمسك بها ويمزقها ويلقي بها إلى سلة القمامة وسط دهشة الضباط.

ويقول أحد الضباط من أصدقاء براك القدامى: "لقد طلب منا ذات مرة، أن نستأذن منه إذا أردنا الذهاب إلى دورة المياه أثناء الجلسات !

وذات مرة انتظر صديقه الحميم داني يتوم حتى انتهت الجلسة، وقال له: "لقد بالغت جدا".

وبوصفه، سكرتيرا عسكريا لوزيري الدفاع آرنس ورابين، حضر يتوم جميع جلسات هيئة الأركان العامة، ورأى ايهود براك في خطواته الأولى والتي لم تكن دائما مفهومة لكبار الضباط في هيئة الأركان العامة، ولاحظ كيف بدأ الجيش يتحول من الليبرالية التي شهدها في عهد دان شومرون إلى عهد ايهود براك المبرمج، والذي بدا في الكثير من الأحيان يحلق إلى ما خلف الأفق، ويجد صعوبة في فهم كيف لا يستطيع أعضاء هيئة الأركان تفهمه فورا.

وشهد يتوم أيضا، أول مواجهة بين وزير الدفاع موشيه آرنس، ورئيس الأركان ايهود براك. فبعد إحدى العمليات ضد إسرائيل قدم آرنس إلى المنطقة، ونشب بينه وبين ايهود نزاع حول عدم سماح ايهود للمستوطنين بإقامة مستوطنة جديدة محل العملية.

ولم يتمكن براك من تشكيل هيئة أركان الأحــلام التــي كــان يتمناهــا إلا فــي السنة الثالثة لتوليه رئاسة الأركان والتــي ضمــت: مظلييــن، ودوريــة هيئــة أركــان، وسلاح الجو ولواء جولانــي.

أما خريجو دورية هيئة الأركان فكــانوا (عــوزي ديــان)، (عمــيرام لافيــن)، (نحاميا تماري)، (داني يتــوم). وممثلــو المظلييــن كــانوا (أمنــون ليفكيــن شــاحك)، (متان فلنائي)، و(يورام يائير)، و(شــاؤول موفــاز)، و(شــموئيل أراد). وكــان هنــاك ثلاثة ألوية من سلاح الجــو: (هرتســل بودينجــر)، و(ران جــوران)، و(جيــورا رام). أمــا لــواء جولانــي فأرســل إلــى هيئــة الأركــان (أوري ســاغي) رئيســا لشــعبة الاســتخبارات العسكرية، و(إيــلان بــيران) قــائدا للقطــاع الأوســـط، و(جــابي أوفير) قائدا لمنطقة الضفة الغربية. وانضم إلى هيئــة الأركــان فيمــا بعــد موشــــيه يعلون من المظلييــن.

كانت العلاقات بين براك ونائبه امنون شاحك جيــدة، بصــورة عامــة، رغــم محاولات البعض دق اسفين بينهما، فقد منحه براك تــأييده طيلــة فــترة عملــهما معــا. أضف إلى ذلك، كان براك على عكس طبيعته يولي الكثــير مــن الاهتمــام لمــا يقولــه نائبه خلال الجلســات.

وبوصفــه رئيســا للأركــان أدار بــراك خطــة التســلح المســتقبلية للجيــش الإسرائيلي، وفي بعض الأحيان قادته هذه الخطة إلــى مواجــهات مــع أعضــاء هيئــة الأركان. وقد وقعت أشد هذه الخلافات مــع قــائد ســلاح البحريــة، اللــواء ميخــارام. فقد قال براك أن على الجيش الإســرائيلي أن يتجــهز بغواصــات حديثــة، بيــد أن رام عارض ذلك قائلا: يجب أولا أن نتجــهز بــزوارق حربيــة، أمــا الغواصــات فتحتــل المكانة الثانية. فعمد براك إلــى تشــكيل لجنــة لدراســة الوضــع، فــأوصت بالتجــهز بزوارق صواريخ. وقد قبل براك القرار وهــو يتمــيز مــن الغيــظ، بيــد أنــه واصــل البحث عن مصادر تمويل للغواصــات.

وفي إطار سياسة الذراع الطويلة، قاد بــراك النقاشــات حــول خطــة تجــهز سلاح الجو،وكان السلاح لا زال حائرا بيــن طــائرتي (اف-١٨) المحســنة، وطــائرة

(اف-١٥ إي) الحديثة والتي كانت تعتبر أفضل طائرات في العالم. وبالتعاون مع قائد السلاح وجه براك الأمور باتجاه شراء طائرة (اف-١٥ إي) وقد اتضح في مرحلة معينة أن الولايات المتحدة ترفض بيع الطائرات نظرا لاشتمالها على تجهيزات جوية حديثة خاصة بسلاح الجو الأميركي بسبب معارضة الكونغرس للبيع.

بيد أن براك لم يتخل عن الفكرة، وفتش عن فكرة خلاقة، فأرسل إلى الولايات المتحدة بودينجر لتجربة الطائرات المختلفة في مصانعها، كما سافر هو إلى الولايات المتحدة، وطار في طائرة (اف- ١٨) حديثة في إحدى قواعد سلاح الجو الأميركية السرية. وفي نهاية المطاف تم الاتفاق على شراء الطائرات دون أجهزة الرادار، على أن تقوم إسرائيل بتركيب جهاز رادار من إنتاج شركة البيط الإسرائيلية.

الفصل التاسع عشر

براك وحادثة "تسأليم"
أعد خطة لاغتيال الرئيس العراقي
لكن حادثة التدريب لطخت سمعته

بعد فترة وجيزة من تولي (اسحق رابين) منصب وزير الدفاع، وجد ايهود براك نفسه غارقا في خضم كارثة تدريب، ترفض انعكاساتها وأثارها الزوال من أمام ناظريه وناظري الآخرين حتى الان.

وقع الحادث في الخامس من تشرين الثاني ١٩٩٢ في معسكر التدريب(تساليم). ففي حوالي الساعة السادسة صباحا، هبطت في المعسكر طائرتا هيلوكبتر وترجل من الطائرة الأولى- وهي من طراز سيفن، المخصصة لنقل الشخصيات الرفيعة- رئيس هيئة الأركان ايهود براك، ونائبه أمنون شاحك، ورئيس مكتبه بني ليفي، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أوري ساغي ورئيس مكتب رئيس الأركان حاييم مندل شيكد. وترجل من الطائرة الثانية اللواء عميرام لافين، شموئيل أراد رئيس شعبة العمليات في هيئة الأركان، والعقيد(أ) من شعبة العمليات، وقائد دورية هيئة الأركان.

اتجهت الجماعة بسرعة سيرا على الأقدام، باتجاه تلة الرقابة الواقعة على بعد حوالي خمسمائة متر من مكان هبوط الطائرتين. وقد قاد المجموعة عميرام لافين. وهناك وجدوا الرائد(ك) وهو نائب قائد الدورية بانتظارهم. وقد شرح لهم طبيعة المناورة التي سيتم إجراؤها، وقال أن المناورة ستتم، بادئ ذي بدء دون نيران، ثم بعد ذلك باستخدام النيران.

تحدث(ك) مع قائد القوات بجهاز الإرسال، وقال: بدأت المناورة. كانت هناك قوة من مقاتلي الدورية على بعد خمسمائة متر منهم، والتي كان يفترض أن تلعب دور العدو في المناورة.

وفي حوالي الساعة ٦،١٣ سمع صفير ضعيف، ثم صفير اخر، ثم صوت انفجارين الواحد تلو الاخر، وتصاعد سحب دخان صغيرة. لم يستوعب أي من الموجودين طبيعة ما يحدث، وكان (ك) هو أول من استوعب ذلك، فأخذ يصرخ في جهاز الإرسال:" أوقف النار، أوقف النار".

قفز(ك) إلى سـيارة جيب وانطلق بها بأقصى سرعة إلى مكان الانفجارين، ومعه بعض الضباط في حين انطلق البقية ركضا باتجاه مكان الانفجار.

كان (ك) أول من وصل إلى مكان الانفجار، فشاهد خمسة جنود غارقين في دمائهم والى جوارهم عدد آخر من الجرحى، ولاحظ (ك) أن أربعة من الخمسة ميتون، وهم: ملازم أول (العاد شيله)، والرقيب(شيمري شيفرن)، والرقيب أول (أربيه كوهين)، والرقيب (شارون تمير). وبالقرب منهم كان الرقيب أول (عران فيكسلباوم) في طور النزاع.

طلب رئيس الأركان من رئيس مكتبه. التأكد من أنه تم استدعاء طبيب وطاقم طبي فتأكد من أن طبيب الدورية في طريقه إلى القاعدة، وأن طاقما طبيا من قاعدة"تسأليم" المجاورة في طريقه هو الآخر للقاعدة.

شرع الطبيب الذي وصل بعد عدة دقائق مع عدد من الجنود، في محاولة لإنقاذ حياة (فيكسلباوم) دون جدوى، كانت الإصابة الصاروخية مدمرة تماما. لم يكن الجريح في وضع يسمح بنقله إلى طائرة الهيلوكبتر أو إلى المستشفى. أضف إلى ذلك أن الطاقم الطبي كان مجهزا كما يجب، وبذل كل ما في وسعه.

توجه العميد (شموئيل أراد) إلى رئيس الأركان وقال له: أن هناك خمسة قتلى، وخمسة جرحى، وأن جراح بعضهم خطيرة، وطلب أن يعرف فيما إذا كان قد تم إعلام سلاح الجو وشعبة العمليات بذلك، وفيما إذا كانت الطائرات في الطريق إلى المعسكر؟؟ فقال براك: نعم الأمر كما تقول.

في هذه الآونة، وصل إلى المنطقة الطاقم الطبي الذي تم استدعاؤه، وكان يضم طبيبا آخر وممرضين، وتمت معالجة الجرحى بصورة أولية، وإعدادهم للنقل في الطائرة.

براك: أين الطائرات؟؟

مندل: هي في الطريق، ثلاث طائرات، اثنتان من طراز(أنفا) وواحدة من طراز (يسعور).

وفي الساعة ٦:٤٥ وصلت طائرة(أنفا)، بيد أن الطائرة لم تلاحظ الدخان الذي أطلق كعلامة على مكان الهبوط، ومرت من فوق الجنود، الذين اعتقدوا خطأ أن الطائرة هي طائرة رئيس الأركان، يغادر المكان. وقد هبطت الطائرة في المنطقة الجنوبية ، ثم جرى توجيهها بجهاز الاتصالات إلى مكان الحادث. وفي الساعة ٦:٥٥، هبطت الطائرة في مكان الحادث، وهبطت بعدها طائرة أخرى تحمل طاقما طبيا. فتم وضع الجرحى فيهما.

حاول ايهود براك، أن يستوضح كيف وقع الحادث؟؟ فقال له ضباط في دورية هيئة الأركان، أن الضابط النقيب(أ) المسئول عن إطلاق الصواريخ مصاب بصدمة، وهو يجد صعوبة في الكلام، ويقول المرة تلو الأخرى أن عليه أن يطلق الصواريخ، ونسي أن المناورة الأولى دون نيران، وكل ما كان عليه عمله هو أن يتصل ويقول أنه أطلق الصاروخين، وقام بإطلاق الصاروخين فعلا.

أشرقت الشمس على (تساليم)، وأراد براك الاتصال بوزير الدفاع لإعلامه، بيد أنه لم يتمكن من الاتصال به من مكانه، فابتعد هو ورئيس مكتبه عدة عشرات الأمتار، بيد أنه لم يستطع الاتصال.

بدأ توتر براك يزداد، وتساءل: لماذا لم تقلع طائرتا الجرحى؟ فقيل له أن الأطباء طلبوا ذلك، وأن جميع الجرحى في الطائرتين. ثم أقلعت الطائرة الأولى.

وبعد لحظات تمكن براك من الاتصال برابين:" وقعت كارثة، مما يضطرنا إلى إرجاء تنفيذ الأهداف الآن، بعد قليل سأقلع إلى تل أبيب، ومن هناك إلى مكتبك، لدينا خمسة قتلى وجرحى".

استدعى براك (عميرام لافين)، و(أوري ساغي) وقال لهم:" ابقيا في المنطقة، حتى الانتهاء من معالجة القضية. وقبل مغادرتكم أجريا تحقيقا لمعرفة

ملابساته. ثم تعالا إلى مكتبي. أقلعت طائرة ايهود براك حوالي الساعة ٧:١٥ أي تقريبا في نفس الوقت الذي أقلعت فيه طائرة (اليسعور) حاملة الجرحى.

ويقول العميد (شموئيل اراد)، الذي كان طيلة الوقت مع براك، وملازما له: براك لم يهرب أبدا، وخصوصا في (تسأليم) وحسب اعتقادي أنه عمل كل ما يتوجب عليه عمله لمعالجة القضية.

كلف براك (أمنون شاحك) بالعمل على تشكيل لجنة للتحقيق في الحادث. واقترح عليه أن يعين رئيسا لها اللواء احتياط (مناحم عينان)، وعضوية المحامي (أمنون جولد نبيرج) من النيابة العسكرية، والعميد (شاؤول موفاز) والعقيد (احتياط ابشلوم حورن)، والعقيد احتياط (راني ايزنبيرج). وهكذا بدأت لجنة عينان التحقيق.

في تلك الآونة، كانت الرقابة العسكرية الإسرائيلية قد فرضت تعتيما تماما على وجود رئيس الأركان ونائبه أثناء الحادث، بيد أنها اضطرت للإعلان عن ذلك إثر قيام جريدة (نيويورك تايمز) بنشر نبأ مفاده أن رئيس الأركان ونائبه، واللواءين ساغي ولافين، كانوا في (تسأليم) وقت الحادث، والمحت إلى أن الأمر يتعلق بعملية كبيرة كانت دورية هيئة الأركان ستقوم بها، بيد أنها أرجأتها الان بسبب الحادث، وقد جمع براك المراسلين الصحفيين وتحدث معهم حول الحادث ولم يخف تواجده، وقال أن إخفاء تواجده في البداية كان لأسباب تتعلق بالأمن الميداني.

وبعد عدة أيام، نشرت مجلة (الصندي تايمز) البريطانية نبأ جاء فيه:" أن العملية التي كانت دورية هيئة الأركان تجري مناورتها، هي إحدى أكبر وأجرأ العمليات التي ستنفذها دورية هيئة الأركان، وهي تتعلق باغتيال الرئيس العراقي صدام حسين. وأن الصاروخين اللذين أصابا الجنود، كان من المفروض أن يصيبا صدام حسين إبان قيامه بجولة.

لقد كانت هذه الكارثة، أصعب ضربة تصيب ايهود براك طيلة حياته، فرغم أنه لم يكن المسئول المباشر عن وقوعها، الا أنه كان يتحمل المسئولية العامة عنها.

وفي الوقت الذي واصلت فيه لجنة عينان تحقيقاتها، واصلت مجلة (الصندي تايمز) شرح ما وصفته بالخطة السرية لتصفية صدام حسين.

وتفيد المجلة بأن الإعداد للعملية بدأ بعد عدة أسابيع من انتهاء الحرب، فقد شعر رئيس الحكومة اسحق شامير ووزير الدفاع موشيه أرنس أن الرئيس الأميركي جورج بوش أضاع فرصة كبيرة ولن تتكرر لتصفية صدام حسين، لذا قررت إسرائيل استكمال المهمة، التي فشلت فيها الولايات المتحدة.

وفي شتاء ١٩٩١، بدأ الإعداد للعملية، فعين براك اللواء عميرام لافين مسؤولا عن مشروع العملية. وقد طلب منه أن يدرس ما إذا كان هذا المشروع قابلا للتنفيذ وكيف؟؟

جاءت نتائج الدراسة الأولى ايجابية، واعتقد لافين، أن بالإمكان تنفيذ العملية. فطلب منه براك الحفاظ على السرية التامة. ولم يتم إعلام سوى نائب رئيس الأركان امنون شاحك، ورئيس شعبة الاستخبارات أوري ساغي، وعدد من كبار الضباط والذين كانت لهم صلة بعملية الإعداد للعملية. وقد اتخذ براك قرارا، بأن تقوم دورية هيئة الأركان بالتنفيذ.

كلف رئيس الأركان، لافين، بربط جميع الخيوط وكان لافين يدرك، أن بمقدوره الاستعانة ببراك وشاحك وهما ضالعان في هذا المجال في أي وقت يشاء، بيد أنه اختار العمل وحده.

أدى تعيين لافين إلى خلق نوع من التوتر بينه وبين رئيس شعبة الاستخبارات العامة أوري ساغي، الذي قال أن هذا النوع من العمليات هو من اختصاص شعبته كما أعرب عن احتجاجه لإشراك دورية هيئة الأركان في العملية.

أدت الاحتكاكات بين الاثنين، إلى وضع عراقيل على صعيد الإعداد للعملية. فأوري ساغي ضابط كفء وذكي، وقادر على التفكير الصائب، بيد أنه يصبح، في بعض الاحيان، غير مريح، وقد أخذ يشكك في مدى نجاح العملية، ويقول أن العمليات الأخرى التي يعكف هو على الإعداد لها، أكثر أهمية من هذه العملية.

عرضت الخطة على وزير الدفاع موشيه آرنس، فوافق عليها، وأمر بمواصلة الإعداد. وفي حزيران ١٩٩٢، تسلم اسحق رابين منصب رئيس الحكومة ووزير الدفاع. وفي إحدى جلسات العمل، شرح براك لرابين العملية، فأبدى اهتماما كبيرا وأمر بمواصلة الإعداد بكامل السرعة والطاقة.

وفي أعقاب قرار رابين، قدم رئيس الأركان ونائبه والحاشية آنفة الذكر إلى (تسأليم) لمشاهدة مناورة حول تنفيذ العملية.

لم يكن براك يشك للحظة، في أن المناورة مثل جميع المناورات الأخرى-ستجري وفقا للأسس التي وضعها، عندما تسلم رئاسة الأركان، وعلى رأسها السلامة، وأن هناك ضابط أمن للعملية. ولم يكن يعلم أن قضية السلامة، التي أمر بها، لم تطبق بما فيه الكفاية، في هذه العملية لدى جميع القائمين على العملية بدءا من قائد العملية عميرام لافين وحتى آخر جندي من الجنود المشاركين. ولم يكن يعلم أن الرائد (ك) نائب قائد الدورية وقائد المناورة لم يعين ضابط أمان، وهو الامر الذي كان بمثابة خطأ مصيري.

وكانت الخطة تنص على أن يقوم طاقم الجنود الذي يمثل العدو بإخلاء المنطقة فور إجراء الجزء الأول من المناورة وهو الجزء الذي سينفذ دون ذخيرة- وبعدها يتم تنفيذ العملية بالذخيرة، وبعد أن يتم التأكد من أن المنطقة خالية من الجنود.

لقد كان على النقيب(أ) المسئول عن القصف والذي شارك في عشرات العمليات قبل ذلك، أن يدرك أن الجيش الإسرائيلي لا ينفذ أبدا مناورة بالذخيرة الحية، قبل تنفيذ مناورة مماثلة دون استخدام الذخيرة.

وفي صبيحة يوم التنفيذ بدا النقيب(أ) شديد الإرهاق، فهو لم ينم ليلة الأمس، ويقول في الشهادة التي أدلى بها أمام لجنة التحقيق، أنه أعلم الرائد(ك) بأنه شديد الإرهاق، فقام (ك) بإعلام لافين، ألا أن لافين أمر بمواصلة المناورة.

وبعد خمسة أيام، قدمت لجنة عينان نتائج التحقيق إلى وزير الدفاع ورئيس الأركان.

لم يكن براك قد نام ليلة واحدة طيلة الأسبوع الماضي، فمنذ بداية الأسبوع وقعت سلسلة من العمليات الشديدة، وقام المسلحون في جنوب لبنان بإطلاق مائة وأربعين صاروخ كاتيوشا على الشمال الإسرائيلي، مما جعله يصل إلى مقر لجنة التحقيق بصعوبة بالغة.

توصلت اللجنة إلى نتيجة مفادها، أن المسئولية المباشرة تقع على عاتق الرائد(ك) قائد المناورة، والنقيب(أ) المسئول عن إطلاق الصواريخ، كانت هذه المسئولية في إطار المسئولية الأولى، أما على صعيد المسئولية الثانية، فيأتي دور عميرام لافين، بوصفه المسئول الأول عن العملية كلها.

وفي الشهادة التي أدلى بها لافين، أمام اللجنة، قال: قررت الاستقالة من جميع المناصب التي أتولاها. لأنني أعلى رتبة مسئولة عن العملية، وقد وافق رئيس الأركان على ذلك. ولا أستطيع أن أتهرب من مسئوليتي، لذا قررت أن أقول لكم ذلك منذ البداية، وأن لا أنتظر أي قرار".

وإضافة إلى تحقيقات لجنة عينان، أخذت شرطة التحقيقات العسكرية تحقق في الحادث، بدءا من رئيس الأركان وحتى آخر الجنود، ولم تترك زاوية من زوايا الأمن، دون أن تتطرق إليها وتعالجها. وقد قام الرائد(ك) واللواءان عميرام لافين وأوري ساغي باستخدام محام خشية أن تقدم النيابة العسكرية ضدهما لوائح اتهام. بدأ لافين يشن حربا شديدة دفاعا عن سمعته، وتصرف فعلا، مثلما يفعلون في الحرب، فأنكر ما سبق أن قاله حول مسئوليته عن الحادث، وبدأ يدفع بالمسئولية باتجاه اللواء أوري ساغي.

لقد تبنى ايهود براك، جميع ضباط دورية هيئة الأركان، وكان أول من يبشرهم بترقياتهم، بمن فيهم اللواء عميرام لافين. وذات مرة سمع براك أن قائد القطاع الشمالي رفائيل ايتان، فرض فيتو على ترفيع لافين، إلى رتبة قائد كتيبة مدرعات وبرر ذلك بالقول أنه سمع صوت لافين في جهاز الإرسال، إبان حرب ١٩٧٣، وخلال عملية تخليص الجنود الإسرائيليين، من جبل الشيخ، وهو يرتعد أثناء توزيعه الأوامر. وقال ايتان: إن الضابط الذي لا يثق بنفسه، لا يمكن أن يقود كتيبة مدرعات.

هب براك لمساعدة لافين، وتوجه إلى رئيس الأركان مردخاي جور، بيد أن جور كان يميل إلى عدم التدخل، وقال لبراك: لقد اتخذ رفائيل قراره، وأنت تعرفه حينما يتخذ قرارا يصعب إثناؤه عنه.

براك: مردخاي، ما هذا الهراء. يمكنك أن تقول لي أنه لا يتسم بالجرأة، لقد رأينا كيف يعمل تحت القصف والنيران إنه ضابط شجاع بصورة نادرة، وقائد متميز، ولا يمكن القول بعدم ترقيته، فقط لأن صوته بدا في جهاز الإرسال ليس جيدا، لقد وقع الحادث إبان عملية فظيعة في جبل الشيخ، والتي يمكنها أن تؤثر على صوت أي إنسان.

وبعد عدة محاولات إقناع، وعد مردخاي بالتحدث مع ايتان، وبعد فترة قصيرة عين لافين قائدا لكتيبة، ثم قام ايتان نفسه بتعيينه، بمبادرة منه، قائدا للواء دبابات.

وخلال شهادته أمام اللجنة، حاول لافين أن يسدد الحسابات القديمة بينه وبين ساغي، فقال: أنه حاول إخفاء معلومات تتعلق بالعملية، وأنه وضع العديد من العراقيل على طريق التنفيذ.

بيد أن المحققين لم يكونوا مهتمين بهذه التهم، بل كانوا مهتمين بالجهة المسئولة عن السلامة، وبصلاحيات كل طرف في إعداد العملية.

وقد انتهت التحقيقات بتوصية الشرطة بتقديم الرائد(ك)، والنقيب(أ) إلى المحاكمة العسكرية بتهمة التسبب بالوفاة، بالإهمال. وتوبيخ اللواءين لافين

وساغي إداريا. وقد تم نقل نتائج تحقيق لجنة لافين وشرطة التحقيقات العسكرية، إلى النائب العسكري العام، ايلان شيف، الذي فاجأ الجميع في أيلول ١٩٩٣-أي في أوج الأحداث التاريخية لاتفاقيات أوسلو، بالمطالبة بمحاكمة (ك وأ) وأيضا اللواء لافين، وتوبيخ ساغي إداريا.

وقد احتج لافين: وطلب الاجتماع برابين وقال له: أن هناك مؤامرة تحاك ضده وطلب إعادة سماع أقواله. كما احتج العديد من كبار الضباط، على قرار النائب العسكري، فتم إيكال القضية إلى لجنة قضائية، والتي أعادت سماع كل من أراد الإدلاء بشهادته.

وفي السابع والعشرين من شباط ١٩٩٤، أعلن (ستيف) نتائج التحقيقات المعدلة، واتضح أن الاتهامات ضد (ك وأ) بقيت على ما هي عليه، وأنهما سيقدمان إلى المحاكمة العسكرية،بتهمة التسبب بالوفاة بالإهمال، واستخدام السلاح بصورة غير حذرة.

وقد تمت محاكمة الاثنين، ووجدتهما المحكمة مدانين، ولم توجه إلى اللواءين الآخرين أي تهمة. بيد أنها أقرت توبيخهما إداريا.

لم يرض قسم من ذوي الجنود عن النتائج المذكورة في الكارثة التي أسميت "تساليم الثانية" وواصلوا تقديم الدعاوى ضد اللواء لافين الذي اعتبروه مسئولا عما حدث.

لقد مست حادثة تساليم الثانية بباراك مسا خطيرا، ليس لأنها فقط خربت الهدوء الداخلي الذي كانت هيئة أركان الاحلام التي شكلها تحظى بها، بل لأنه لم يتصور وقوع مثل هذا الحادث في الفترة التي يشغل فيها هو، منصب رئيس هيئة الأركان.

الفصل العشــــرون

فرص السلام ورعب العنف
براك عرض خطة إبعاد زعماء حماس والجهاد

لم تصرف أحداث (تساليم) رغم صعوبتها- نظر رئيس هيئة الأركان والجيش عن الخطر الحقيقي- خطر الإرهاب.

ففي مطلع كانون الأول ١٩٩٢، كثرت تحذيرات أجهزة الأمن والاستخبارات الإسرائيلية من مغبة حدوث عمليات، لا سيما من طرف حركة حماس، التي كان يتوقع أن تبادر لاختطاف جنود إسرائيليين. ورغم ذلك، تمكنت إحدى خلايا الحركة بتاريخ ١٣-١٢-١٩٩٢، من اختطاف أحد أفراد حرس الحدود ويدعى نسيم توليدانو، بينما كان في طريقه من المنزل إلى القاعدة. وقد طلب المختطفون، أن تطلق إسرائيل سراح زعيم حركة حماس، الشيخ أحمد ياسين، ومئات النشطاء المعتقلين. غير أنه تم العثور، بعد ذلك بيومين على جثة الجندي في طريق القدس-أريحا.

في تلك الأثناء، اجتمع المجلس الوزاري في جلسة طارئة. وقد اعد براك بالتعاون مع جهاز الأمن، خطة تنص على طرد ٣٤٠ نشيطا من حركتي حماس والجهاد الإسلامي. ولقد أيد رئيس الحكومة، اسحق رابين الخطة، وصادقت عليها الحكومة رغم معارضة وزراء ميرتس- شولاميت الوني، يائير تسبان وأمنون روبنشتاين، وامتناع وزير العدل دافيد لبائي عن التصويت.

وعليه، قام جنود الجيش الإسرائيلي بحملة مداهمات واسعة، استهدفت منازل نشطاء حماس، وقاموا باعتقال عدد كبير منهم، استعدادا لنقلهم إلى منطقة الشريط الأمني في جنوب لبنان.

كان من المقرر بداية، نقلهم جوا، بيد أن الظروف الجوية، حالت دون ذلك، فاضطروا لنقلهم بالحافلات. ولقد أتاحت رحلة السفر الطويلة، الفرصة، أمام نشطاء حماس، للتوجه إلى محكمة العدل العليا.

وقبل بضعة كيلومترات من وصول الحدود اللبنانية، توقفت الحافلات. كان أمرا من اسحق رابين إلى ايهود براك بالمثول أمام محكمة العدل العليا، ومحاولة إقناع قضاة المحكمة بإتمام عملية الإبعاد، وقد نجح براك في المهمة، وتم إنزال مئات النشطاء في نقطة قريبة من حدود المنطقة الأمنية.

وعلى الرغم من العاصفة الدولية التي أثارتها القضية، والضرر الذي ألحقته بصورة إسرائيل كان براك على قناعة بأنها كانت خطوة ضرورية، أصابت حركة حماس بالذهول.

تواصلت الضغوطات الدولية واضطرت إسرائيل، بعد بضعة اشهر، للموافقة على إعادة قسم من النشطاء المبعدين فيما أبدى رئيس هيئة الأركان براك معارضته لذلك، وزعم بأن إسرائيل غير مجبرة بالخضوع، وأن إعادة نشطاء حماس إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، سيخلق تصعيدا جديدا في المنطقة. وبالفعل ثبتت صحة هذه التوقعات بعد أشهر قليلة، عندما استقبل العائدون إلى الضفة والقطاع استقبال الأبطال.

كان عام ١٩٩٣ عاما عاصفا، نفذ فيه نشطاء حماس في المناطق ومسلحو حزب الله في لبنان عمليات قاسية. وقد شهد شهر آذار على وجه التحديد، موجة عنف عمت أنحاء إسرائيل، حيث قامت خلايا حماس والجهاد الإسلامي غير مرة بزعزعة أمن السكان، وكانت أبرز نشاطاتها في تلك الفترة، طعن إسرائيليين حتى الموت، وقتل شرطيين عقب ذلك رميا بالرصاص، بالقرب من منطقة الخضيرة، مما أثار المعارضة بزعامة بنيامين نتنياهو، وحدا بها لاتهام اسحق رابين بفقدان زمام السيطرة.

في ظل هذه الظروف، استدعى اسحق رابين ايهود براك وقال له:" إذا لم نوقف هذه الموجة فإنها ستصل إلينا".

أخرج براك خطة سرية محفوظة، كانت تنص على فرض الإغلاق التام، حيث لا دخول ولا خروج من وإلى الضفة الغربية وقطاع غزة. وإضافة إلى ذلك، غصت المناطق بوحدات المستعربين وأفراد جهاز الأمن الإسرائيلي، الذين تمكنوا في غضون، بضعة أسابيع، من تصفية ٣٧ مطلوبا. فيما قام العشرات بتسليم أنفسهم.

شهدت جلسات الحكومة مواجهات قاسية بين اسحق رابين ووزراء ميرتس، ووزير العدل، دافيد ليبائي، الذين لم يسلموا بصلاحيات الطوارئ التي

منحت لأفراد الأمن الإسرائيلي وبالنتائج القاسية التي تمخض عنها الإغلاق. ولقد رأى براك رابين، أكثر من مرة، يفقد السيطرة على نفسه.

وفي الوقت الذي تم فيه قمع موجة العنف بشكل مؤقت، اندلعت المواجهات في لبنان، ففي الثالث عشر من نيسان، قتل ثلاثة جنود جراء انفجار عبوة جانبية على محور دوريات، وعزز مسلحو حزب الله هجماتهم على مواقع الجيش الإسرائيلي وضد الدوريات في جنوب لبنان.

وفي الرابع والعشرين من أيار، سقط خمسة مظليين وليس بتدبير من حزب الله، هذه المرة، فقد تبادلت قوتان إطلاق النار، في ظروف جوية صعبة، بينما كانتا في طريقهما لتنفيذ عملية. وفيما كان في طريقه إلى جنوب لبنان، علم براك أن وزير الدفاع اسحق رابين ينتظره على مقربة من مكان وقوع الحادث ولدى وصوله صب رابين عليه جام غضبه.

كانت أول مواجهة تنشب بين وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان، فقد اعلم براك، رابين، أنه عين اللواء يورام يائير للتحقيق في ظروف الحادث، غير أن رابين اراد إلغاء التعيين وزعم بأن مهمة التحقيق في(الكارثة)، ينبغي أن تسلم إلى عنصر خارج نطاق الجيش الإسرائيلي.

شعر ايهود بنفسه يغلي غضبا، وأعلن لرابين أن عليه البحث عن رئيس هيئة أركان آخر. إن كان لا يثق بالجيش الإسرائيلي وقدرته على التحقيق، في مثل هذه الكارثة.

شعر رابين بالذهول، فالجدل المستعر الذي بلغ مبلغه، جرى على مرأى من قائد القطاع الشمالي، اسحق مردخاي، وعدد من كبار الضباط في القطاع ولواء المظليين. وبعد بضع دقائق، أدرك رابين أنه بالغ قليلا، ثم قال:" ايهود على حق. لا ينبغي علينا إخراج ملف التحقيق خارج الجيش الإسرائيلي. ولو كنت رئيس هيئة أركان لفعلت مثله بالضبط".

بقيت الحدود الشمالية في حالة غليان مستمر. ففي الثامن من تموز قتل جنديان من لواء"جفعاتي"، وسقط، في صبيحة اليوم التالي، ثلاثة مظليين في جبل

سجود، مما حدا بإسرائيل إلى شن هجوم جوي وتوجيه ضربة مدفعية قوية. ولقد تصاعدت حدة التوتر على الحدود وبلغت اوجها بتوجيه قذائف الكاتيوشا إلى "كريات شمونة".

استدعي رئيس هيئة الأركان لحضور جلسة طارئة لمجلس الوزراء، وقد أوصى بتبني رد ساحق، ليس حربا شاملة على غرار حرب"سلامة الجليل"، بل"ضربة قاصمة"، وإصابة دقيقة لمواقع القيادة، قواعد التدريبات ومعاقل حزب الله. وقد صادق المجلس على الخطة، ودخلت الطائرات والمروحيات المقاتلة إلى العملية، بعد أن تم إنذار السكان بالراديو والمنشورات بضرورة مغادرة المنطقة. ثم بدأت بطاريات المدفعية بتدمير قرى شيعية شمال منطقة الشريط الأمني. وتمركزت قوات مدرعة، مدفعية ومن سلاح المشاة بالقرب من الحدود، كالماحة إلى حكومة لبنان بإمكانية زعزعة أمن بيروت، إذا لم يعم الهدوء "كريات شمونة".

وفي ظل التهديدات بإعادة احتلال جنوب لبنان، تدفق مئات آلاف المواطنين اللبنانيين باتجاه بيروت، وبدأت طائرات سلاح الجو بقصف مواقع قريبة من أهداف استراتيجية في لبنان، مصاف، محطات توليد الطاقة ومنشآت أخرى. شعر رئيس الحكومة اللبناني، رفيق الحريري، بضرورة الاجتماع بالرئيس السوري، حافظ الأسد، وقد ألمحت دمشق إلى واشنطن بوجود ما يمكن الحديث عنه بشأن وقف إطلاق النار.

اعتبرت عملية" يوم الحساب" -باسمها الرسمي- إنجازا عمليا، لم يترجم إلى نجاح سياسي، غير أن الهدوء عاد إلى"كريات شمونة" ومستوطنات الشمال. وقد كان رئيس هيئة الأركان، يشعر بالرضا إزاء القدرة التنفيذية للجيش، ضرب(الإرهابيين)، مقتل ٦٥ مسلحا، وفي المقابل انخفاض عدد القتلى الإسرائيليين، حيث قتل جندي واحد واصيب ثلاثة آخرون بجروح.

وفي الثامن عشر من آب ١٩٩٣، أعلمت شعبة العمليات رئيس هيئة الأركان بسقوط سبعة قتلى من لواء(جولاني) في المنطقة الأمنية شمال لبنان.

وفي غضون بضع دقائق، كان براك وقائد القطاع الشمالي، اللواء اسحق مردخاي في طريقهما إلى المنطقة.

في اليوم التالي، دق صوت الهاتف في منزل براك في ساعة متأخرة من الليل. كان تقريرا جديدا من لبنان حول سقوط جنديين من لواء (جولاني)، وفي ساعات الصباح الباكر، كان براك في طريقه ثانية إلى جنوب لبنان. كان يشعر بالألم ويحاول مواساة جنود اللواء لكنه، لم يستطع حبس دموعه.

وفيما كانت المدافع تدوي في الشمال، بدأت في العاصمة النرويجية أوسلو، أول المحادثات السرية بين ممثلين إسرائيليين وفلسطينيين، والتي أجريت رغم التحفظ الذي أبداه مؤيدو بيرس وبيلين ضد رئيس الحكومة ووزير الدفاع، اسحق مردخاي، وقد علم براك من خلال عناصر استخبارية نبأ هذه المحادثات وأبدى تحفظه بداية، بيد أنه سرعان ما دخل إلى صلبها.

تسببت تعقيدات المشاكل الأمنية وموقف رئيس هيئة الأركان، براك بشأن عدم التنازل في النقاط التي يمكن أن تشكل في المستقبل خطرا على أمن الجنود والمدنيين، توترات بينه وبين وزير الخارجية شمعون بيرس اكثر من مرة.

اراد بيرس تسريع المسيرة، وكان يرى أن موجة العنف ستزول عقب اتفاقات أوسلو، لدى الانتقال من الشرق الأوسط القديم إلى الشرق الأوسط الجديد، الذي يرى نفسه مسؤولا عن بلورته.

وقد عمل براك في تلك الفترة إلى جانب بيرس ساعات طويلة وسمع منه غير مرة انتقادات مبطنة للحذر الشديد الذي يتوخاه رئيس الحكومة، والذي كان يرى أنه لا يقدر الفرصة الكبيرة بالتوصل إلى سلام.

من ناحية ثانية، سمع براك من رئيس الحكومة رابين، أن بيرس ورجاله وعلى وجه الخصوص، أوري سافير، يتنازلون سريعا. يلهثون ولا يتوقفون، حيث يجب التوقف وإعادة تقييم الوضع. كانت تقديراته، بأنه ينبغي، إلى جانب

فرصة خوض مفاوضـــات سياســية مباشــرة وحقيقيــة بيــن إســرائيل والفلســطينيين، الاستعداد لاحتمال حدوث عمليـــات.

براك من رئيس لأركان الجيش
إلى رئيس لأركان السلام

أمضى رئيس هيئة الأركان اليوم الذي تم فيــه التوقيــع علــى اتفــاق أوســلو، في قطاع غـــزة إلـــى جـــانب قـــائد قـــوات الجيــش الإســـــرائيلي العميــد (دورون الموغ)، حيث أعلنــت حالــة التــأهب القصــوى، اســـــتعدادا لاحتمــال حــدوث رد سريع من جانب حمـــاس.

بدأت موجة العمليات فـــي الثـــاني عشــر مـــن أيلـــول، أي قبــل يـــوم مـــن المصافحــة التاريخيــة، بيــن اســـــحق رابيــن وعرفــات فــي البيــت الأبيـــــض بواشـــــنطن، حيث قام أحد نشــطاء حماس بطعـــن ســائق حافلــة فــي خــط (٣٠٠) بين تل أبيب وعســـقلان، فيما قتل عـــدد مـــن جنـــود الاحتيـــاط فـــي قطـــاع غـــزة برصاص أفراد حمـــاس.

أدرك براك، رغم العمليات التي وقعـــت وســتقع، أنـــه أمـــام مفـــترق طـــرق تاريخي، فتحول بين ليلة وضحاها، من رئيـــس هيئـــة أركـــان يعـــد الجيــش للحـــرب، إلى رئيس هيئة أركان يعد للســـــلام.

شرعت الحكومة الإسرائيلية فـــي الاســـتعدادات لخـــوض مفاوضـــات ســـريعة حول تسوية سياسية تؤول إلى انسحاب الجيش الإســـــرائيلي مـــن غـــزة وأريحـــا. وقـــد أوضح رئيس هيئة الأركان، لرئيس الحكومة رابيـــــن، أن الجيــش الإســرائيلي، ينبغـــي أن يكون طرفا في المفاوضات، وأن ممثليه يجب أن يكونـــوا مـــن المســتوى الرفيـــع.

كانت الآراء داخل الحكومة متضاربـــة بـــهذا الشـــأن، حيــث زعـــم شـــمعون بيرس أنه ينبغي إبقاء الجيش الإسرائيلي خارج المســــــيرة السياســية، فـــي حيـــن لـــم يخطر ببال اســـحق رابيـــن تكليـــف مديـــر عـــام وزارة الخارجيـــة (أوري ســـــافير) بشــــؤون الأمـــن.

تباحث براك مع نائبه اللــواء، (امنــون ليفكيــن شــاحك)، حــول اســتعدادات الجيش للمفاوضات واختيــار ممثليــه، وســأله إن كــان يرغــب فــي تــرؤس الطــاقم الأمني المفاوض، بيد أنه رد بالنفي، مشيرا إلى أنه من الأفضــــل لنــائب رئيــس هيئــة الأركان، المرشح بعد عام لتسلم زمام منصب رئيــس هيئــة الأركــان، ألا يقحــم نفســه في مفاوضات لا يوجد إجماع عام بشأنها، ثم سأله بــــراك عــن تعييــن رئيــس شــعبة التخطيط اللواء، (عوزي ديان)، فرد بالإيجاب وقال أنـــه تعييــن ممتـــاز.

خرج براك بعد ذلك للقاء رابين وأطلعه علــى قــراره بشــأن تعييــن عــوزي ديان، رئيسا للطاقم الأمني، كان رابين يعرف ديان جيـــدا. فــهو ابــن شــقيق موشــيه ديان، وقد وافق على تعيينـــه.

تباحث رابيـــن وبــراك حــول اســتراتيجية المفاوضـــات. وللمــرة الأولـــى، يعرب براك عن خشيته إزاء احتمال حدوث عمليـــات علـــى محـــاور الطـــرق المؤديــة إلى (غوش قطيف)، والتي ستبقى معزولة وسط محيط عربي فـــي قطـــاع غـــزة.

كانت المشكلة الرئيسة تكمن فـــي مســتوطنة (نتســاريم) التــي تقطــن فيــها عشرات العائلات المحاطة بمئات آلاف الفلسطينيين، وكانت تقديـــرات بــراك بأنــه لــو كان الائتلاف أكثر قوة، ولا يعتمد على أغلبية عضـــوي كنيســت فقــط، لكــان بمقــدور رابين، اتخاذ قرار شجاع وإخلاء (نتســاريم)، لكنــه لــن يســتطيع فــي ظــل الوضــع السياسي الذي سيعقب الاتفاق، ومقابل غضـــب اليميــن والمســتوطنين فــي المنــاطق، تحريك أي مستوطنة ولو ســنتيمترا واحــدا.

عاد براك إلى مكتبه، وبعد قليل، اتصل به رابين وطلـــب منــه الحضــور.

-رابين: "لماذا لم تقترح على امنون شاحك تــرؤس الطــاقم الأمنــي؟".

-براك مندهشا: "تحدثت مع شاحك وسألته، لكنه لم يكن راغبـــا فــي ذلــك".

-رابين: "شمعون شيبس (مدير عـــام مكتــب رئيــس الحكومــة) قــال لــي أن أمنــون معني بهذا المنصب". على الفور، استوعب براك مـــا دار فــي رأس شــمعون شــيبس. لم تكن المرة الأولى ولا الأخيرة التي يترك فيـــها شــيبس بصماتــه علــى مثــل هــذه الأمور، فقد حاول قبل ذلك، عندما كــان اسـحق رابيــن وزيــرا للدفــاع، وكــان هــو

مستشاره، العمل من أجل ترشيح امنون شاحك لرئاسة هيئة الأركان بعد دان شومرون، وعلى أية حال، شعر براك غير مرة، بظل شمعون شييس في أغلب الأحيان ولكن ليس لصالحه.

رد براك على رابين: "إذا كان شاحك يريد المنصب، فسوف يحصل عليه".

وعندما عاد إلى مكتبه، اتصل براك بشاحك وقال له، أنه اتفق مع وزير الدفاع على تعيينه رئيسا للطاقم الأمني المفاوض، وقف شاحك حائرا، وأدرك بحكمته أن الفصل بين الجانبين السياسي والأمني، سيكون صعبا وسيكون موضع تفسيرات معادية. ويبدو أن الروحية التي تصرف بها رابين، وربما الفضول للعب دور في حدث تاريخي، غير مسار الأمور، وعلى أية حال، كان براك يشعر بأن المبادرة كانت لمدير عام مكتب رئيس الحكومة، ولا دخل لشاحك أو رابين فيها.

وسرعان ما أصبح نائب رئيس هيئة الأركان، الشخصية الرائدة في المفاوضات الأمنية، وقد حرص على استشارة براك وإطلاعه على كل شيء أولا بأول، مما أبقى الثقة قائمة بينهما.

أعرب براك غير مرة، خلال اجتماعاته المغلقة مع رابين وفي رسائله الشخصية، عن قلقه إزاء الطاقم السياسي المفاوض برئاسة مدير عام وزارة الخارجية، (أوري سافير)، الذي يهرول، حسب اعتقاده، ولا يتعمق في المشاكل الأمنية بما فيه الكفاية، حتى إنه، في بعض الأحيان، يتجاهل وبوضوح رأي الجيش الإسرائيلي، ممثلا باللواء (امنون شاحك). كما أوضح لوزير الدفاع، بأن الاتفاق الأمني المتبلور ضبابي للغاية، في القضايا التي يمكن أن توضع على المحك، مثل حق "المطاردة الساخنة"، كما كانت له انتقاداته حول التسويات الخاصة بالحركة في (غوش قطيف)، الدوريات المشتركة وعرض المنطقة منزوعة السلاح، وقد حذرت شعبة الاستخبارات غير مرة، من نية حماس ضرب سيارات على طريق غوش قطيف، وصحت توقعاتها.

ورغم شعوره بإمكانية التوصل إلى اتفاق أمني أفضل، اضطر براك للقبول بما أنجزه الكادر السياسي، ليس خداعا وإنما من كل قلبه، فقد كان يثق بأنها مسيرة تاريخية لا ينبغي إضاعتها لكن تجسيدها يحتاج إلى يقظة واستعداد أمني دائم.

وفي اليوم الذي أخلى فيه الجيش الإسرائيلي قطاع غزة، دون عثرات، أدرك براك أن أمرا ما حدث في إسرائيل. وفي ذلك اليوم كتب إلى اسحق رابين يقول: "لا يساورني أدنى شك في أن إسرائيل تضع باتفاق "غزة وأريحا أولا" حجر الأساس لقيام دولة فلسطينية في غزة وأريحا.

ومقابل غبطة وزراء الحكومة، كان رئيس الحكومة ووزير الدفاع رابين، ورئيس هيئة الأركان براك يشعران بالقلق. وخلافا لشمعون بيرس، لم ينقادا وراء وهم الشرق الأوسط الجديد. فالشرق الأوسط الجديد كان بعيدا، وحماس والجهاد الإسلامي أقرب منه بكثير.

في السابع من تشرين أول ١٩٩٣، اجتمع رابين وعرفات في القاهرة وبعد ذلك بيومين، بدأت أعمال العنف القاسية،حيث قتل متنزهان إسرائيليان في (وادي القلط)، وقتل بعد ذلك بأسبوعين، جنديان في الاحتياط في (غوش قطيف)، وبعد أربعة أيام، تم اختطاف وقتل مستوطن في (بيت ايل).

في مطلع تشرين الثاني من نفس العام، هوجمت سيارة الحاخام (دروكمان)، مما أسفر عن مقتل السائق وإصابة الحاخام بجروح، وقتل بعد ذلك مستوطن ومربية أطفال من (غوش عتسيون). أما في مطلع كانون أول، فقد قتل مردخاي لبيد وابنه شالوم بالقرب من الخليل، وفي الثاني والعشرين من الشهر نفسه، قتل بالقرب من رام الله إسرائيليان من (بني براك)، وبعد ذلك بيومين قتل المقدم (مائير مينتس) مسؤول العمليات الخاصة لاعتقال المطلوبين في كمين للمسلحين بالقرب من مستوطنة (دوجيت).

في ليلة الثاني عشر من كانون الثاني عام ١٩٩٤، تلقت شعبة العمليات في قيادة القطاع الأوسط، نبأ حول تسلل مسلحين من الحدود الأردنية، فسارع قائد

القطاع، اللواء (نحميا تماري) إلى مطار دوف شمال تل أبيب، حيث كان بانتظاره رئيس مكتبه، صعدا إلى مروحية "سيبان" وحلقا باتجاه غور الأردن. حدث هذا في ليلة عاصفة. وبعد منتصف الليل، قرر قائد القطاع العودة إلى (متسودات كفير) بالقرب من القدس. بيد أن الضباب الكثيف، تسبب في تدني مدى الرؤية، فبدأت المروحية بالتأرجح. أخبر قائد الطائرة اللواء تماري، بأن الرياح شمالية، والضباب كثيف في منطقة الهبوط. كانت تلك آخر الكلمات التي وصلت إلى برج المراقبة، وفي حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، انقطع الاتصال، حاول قائد الطائرة السيطرة عليها. بيد أنها اصطدمت بهوائي قيادة القطاع، ثم سقطت وتحطمت.

في حوالي الساعة الثانية فجرا، دق جرس الهاتف في منزل براك في كوكب يائير، كان رئيس مكتبه، يوني كيرن على الخط الآخر: "رئيس هيئة الأركان، لقد وقعت (كارثة)، مروحية "سيبان" تحطمت في القطاع الأوسط، وتسبب ذلك في مقتل نحميا تماري.

براك مندهشا: "ماذا تقول؟ هل أنت متأكد؟

يوني: "نعم، قتل نحميا ومعه رئيس مكتبه وطيارون آخرون.

كان نحميا من أحب الضباط إلى براك، عرفه منذ الصغر، عندما كان شقيقه (دوفيك تماري)، قائد دورية هيئة الأركان في الستينات.

في كانون الثاني ١٩٩٤، عين اللواء (داني يتوم) خلفا للواء نحميا تماري. وقد كان قبل ذلك، السكرتير العسكري لرئيس الحكومة، اسحق رابين، وهذه هي المرة الثانية التي يتسلم فيها زمام قيادة القطاع الأوسط.

مذبحة الإبراهيمي

كانت الكارثة التالية بعد ذلك بحوالي شهر. ففي الخامس والعشرين من شباط ١٩٩٤، أرسلت غرفة العمليات في القطاع رسالة غير واضحة، كانت تتحدث عن مهاجمة عدد من اليهود في ساحة الحرم الإبراهيمي، ووقوع

إصابات– وقد أمر اللواء يتوم، بتجهيز القوات اللازمة، استعدادا للتوجه إلى المكان.

وفي طريقه إلى الخليل، اتصل اللواء يتوم بايهود براك، وأخبره بأن الحديث لا يدور حول مهاجمة مصلين يهود، بل مصلين عرب في القسم المخصص للمسلمين في الحرم. كان المنظر مريعا. عشرات المصلين العرب يغوصون في دمائهم، عشرات القتلى وعشرات الجرحى، وإلى جوارهم طبيب الخليل.(باروخ غولدشتاين) جثة هامدة.

أصيبت الخليل التي كانت تقطنها أقلية يهودية، بصدمة، فمنذ (مذبحة) يهود الخليل في العشرينات، لم تشهد المدينة حدثا بهذه القسوة، لكن الصورة، هذه المرة، كانت مختلفة، فالقاتل طبيب يهودي من نشطاء حركة (كاخ).

بدأت أعمال العنف في المدينة، وقرر يتوم وبراك فرض الإغلاق. بعد ذلك، توجه براك إلى رئيس بلدية الخليل، حيث قدم تعازيه بضحايا المذبحة، الذين بلغ عددهم ٣٠ شهيدا، أعرب عن شجبه واستنكاره، ثم قال: "أنه عمل مقيت، وأتعهد لكم ببذل أقصى جهودنا للحيلولة، دون تكرار ما حدث. وسنتابع مجريات التحقيق في هذه القضية حتى النهاية".

كان رئيس البلدية في حالة ذهول تام، لم يستطع استيعاب حجم الكارثة، براك أيضا، شعر بصعوبة في مواجهة ما حدث وعندما خرج من مكتب النتشة، اتفق مع اللواء يتوم على مواصلة الإغلاق وتعزيز قوات الأمن، تحسبا لحدوث عمليات انتقامية.

وبعد ذلك، أصدر براك أوامره إلى قائد القطاع، بتشكيل لجنة تحقيق، غير أن الحكومة الإسرائيلية، قررت بعد ذلك، تشكيل لجنة تحقيق يترأسها رئيس محكمة العدل العليا، (مائير شمغار).

كان ايهود، بين أواخر الشهود الذين مثلوا أمام اللجنة، وقد بث قسم من شهادته عبر الراديو والتلفزيون.استعد جيدا لتلك اللحظة، كان يشعر بأنه ممثل الجيش الإسرائيلي كله، الذي يقف على منصة الاتهام بدعوى الفشل في الحيلولة

دون وقوع المذبحة، وقال: "لم نتوقع مذبحة على يد مثل هذا المجنون، ولم نتوقع عملا من هذا القبيل، وأنا أقول، أن الشخص المجنون المستعد لوضع حد لحياته، يمكن أن يقتل مدنيين فلسطينيين أيضا، يمكن أن يسقط طائرة، كما يمكن أن يقتل رئيسا محاطا بحراسة منظمة أمن كاملة.

إنني أترقب ذلك اليوم، الذي يسير فيه الإسرائيليون والفلسطينيون في الخليل بحرية ودون سلاح، دون أن يتوقع الإسرائيلي رصاصة، أو حجرا أو سكينا، ودون أن يتوقع الفلسطيني تحديا أو استفزازا..."

اختطاف وقتل

الجندي فاكسمان

شهد التاسع من تشرين أول ١٩٩٤، وقوع واحدة من أعنف العمليات في تاريخ محاربة المسلمين الفلسطينيين، فقد خرج في ذلك اليوم، الجندي (غشون فاكسمان) من لواء (جولاني)، في إجازة، وتوجه إلى منزل صديقته في الرملة. استقل إحدى سيارات الركوب المجاني، التي كان يجلس فيها ثلاثة شبان فلسطينيين. وبعد بضع مئات الأمتار انقضوا عليه ونجحوا في توثيقه وإغلاق فمه، ثم انطلقوا باتجاه رام الله.

أثار غياب فاكسمان قلق عائلته والمسؤولين في الجيش الإسرائيلي، لا سيما بعد المعلومات الاستخبارية التي تتعلق بنية حركتي حماس والجهاد الإسلامي اختطاف جنود إسرائيليين للمساومة عليهم.

في ساعات الصباح الباكر، وصلت معلومات أولية إلى براك، من شعبة العمليات، تتحدث عن احتمال تعرض الجندي لعملية اختطاف، فدعا إلى عقد جلسة طارئة في مكتبه، حضرها رئيس جهاز الأمن "الشاباك" (يعقوب بيري)، قائد لواء الضفة الغربية في "الشاباك" (جدعون عزرا)، رئيس شعبة الاستخبارات (أوري ساغي)، رئيس شعبة الأبحاث في قسم الاستخبارات (يعقوب عميدور)، رئيس قسم العمليات في هيئة الأركان (جابي اشكنازي)، المتحدث بلسان الجيش الإسرائيلي (عاموس جلعاد)، رئيس مكتب رئيس الحكومة (يوني كيرن)، وعدد

من كبار الشخصيات في الشاباك، وقـــد أجمـــع الحضـــور علـــى أن الجنـــدي تعـــرض لعملية اختطاف، من قبل حركة حمـــــاس.

بعد بضع ساعات، ثبتـــت صحـــة مخاوفـــهم، فقـــد أرســـل المختطفـــون إلـــى التلفزيون الإسرائيلي، شريط فيديو، تم فيـــه تصويـــر نحشـــون فاكســـمان فـــي مخبـــأ، وطالبوا بإطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين، الزعيـــم الروحـــي لحركـــة حمـــاس ومئـــات المعتقلين الفلسطينيين، وإلا فإنهم سيقتلون فاكسمان يـــوم الجمعـــة، الرابـــع عشـــر مـــن تشرين الأول، الساعة التاســـعة.

كان الأمل الوحيد بالنسبة للمحققين، الشريط الـــذي نقـــل إلـــى وكالـــة الأنبـــاء (رويتر)، والذي نقل بعد ذلك إلى ممثل الوكالة فـــي قطـــاع غـــزة.

أصدر ايهود براك أوامره إلى قيادة دوريـــة هيئـــة الأركـــان ووحـــدة مكافحـــة الإرهاب في الشرطة، بالاســـتعداد لاحتمـــال تنفيـــذ عمليـــة مـــا. وقـــد كـــان جدعـــون عزراء، قائد لواء الضفة الغربية فـــي جـــهاز الأمـــن "الشـــاباك" أول مـــن تحـــدث عـــن احتمال أن يكون فاكسمان محتجزا فـــي مكـــان آخـــر غـــير قطـــاع غـــزة، وإن تكـــون قصة قطاع غزة مجرد محاولة تضليـــل ليـــس إلا.

في تلك الليلة، تم اعتقال أحد المشبوهين، وقد اعـــترف خـــلال التحقيـــق معـــه بأنه تعاون في التخطيط للعمليـــة، وأن الجنـــدي المخطـــوف محتجـــز فـــي منطقـــة رام الله في منزل كبير ومعزول، يعود لعربي مقيم فـــي الولايـــات المتحـــدة.

كانت تجمع المتهم علاقات قرابـــة مـــع إحـــدى عـــائلات الخـــاطفين الثلاثـــة. وحسب أقواله، فقد كان حلقة الوصل بين الخـــاطفين وبقيـــة أفـــراد الخليـــة فـــي قطـــاع غزة، الذين يترأسهم محمد ضيف، أحد كبار المطلوبيـــن للشـــاباك، وقـــد أوصـــل إلـــى المحققين رسالة تقـــول، أن الخـــاطفين يعـــتزمون تصفيـــة فاكســـمان، إذا مـــا رفضـــت مطالبهم. وبعدها، رفض التعاون مع المحققين والإدلاء بـــأي معلومـــات حـــول المـــنزل الذي يختبئ فيه الخـــاطفون.

أصدر براك أوامره إلى جهاز الأمـــن (الشـاباك)، بـالعمل قـدر المسـتطاع، للوصول إلى أي معلومة حول موقع البيـت، وتوجـه إلـى قـائد الجيـش الإسـرائيلي بالضفة الغربية، اللواء (شاؤول موفاز)، وكلفه بـالتخطيط لعمليـة الإنقـاذ.

كان أهم مسألة بالنسبة للمحققين كسـب الوقـت وتضليـل الخـاطفين ليظنـوا بأن رسولهم تأخر بسبب حادث طرق في قطاع غزة، في تلـك الأثنـاء، وصلـت إلـى (الشاباك) معلومات حول المـنزل والغرفـة التـي يقبـع فيـها فاكسـمان، كـان مـن الواضح أن عملية الاقتحام سـتكون معقـدة، وأن المـدة الفاصلـة بيـن اقتحـام البـاب والوصول إلى غرفة فاكسمان، قد تكـون حاسـمة.

أعدت الخطط، وقرر اللواء موفاز تبني خطـة دوريـة هيئـة الأركـان، وقـد صادق رئيس هيئة الأركان على القـرار ولـم يتدخـل فـي الاعتبـارات التـي أخذهـا موفاز في الحسبان، في الوقت الذي احتج فيه علـى القـرار أفـراد وحـدات الشـرطة الخاصة، بينهم نائب قائد الوحدة، الـذي كـان آنـذاك، القـائم بأعمـال قـائد وحـدات الشرطة الخاصة- الذي كان في الخارج- وطلب مهلة لإعـداد خطـة بديلـة، غـير أن موفاز رفض ذلـك.

عقب ذلك، خرج رئيس هيئة الأركان، إلى موقـع اسـتعدادات دوريـة هيئـة الأركان. تحدث إلى الجنود عـن أهميـة العمليـة ومبـدأ عـدم الخنـوع (للإرهـاب) وقال: "أنها مهمة غير عادية، وقد تقع إصابات بيـن أفـراد القـوة. لـذا عليكـم أخـذ الحيطة والحـذر".

غير أن أمرا ما لم يكن متوقعا حدث فجأة. فقـد بعـث أحـد أبـراج المراقبـة بمعلومات تتحدث عن سيارة حمراء اللون، تسير باتجاه البيـت، ثـم تتوقـف بـالقرب منه. ينزل منها شخص ما، وبيده كيس يدخل المنزل ثـم يخـرج دون الكيـس، يسـتقل السيارة ويغـادر.

أمر براك بمطاردة المشبوه واعتقاله على مسـافة بعيـدة مـن المـنزل، ولمـا تم إلقاء القبض عليه، انهار وانفجر بالبكـاء وقـال أنـه لا علاقـة لـه بالخـاطفين ولا يعرف شيئا عن العملية، وأنه كلف فقط بإحضـار وجبـة مـن الطعـام. وقـد توسـل

إليهم ليبقوا على حياته مقابل أن يعود إلى الخاطفين، ويحاول إقناعهم بإطلاق سراح فاكسمان، بيد أن المحققين تشاوروا فيما بينهم، وأعلموا رئيس هيئة الأركان، وجدعون عزرا، بأنهم لا يثقون بالمعتقل.

عملية إنقاذ فاشلة

في تلك الأثناء، كانت القوة بقيادة النقيب (نير بوراز)، قد بدأت تحركاتها.باتجاه المنزل حاول أفراد القوة الدخول عبر السطح، بيد أنه كان مغلقا، فاتجهوا إلى شرفة المطبخ، غير أن ضجتهم أثارت انتباه الخاطفين، الذين بدأوا بتبادل إطلاق النار مع أفراد القوة. ولقد أسفرت العملية عن مقتل النقيب بوراز وإصابة عدد من أفراد القوة بجروح، ومن ثم مقتل الجندي فاكسمان والخاطفين..

لقد كانت ليلة قاسية ومؤلمة بالنسبة لرئيس هيئة الأركان، الجيش والدولة على حد سواء. وقد اقترح وزير الدفاع، اسحق رابين، عقد مؤتمر صحفي في تل أبيب، ووافق براك على ذلك وقال "المسؤولية تقع على عاتقي.

عملية ديزنغوف

بعد فشل عملية الإنقاذ بأسبوع، شارك رئيس هيئة الأركان في تحقيق موسع أجري في دورية هيئة الأركان، وخلال التحقيق، وصل تقرير عاجل: " عملية في (خط ٥) في شارع ديزنغوف في تل أبيب". غادر براك الغرفة واتجه إلى تل أبيب. كان الدخان ما يزال يتصاعد من الحافلة المشتعلة، وإلى جوارها جثث القتلى، لقد كان الوضع مؤلما بالنسبة له، لا سيما وأنه سينهي مهام منصبه كرئيس لهيئة الأركان في غضون شهرين، وفي ظل هذه الظروف القاسية.

بيد أن الظروف شاءت لايهود براك، أن يحظى بحضور حدثين مهمين، ربما لا يتوقعهما مع دخوله هيئة الأركان قبل أربعة أعوام. فقد حضر مراسيم التوقيع على اتفاق السلام بين إسرائيل والأردن، وكان أول رئيس هيئة أركان يلتقي علنا، رئيس هيئة الأركان السوري.

وخلافا لاتفاق السلام مع عرفات، الذي توصل إليه وزير الخارجية بيرس ورجاله، كان السلام مع الأردن إنجاز شخص واحد فقط- اسحق رابين. وكان براك بين القلة القليلة، الذين عرفوا أسرار الاتفاق.

تعرف براك إلى الملك الحسين خلال لقاء سابق جرى في لندن إبان حرب الخليج، وكان قد تعرف إلى شخصيته قبل ذلك، من خلال التقارير الاستخبارية التي وضعت على مكتبه، منذ سنوات طويلة. وإذا كان من الصعب على رئيس هيئة الأركان- الذي قاد عشرات العمليات الجريئة ضد (الإرهاب)- مصافحة ياسر عرفات، فإن مصافحته للملك كانت أبسط بكثير.

اصطحب رابين براك معه في بعض زياراته السرية إلى العاصمة الأردنية عمان ومدينة العقبة. وعندما تم توقيع اتفاق السلام، في وادي عربة في السادس والعشرين من تشرين الأول ١٩٩٤ بين إسرائيل والأردن، برعاية الرئيس الأمريكي، بيل كلينتون، كان براك يتابع كل حركة من تحركات رئيس الحكومة، اسحق رابين.

في أحد لقاءاته به قبيل اعتزاله الخدمة، من الجيش سأل براك عن خططه المستقبلية فقال: "أريد أن أخرج في إجازة مع زوجتي نافا وبناتي بعد ذلك سأتوجه إلى مجال الأعمال".

رابين: "وبعد ذلك".

أدرك براك ما يرمي إليه رابين وعرف أنه يقصد الحياة السياسية، فرد عليه قائلا: "ينبغي أن أدرس الأمر بحذر".

رابين: "ايهود سأفتقدك. وعلى أية حال، أريد رؤيتك إلى جانبي، أنا أعتقد أنه ينبغي عليك الدخول إلى الحياة السياسية إلى الحكومة.

شكره براك، لكنه لم يلتزم أمامه بشيء.

لقد كان رابين بالنسبة له رجل الأمن، الرمز المسؤول، المتزن والحاسم والشخص الذي يستمع إلى من حوله، وكان يشعر بالغبطة، عندما كانوا يهمسون

من ورائه ويقولون بأنه (توأم رابين). كذلك، ألمح رابين وفي أكثر من مرة، إلى أنه يرى في شخص ايهود براك وريثا لـه.

وبعد أيام فقط من اغتيال اسحق رابين، سمع براك من ليئا رابين وأبناء عائلتها، أن اسحق رابين كان سيعينه وزيرا للدفاع في الحكومة التي سيشكلها عقب انتخابات عام ١٩٩٦. وكما يبدو، لم يكن لدى اسحق رابين شك، في أنه سينتصر على بنيامين نتنياهو في انتخابات ١٩٩٦، وعرف أيضا أنها ستكون آخر فترة ولاية له. لذا، كان يعتزم خلال سنوات الحكم الأربع الأخيرة، تأهيل براك كخلف لـه.

كان السلام مع الأردن مهما، بيد أن رابين كان يرنو إلى تحقيق ما هو أهم: السلام مع سوريا، ولقد شارك براك في الخطوات الأولى على المسار السوري، وعهد إليه اسحق رابين، في إحدى المحادثات، أن يطرح خطة الأمن الإسرائيلي، كما يراها هو، تمهيدا لتسوية سياسية محتملة في هضبة الجولان، ورغم ذلك، كان يتمنى كرئيس هيئة أركان، أن يحظى بحضور المسيرات الأخيرة قبيل إنجاز هذا السلام.

لقد اشتملت الخارطة التي قدمها براك على عدة بدائل، بيد أن أيا منها لم يتحدث عن إمكانية انسحاب كامل من هضبة الجولان. وكان أهم خيار يتصدر سلم الأولويات –حسب رئيس هيئة الأركان– تواجد الجيش الإسرائيلي على نصف منطقة هضبة الجولان، على الأقل. وأسوأ البدائل، الاحتفاظ بهوامش أمنية تقدر ببضعة كيلومترات في منطقة الهضبة وعلى طول بحيرة طبريا وبصورة أساسية جبل الشيخ.

وقد سمح رابين لايهود براك، بطرح وجهة نظره خلال جولة قام بها في الولايات المتحدة الأمريكية. كان اتفاقا مسبقا بينهما للإلماح للرئيس السوري، حافظ الأسد بأنه إن لم يسرع سيتأخر.

أثارت أقوال براك سخط عدد من المسؤولين في الحكومة، وأبدى بيرس تحفظه إزاء المواقف المتصلبة التي يطرحها رئيس هيئة الأركان في واشنطن.

بيد أن رابين لم يتراجع وقال: "أنـــه رأى بــراك، ومـــن الأفضـــل أن يطرحـــه". وقـــد كانت أقواله بمثابة رســالة واضحــة إلـــى الرئيـــس الأسـد: إذا أردت دخـــول مســـيرة سلام جديدة، فقد تكون هذه الفرصـــة الأخـــيرة".

في تلك الأثناء، بدأ وزير الخارجية الأمريكي جولـــة مكوكيـــة بيـــن إســـرائيل وسوريا، تمخضت عـــن إجــراء لقـــاءات ســرية بيـــن الســفير الإســـرائيلي (ايتمـــار رابينوفيتش) والسفير السوري (وليد معلم)، فـــي واشـــنطن.

شـــهدت الاتصـــالات الســرية حـــالات مـــن المـــد والجـــزر، وقـــد أوضـــح الأمريكيون، أن الأسد، طلب من كريســـتوفر ومعاونيـــه، التعمـــق أكـــثر فـــي موقـــف ورأي رئيس هيئة الأركان الإسرائيلي، ولما ســـأله كريســـتوفر عـــن ســـبب ذلـــك قـــال الأسد: " إذا عرفت ما يفكر به براك، سيكون بمقدوري تقديـــر مـــا يفكـــر بـــه اســـحق رابين، براك توأمه، وأعرف أن رابين يعـــده كوريـــث".

لم يكن براك على علم بتلـــك الأقـــوال، وفـــي لقاءاتـــه العديـــدة إلـــى جـــانب رابين وعدد من كبار الشخصيات في هيئة الأركان مـــع الطـــاقم الأمريكـــي، لـــم يخـــف الأمريكيون تحمســـــهم إزاء أســـــلوب طرحـــه لمواقفـــه، بيـــد أنـــهم زعمـــوا بانـــه متصلب للغاية. وفي كل مرة كـــان يقـــول: "باعتبـــاري رئيـــس هيئـــة الأركـــان، لـــن أوصي بالانســـحاب من هضبـــة الجـــولان، لكننـــي ســـــأوافق علـــى أي قـــرار يتخذه الكادر السياســـي.

تمخضت الاتصـــالات الســـرية عـــن الاتفـــاق علـــى إجـــراء لقـــاءات علـــى مستوى كبار الضباط، ورتب الأمريكيون لسلســـلة مـــن اللقـــاءات تبـــدأ بايـــهود بـــراك وسفير سوريا في واشنطن وليد معلم" ثـــم الســـفير الإســـرائيلي فـــي واشـــنطن ايتمـــار رابينوفيتش مع رئيس هيئة الأركان الســـوري، وفـــي الجولـــة الثانيـــة فقـــط، ســـيلتقي رئيسا هيئتي الأركان الســـوري والإســـرائيلي.

تقرر إجراء اللقاء بين براك والســـفير الســـوري فـــي واشـــنطن فـــي الثـــالث من تشرين الثاني ١٩٩٤ فـــي (بلـــير هـــاوس). وقـــد تنكـــر بـــراك ومعـــه الســـكرتير

العسكري لرابين، داني يتوم، بهيئة رجلي أعمال، وحلقا إلى أوروبا، ومن ثم إلى واشنطن، دون أن يتسرب أي نبأ إلى وسائل الإعلام الإسرائيلية.

كانت المصافحة بين براك ومعلم رسمية وسريعة. وقد استهل معلم- دبلوماسي قديم ومحترف ومن أشد المقربين من الرئيس الأسد- الاجتماع بخطاب قصير حول الموقف السوري الذي يقوم على مبدأ الانسحاب حتى خطوط الرابع من حزيران ١٩٧٦، لكنه لم ينطق ولو مرة واحدة، بكلمة سلام.

من جانبه، طرح براك النظرية الأمنية الإسرائيلية ، حيث تحدث عن نزع السلاح من مناطق واسعة على جانبي الحدود وعن منطقة فاصلة بعمق ١٢-١٥ كم في الحدود الشرقية لهضبة الجولان، تواجد أمني إسرائيلي في الجولان، إقامة محطات إنذار إسرائيلية في عمق الأراضي السورية، محطات إنذار سورية في الجليل، قوات دولية وعلى رأسها قوات أمريكية، للحفاظ على الأمن،وتسوية متعددة السنوات لبناء الثقة المتبادلة.

بدا السفير السوري شاحب اللون، وانتهى اللقاء بمصافحة أكثر فتورا وقد كان فضول الجانب الإسرائيلي شديدا لمعرفة طبيعة الرد السوري، وكانت هناك مخاوف إزاء إمكانية إلغاء لقاء رئيس هيئتي الأركان، بيد أن الأسد فاجأ الجميع هذه المرة، ولم يلغ الاجتماع.

توجه ايهود براك، داني يتوم ورئيس شعبة الاستخبارات، اللواء أوري ساغي ثانية إلى واشنطن، متنكرين بهيئة رجال أعمال بسطاء. كان الوفد السوري- رئيس هيئة الأركان الشهابي، السفير معلم ومترجمة سورية تعمل في ديوان الرئيس الأسد- بانتظارهم في (بلير هاوس).

بدأ الاجتماع، جلس براك والشهابي متقابلين. تبادلا النظرات، لم تكن بينهما أسرار. فكلاهما يعرف الآخر من الملفات الاستخبارية. وقد استكمل براك معلوماته عن الشهابي من السفير رابينوفيتش، الخبير الإسرائيلي في شؤون نظام البعث والرئيس السوري، كان الشهابي من أشد المخلصين للأسد، وقد كان في السابق ضابطا رفيع المستوى في استخبارات سلاح الجو السوري. وقبل ذلك

بعشرين عامـــا، حقــق مــع الطيــارين الإســــــرائيليين الذيــن وقعــوا فـــي الأســر الســـوري، والذين بذل ايهود براك، كقائد لدوريـــة هيئــة الأركـــان، جــهودا مضنيــة لإطلاق ســراحهم.

استهل ايـــهود بـــراك الاجتمـــاع-وكـــان الوحيـــد الـــذي تحـــدث فـــي الوفـــد الإسرائيلي- بالثناء على الرئيس حافظ الأسد وعلـــى اســتعداده للانضمـــام إلـــى ركـــب المسيرة السلمية. توجه إلى الشهابي واقترح أن يتحدثا كجنـــدي إلـــى جنـــدي.

أصغى الشهابي بذهول، عندما بدأ بـــراك الحديـــث عـــن نـــزع الســـلاح مـــن مناطق واسعة في هضبة الجولان وتقليـــص كبـــير فـــي حجـــم القـــوة الســـورية بيـــن دمشق وهضبة الجولان. لقد طرح براك نظرية لتقســـيم ســـوريا إلـــى أجـــزاء، منـــاطق منزوعة السلاح، مناطق محددة القوات ومنـــاطق محـــدودة التســـلح.

بدا الشهابي قليل الصبر وقال: "إن الموقـــف الســـوري ينـــص علـــى وجـــوب انسحاب إسرائيلي من هضبة الجولان إلى حـــدود الرابـــع مـــن حزيـــران ١٩٦٧، ولـــن نتنازل عن سنتمتر واحد من الأراضـــي الســـورية".

ظلت الأجواء كدرة حتـــى الظـــهيرة، وقـــد تنـــاول كـــل وفـــد طعـــام غدائـــه منفردا، بيد أن الجولة الثانية للمحادثات اتسمت بشيء من الـــهدوء. فقـــد طـــرح بـــراك قضية محطات الإنذار كمركب أمني ضـــروري تحســـبا لأي هجمـــة ســـورية مفاجئـــة، وقد استمع الشهابي ودون ملاحظاتـــــه.

وبـــهدف إضفـــاء شـــيء مـــن المصالحـــة علـــى أجـــواء الاجتمـــاع، دعـــا الأمريكيون الضباط للقاء غير مخطط مع الرئيـــس الأمريكـــي، بيـــل كلينتـــون، حيـــث تحدث عن فرصة لإنجاز سلام تاريخي، ســـلام الشـــجعان.

انتهى اللقاء وقـــال الشـــهابي: "ســـنطلع الرئيـــس الســـوري علـــى مجريـــات الأمور، وســـنخبره بإمكانية اســـتئناف المحادثـــات" شـــعر ايـــهود بالرضـــا، لكنـــه كان يعرف أنها الخطوة الأولى فقط علـــى طريـــق صـــــراع شـــــاق، علـــى كـــل متر في هضبة الجـــولان.

عاد الشهابي ومعلم إلى دمشق وأطلعا الرئيس السوري على أقوال براك بشأن نزع السلاح وتخفيض مستوى القوات السورية من دمشق وحتى الهضبة، فاستشاط غضبا.

وقد نقل وزير الخارجية الأمريكي وارن كريستوفر، الذي التقى الأسد بعد ذلك بوقت قصير، عن الأسد قوله: "يريد براك نزع السلاح وإبقاءنا دون جيش حتى الحدود التركية".

واحتجاجا على تلك الأقوال، قرر الأسد تجميد المحادثات، وعاد السفير معلم إلى دمشق لبضعة أسابيع تعبيرا عن عدم شعور الأسد بالرضى. بيد أن كريستوفر أعرب عن تقديراته بأن الأسد سيهدأ وسيستأنف المحادثات.

كان رابين راضيا عن المواقف التي طرحها ايهود براك. وفي إحدى لقاءاته معه، قبل أن ينهي مهامه كرئيس لهيئة الأركان، اقترح رابين أن يترأس براك-كمدني- الوفد الإسرائيلي الأمني. وقد أعجبت الفكرة براك، بيد أنه طلب من رابين التنازل عن الفكرة، كي لا يمس بشعور رئيس هيئة الأركان الجديد، أمنون ليفكين شاحك.

وهكذا، يكون براك قد أنهى ٣٥ عاما بالضبط من الخدمة في الجيش الإسرائيلي.

الفصل الحادي والعشـــرون

براك في حزب العمل

رابين رأى في أيهود وريثا له ورامون خلفا لبيرس

كلما اقترب موعد تسريح ايهود بـــراك مـــن رئاسـة الأركــان كلمــا ازدادت الشائعات حول انضمامه إلى حزب العمل ، وحول اعتزام رابيـــن إقحامـــه فــورا فــي قيادة الحزب . وكان هو أيضا يدرك أن هذا مـــا ســيحدث فعـــلا .

لقد تبلورت الفكرة ، بـادئ ذي بـدء ، لــدى اسـحق رابيــن ، الــذي شــرع يتحدث خلال حواراته مع مقربيه عن ضرورة تدعيــم الحــزب بقــوى خارجيــة لقــد بدأت اســتطلاعات الرأي العام في نهاية عام ١٩٩٤ بـــالميل لصـــالح نتنيــاهو ، ممــا جعل رابين يشعر أن هناك شيئا ما ناقص . وشعر أحيانــا أنـــه معــزول فــي مواجهــة شمعون بيرس ، واوري سابير، ويوســـي بيليــن ، ممـــا يســتدعي بــأن يكــون إلــى جواره (رجل أمني قوي يدعمـــــه).

وكان براك مرشحا طبيعيا قادرا على تمكيــن رابيــن مــن إنعـــاش الحــزب ، وتعزيزه، والتأكيد على طابعه الأمنـــي، ومنــح الجمـــاهير شــعورا بـــالتجدد والأمــل. كان رابين يقدر براك، ويقدر رئيس الأركان الجديد ، الــذي تــم تعيينـــه بعـــده "أمنــون ليفكين شاحك ". أحب في براك قدرته التحليليـــة، كمـــا أحــب طبيعـــة تفكــيره، وأدرك أن طبيعة تفكيره قريبة منه، لذا، قال: أريد هذا الرجـــل إلـــى جـــواري .

لقد كان رابين يدرك أنه يعد وريثـــا لـــه ، علـــى الرغـــم مـــن أن أيـــا مـــن زعماء الحزب السابقين لم يعد مثل هذا الوريث. وكـــان يـــدرك أنـــه لـــن يبقـــى هـــو وشمعون بيرس إلى الأبد. وقد قال لأحـــد مقربيــه .. ربمـــا نبقـــى ســنة ، ســنتين ، أربعا، لكننا لن نبقى للأبد، وسنضطر في مرحلـــة معينـــة، لإخـــلاء الطريـــق للقـــوى الجديدة. لذا يجب أن نهتم بإعداد الورثـــة، ولا يجـــب بـــأي حـــال أن نـــترك الحـــزب مشـــلعا .

كان الوريثان المرشحان همـــا: (ايـــهود بـــراك) و(حـــاييم رامـــون)، واعتقـــد رابين أن الدمج بين التجربة الأمنية، والهالة التي تحيـــط بـــبراك وبيـــن الشـــعبية التـــي يحظى بها رامون سيقدمان الرد الانتخابي اللازم للحـــزب. لقـــد كـــان بـــراك ورامـــون من وجهة نظره، هما رابين وبيرس للجيـــل الحزبـــي الجديـــد. وتشـــاور رابيـــن مـــع العديد من مقربيه بمن فيهم (جيورا عيني) – فجـــاءت النتـــائج إيجابيـــة. وقـــد جعلتـــه

المشاورات التي أجراها مع (عيني)– المقـــرب إلــى بـيرس. والوسـيط فــي حــل النزاعات التي كانت تنشب بينهما – يدرك أن هنـــاك ضــرورة لإشــراك بــيرس فــي العمليــة .

وهكذا ، تم تحديد لقاء ثلاثي بين رابيـــن وبـيرس وعينــي ، وطــرح رابيــن الأفكار آنفة الذكر، فوافق عليها عيني، وأيدهــا بــيرس بحمــاس. وهكــذا، تــم تمــهيد الطريق لإحضار ايهود براك إلى الحــزب. ولــم يبــق ســوى حــل المســائل الفنيــة، والتحدث إلى براك نفســـه .

حال تسريحه، قرر براك بعد التشاور مــع مقربيــه ألا ينخــرط فــي السياســة فوراً، بل أن يسافر مع عائلته إلى الخارج للتمتـــع بوقــت مــا بعــد التســريح، وبعــد خدمة عسكرية دامت خمسا وثلاثين عامـــا. وفــي الأول مــن كــانون الثــاني ١٩٩٥، أنهى براك خدمته، وبدأت العائلة تستعد للسفر إلى الولايـــات المتحــدة لقضــاء إجــازة طويلة وبعد أسبوعين من تسريحه دعي إلى مكتـــب رئيــس الحكومــة اســحق رابيــن سرا ، وهناك ، قال له رابين "نحــن نطلــب منــك أن تــدرس فكــرة الانضمــام إلــى الحزب . ستنضم إلى الحزب ،وتحصل على مكانـــة وزيــر، وعضويــة فــي المجلــس الوزاري المصغــر، والمشــاركة فــي إدارة المفاوضــات. إن الاقــتراح الــذي أقدمــه إليك يأتي تأسيسا على رأيي ورأي شـــمعون بــيرس، لقــد تحدثــا فــي هــذه القضيــة واتفقنا حولها. وآمل أن تتفق معنا فـــي آرائنــا السياســية والأمنيــة، أنــا أعتقــد أننــي اعرف آراءك وأقدرك حق قـــدرك ".

قال براك : أنا موافق ، بيـــد أن القــانون ينــص علــى ضــرورة أن يكــون هناك هامــش زمني فـــاصل بيــن التســريح مــن الخدمــة والانخــراط فــي الحيــاة السياســية .

فقال رابين : أنا أعرف ذلك، سنرسل إليك شخصا مـــا، وهــو ســيقوم بــترتيب كــل هذه الأمور معــك .

في أعقاب هذا اللقاء، توجه براك للقــاء شــمعون بــيرس، الــذي قــال لــه: " نعم، هذا رأيي أيضا نحن بحاجــة إليــك ".

أدرك براك، أن الأمور قد اتخذت في نهاية المطاف منحاها المؤكد. وبعد فترة وجيزة عقد احتفال بمناسبة تسلم شاحك رئاسة الأركان وتسريح براك حضرته كل القيادة العسكرية، ورئيس الحكومة أيضا، وبينما كان براك يقف مع مجموعة من مقربيه، قال رابين:" نريد أن ينضم براك إلينا "، ثم اتجه إلى الصحفية (نيبا ليز) ، صديقته، وقال:"أرجو أن تذهبي الآن إلى ايهود وتقولي له ألا يسافر إلى الولايات المتحدة ، وأن يبقى هنا".

قالت ليز: هل غدا مناسب ؟؟ فقال رابين : نعم، مناسب ، أرجو أن تتوجهي إليه وتقولي له: ألا يؤسس لنفسه أي عمل في الولايات المتحدة، لا أستطيع أن ألتزم الآن بتعيينه في مكان معين، بيد أننا نريده .

ذهبت ليز في الساعة السادسة من مساء اليوم التالي إلى براك، ونقلت إليه ما قاله رابين، فقال إنه مضطر للسفر إلى الولايات المتحدة، وقال شيئا ما عن العروض المقدمة له للالتحاق بمركز الأبحاث الاستراتيجي في واشنطن، ووعد بالعودة في غضون عدة أشهر .

تحدثت ليز مع رابين هاتفيا ، فأرسلها بعد أسبوع مرة أخرى إلى براك، وحاولت أن تؤكد على برنامج زمني، بيد أنه اتضح لها أن براك سيسافر إلى الولايات المتحدة وسيعود .

استدعى رابين عيني، وطلب منه أن يذهب ويفهم منه كل ما يريد، وقال له صراحة :"براك هو الوريث للجيل القادم ،وهو الزعيم الذي سيقود الحزب مع آخرين باتجاه الألفين " .

وفي اللقاء بين عيني وبراك، أوضح له عيني جميع الجوانب الفنية لإنهائه الخدمة، وانضمامه إلى حزب العمل، والهامش الزمني الفاصل بين العمليتين. وقال له:"رابين وبيرس متفقان في الرأي تجاهك، إنهما يعدانك كي تصبح جيل التواصل المستقبلي للحزب، وستكون أنت الركيزة التي ستقود الحزب قدما. أنت معد كي تصبح الزعيم القادم للحزب، وإذا سارت جميع الأمور كما

يجب، فلا يوجد أي سبب يحول دون ذلك، هناك جيـــل جديـــد مـــن الشـــبان التواقيـــن، ويجب أن تكون أنت سند بيرس ورابين فـــي مواجهتـــهم ".

لقد راقت هذه الأقوال لبراك ، وأدرك أنه ســـيكون الثقـــل المـــوازي لرامـــون وعوزي برعام وبن اليعيزر وشـــوحط . وأن عليـــه أن يســـاعد رابيـــن وبـــيرس فـــي قص أجنحتهم . كما أدرك أن اتفـــاق بـــيرس ورابيـــن حولـــه، لـــم يـــأت لإعجابـــهما بعينيه الجميلتين، بل لأنهما كانا بحاجة إلى دعم للحكومـــة عـــبر ضـــم رئيـــس أركـــان قوي، وذي شخصية أمنية، لمواجهة الحســـم السياســـي الصعـــب القـــادم، أضـــف إلـــى ذلك، أن رابين كان يرغب في تعزيز الجنـــاح الأمنـــي الرئيســـي فـــي مواجهـــة تـــأثير الحمائم المتزايد، والمتمثل في شمعون بـــيرس ويوســـي بيليـــن .

قبل سفره، أســـس بـــراك بالتعـــاون مـــع شـــقيق زوجتـــه دورون كوهيـــن ، شركة أعمال باسم (**Essence**) وطبع بطاقـــات باســـمها .

وبعد أن أتم جميع الاتفاقيات والتفاهم بينـــه وبيـــن رابيـــن بوســـاطة (عينـــي) حزم حقائبه وزوجته، واتجه إلى الولايـــات المتحـــدة .

وهناك، اتجه إلى مركز الأبحاث الاســـتراتيجي فـــي واشـــنطن ، الـــذي كـــان رئيس الأركان الأميركي (باول) قد ساعده فـــي العثـــور علـــى عمـــل فيـــه، وحصـــل على مكتب خاص به، ومساعد للأبحـــاث يدعـــى دان مجـــدر، وهـــو شـــاب يـــهودي. ومن الجدير بالذكر أن مجدر هاجر إلـــى إســـرائيل فيمـــا بعـــد، وتطـــوع للعمـــل فـــي مكتب براك، وساعده في الفوز في الانتخابـــات برئاســـة الحـــزب .

أخذ براك العمل في المركز بجدية تامـــة، واهتـــم بصـــورة خاصـــة، بمجـــال النفط فـــي الشـــرق الأوســـط ، ومـــدى تـــأثيره علـــى السياســـات العالميـــة ، وألقـــى محاضرات ، وأعد دراسات وأبحـــاث .

الفصل الثاني والعشـــــرون

مواجهة تليفزيونية مباشرة

دافع عن نفسه بجدارة واعتبره الرأي العام صادقاً

عاد براك وعائلته إلى إسـرائيل بعد عدة أشهر قضاها في الولايات المتحدة ، فوجد كومة من الاقتراحات على مكتبه للانخراط في مجالات عمل مختلفة ، بيد أنه كان يرد كل جهة بالقول : إن من المتوقع أن يتغير وضعه قريباً ، مما يجعله غير مناسب لمثل هذا العمل.

أضف إلى ذلك، أن شركة (Essence) التي أقامها مع صهره، كانت تسير على ما يرام، رغم إدراكهما أنه سيضطر قريباً لإغلاقها لنفس السبب .

وخلال فترة الانتظار، سافر إلى الصين مع صهره للاتفاق على بعض المشروعات التي كان يبدي اهتماماً بها .

بدأت اللقاءات مع عيني تعود إلى السطح من جديد ، وقد اقترح عليه رابين خلالها تسلم منصب وزير الداخلية، إضافة إلى تعيينه عضوا في المجلس الوزاري المصغر، والمشاركة في إدارة المفاوضات مع الفلسطينيين. بدأ براك يشعر بالإحباط إلى حد ما، فقد كان يتوقع تلقي عرض أفضل يمكنه من تجسيد تاريخه العسكري، وفي نفس الوقت كان يدرك أنه ليس في حوزة رابين، في الآونة الحالية ملفات وزارية أفضل، كي يعرضها عليه.

عقد براك اجتماعا تشاوريا مع مقربيه وصهره لاتخاذ قرار فيما، إذا كان عليه قبول المنصب المعروض عليه، أم أنه يتوجب إجراء مفاوضات متشددة رغم الخوف من أن تؤدي مثل هذه المفاوضات إلى الحيلولة دون التحاقه بالحزب ؟؟

وقال : لقد عرض علي رابين وزارة الداخلية وعضوية في المجلس الوزاري المصغر، والمشاركة في المسيرة السلمية ، وأنا أعتقد أن علي قبول العرض .

بيد أن المشاركين لم يكونوا جميعا متفقين في الرأي ، حيث قال له عيدو ديسنتيش – أحد المقربين لرابين " لا يجب أن تقبل، إن المنصب الملائم لك هو وزارة الدفاع، هناك مكانك الطبيعي، وفي هذا المنصب ، تستطيع مساعدة رابين على مواجهة الإرهاب، والمشاكل " .

وقال يوني كيرن – مدير مكتبه إبان شغله منصب رئيس الأركان : " وزارة الداخلية ستميع مكانتك كرئيس أركان سابق عسكري ، يجب أن تطالب بوزارة الدفاع " .

بيد أن براك كان يدرك أنه لا يستطيع رفض العرض الذي قدمه رابين، كما أنه درس طبيعة عمل وزارة الداخلية ،وقال : " أستطيع عمل الكثير من مكاني ، في هذه الوزارة، فسوف يصبح لدي تأثير قوي على قضايا قومية، وسأصبح قريباً من جميع الأمور، وسأشارك في المفاوضات السياسية، واعتقد أنه يجب علي قبول العرض " .

وبعد عدة أيام ، نقل لرابين ، عبر عيني ، رداً إيجابياً حول المناصب المعروضة عليه، وتم الاتفاق على أن يتسلم منصبه الجديد في نهاية شهر تموز أو مطلع آب، أي حينما تنتهي فترة الأشهر الثلاثة الفاصلة بين منصبه العسكري وتسلمه لأي مهمة جديدة .

حادثة " تسأليم "

تعكر الأجواء

لم يبق سوى إنهاء بعض الجوانب التقنية، وخصوصا بالنسبة لشركته، وكان عليه السفر إلى الصين لإنهاء بعض الارتباطات، لكن في تلك الآونة بدأت الأرض تميد تحت قدميه .

كانت جريدة "يديعوت احرونوت" قد استكملت في تلك الآونة تحقيقها في قضية "تسأليم"، وبدأت تستعد لنشرها، وعلم براك بذلك، بيد أنه لم يولها اهتماماً، لأنه لم يكن يدرك ما الذي يخبئه له التحقيق .

كان يفترض أن يتم نشر النتائج في" يديعوت احرونوت"، وفي التلفزيون، بيد أن مسئولي التليفزيون قرروا، في أعقاب دراسة التحقيق، أن يجروا لقاءاً مع براك، ومع بعض مقربيه، وعدم نشر التحقيق. وقبل سفره،

وجهت إليه الصحيفة عدة أسئلة، بيد أنه لم يرد عليها، ووجه الأسئلة إلى الناطق العسكري، وسافر إلى الصين .

وإبان تواجده هناك، نشرت الجريدة التحقيق وأثارت هزة أرضية وموجة إعلامية هائلة .

فقد أفادت التحقيقات أن ايهود براك رئيس الأركان ،وأكثر الضباط الإسرائيليين استحواذا على أوسمة، متهم: بترك الجرحى في تساليم، والفرار من موقع الكارثة .

تلقى براك النبأ في الصين خلال الاتصال الهاتفي الذي أجراه معه كيرن. وبعد يومين تلقى بالفاكس، صورة عن تحقيق الصحيفة. وما كاد يقرؤه، حتى غلى الدم في عروقه، وقال لكيرن: يجب أن يرد الناطق العسكري على هذا النبأ فورا، أرجو أن تتصل بالناطق العميد عاموس جلعاد .

وسأل براك كيرن: هل تعتقد أن الأضرار التي ألحقوها بي جسيمة ؟؟ هل يجب أن أعود فورا ؟؟ فأجابه كيرن :"لا ، لا يجب أن تعود فورا، ينبغي إلا تبدو في حالة فزع".

بدأ براك، من الصين، بإجراء سلسلة من المشاورات : هل يجب أن يعود، كيف يجب أن يتعامل مع الصحيفة ؟؟ هل يشن عليها هجوما كاسحا ؟؟

ولم تقتصر الآثار على براك وعائلته، بل تجاوزتهما إلى حزب العمل، فقد بدأ بعض الشخصيات يلمحون لرابين أن براك ليس كنزا انتخابيا، وخصوصا في أعقاب ما نشر حول تساليم، ونصحوه بأن يغض الطرف عن إمكانية ضمه إلى الحزب .

اتصل براك برابين من الصين، وسأل فيما إذا كان يجب عليه العودة فوراً أم لا، فقال له رابين: افعل ما تراه مناسبا، وأنا شخصيا لا أرى أن هناك سببا لعودتك، فأنت تعرف الحقيقة .

اتصل براك برئيس الأركان أمنون شاحك وطلب منه أن يرد على الصحيفة خصوصا وأنه كان أثناء الحادث في تساليم . وبعد ثلاثة أيام أجرى

شاحك مقابلة تليفزيونية أكد فيها كذب رواية الجريدة، وقـال إن بـراك لـم يتخـل فـي حياته عن جرحى ولم يفر من المكـان أبـداً .

لقد أظهرته الجريدة في صورة الضابط الرفيـع الـذي يقـف علـى تلـة بـلا مبالاة ، يحملق في الجرحى والجنود الذين كانوا في حالـة نـزع . ثـم يغـادر المكـان بلا مبـالاة .

ولأول مرة ، يشعر براك أنه فقد السـيطرة علـى أعصابـه ونفسـه، فجميـع الدلائل تؤكد أنه بقي على أرض المعسكر ، حتـى وضـع الجرحـى فـي الطـائرات، بل إنه ترك طائرته لشاحك، وسافر في طائرة شـاحك، كمـا أن هنـاك جـدولاً زمنيـاً لموعد إقلاع الطائرات في هيئة الأركان، لكن كـل ذلـك دون جـدوى .

لقد صفعه الواقع بشدة، فهو لم يكن معتـاداً مثـل هـذه الـهجمات الصحفيـة العميقة، لقد اعتاد طيلة حياته أن تكيل له وسائل الإعـلام الثنـاء والمديـح . لقـد قلـل من شأن الأضرار الجسيمة التي لحقت به، لذا لـم يكـن علـى اسـتعداد لمواجهـة مـا حدث فيما بعد، وهنا يكمن خطـؤه الجسـيم .

غصت الصحف بصورة مماثلـة، بشـهادات وشـهادات مناقضـة مـن قبـل الجرحى والأشخاص الذين تواجدوا آنذاك في المعسـكر. وهكـذا اتضـح لـه أن هـذه المشكلة لن تنتهي وحدهـا – ويجـب عليـه أن يـهب للقتـال بنفسـه – وأن لا يوكـل الدفاع عنه للزملاء والمؤيدين. فقرر العودة إلـى إسـرائيل مبكـراً .

وإبان المشاورات التي أجراها بينمـا كـان فـي طريقـه إلـى إسـرائيل، تـم اتخاذ قرار بأن يجري لقاءً تليفزيونياً مع القناة الأولـى فـي برنـامج (سـيحات فعيـدة) .

وفي المطار، كان بانتظاره عشرات الصحفيين بيـد أنـه مـن المتفـق عليـه، ألا يـرد على أي أسـئلة.

وفي استديو القناة الأولى ، كـان بانتظـار بـراك كبـار شـخصيات القنـاة : نسيم مشعل، ومدير عام القنـاة (مردخـاي كرشـنباوم) ، والمراسـل العسـكري الـون بن دافيد ، أما براك ، فقد جاء بصحبة دورون كوهيـن ، ويونـي كـيرن .

بدأت المشاكل منذ دخول براك غرفة المكياج، فقد طلـــب أن يمنــح لــه حــق الكلام أولاً كي يروي روايته دون أي مقاطعة، بيد أن طـــاقم التليفزيــون رفــض ذلــك رفضاً باتاً، وقال له نسيم مشعل مدير البرنامج : أنــا أمثـل خمســة ملاييــن إســرائيلي هنا ويوجد لديهم أسئلة يجب أن أوجهها إليــك . ثــارت ثــائرة بــراك ، وأراد مغــادرة الاستديو ، بيد أن كيرن هدأ من روعه. وقــال لــه مشــعل : أرجــو أن تعتمــد علــي، سأتيح لك الفرصة للإعــراب عــن وجهــة نظــرك وروايــة قصتــك، ولدينــا الوقــت الكافي لذلــك .

وعندما بدأ البرنــامج، اتضــح أن هــدوء بــراك كــان انيــا وســطحيا، لقــد تحولت المقابلة التي أجراها البرنامج في الثــالث عشــر مــن أيــار ١٩٩٥، إلــى أحــد أكبر العروض التليفزيونية التي شهدتها الشاشــــة الصغــيرة فــي حياتــها. فقــد تفجــر براك أمام النظارة، في حين حرص مشعل على دس ســؤال هنــا ، وملاحظــة هنــاك. وبدا أن معركة براك خاسرة منذ البداية، فقد اندلع لسانه غضبــــا، وتحــدث مــن بطنــه وقلبه، وصرخ، ووبخ، وحدق في الكاميرا، بعينين تقدحان جمـــرا، دفاعــا عــن حياتــه

لقد وصفت وســائل الإعــلام المقابلــة " بمســرحية الرعــب " وارتبــط اســم بــراك أثرهــا بالعدوانيــة والعنــف. بيــد أن الجمــاهير أحبــت ذلــك، وقــد أثبتــت الاستطلاعات التي جــرت فيمــا بعــد بــأن الجمــاهير صدقــت بــراك. لقــد أكــدت الاستطلاعات أن براك صادق فـــي روايتــه، ونفــت الوصمــة التــي كــادت ترتبــط باسمه، وجعلت الطريق أمامه إلى الحكومـــة ممــهدا .

الفصـل الثالث والعشـــــرون

بـــــراك .. وزيـــــراً

امتنع عن التصويت لصالح الانسحابات الإضافية مخالفا رابين وبيرس

بدا أن براك سينخرط في الحياة السياسية بسهولة فقد كان هذا الرجل الملقب "برئيس الأركان " الأكثر سياسة في تاريخ إسرائيل يعرف غالبية الكوادر السياسية العاملة، عدا عن كونه مقربا إلى الكثير من السياسيين من جميع الأحزاب ، وكان يعرف شيئاً ما حول البنية الداخلية وتركيبة دهاليز القوة في إسرائيل .

ورغم كونه عسكريا إلا أن تفكيره كان سياسياً ويتحلى بقدرة خطابية غنية، وكفاءة تحليل رائعة ومحبة خاصة للحوارات الفلسطينية الطويلة ، وتمكن ايهود براك من بناء علاقات واسعة مع العديد من السياسيين. وكان الوزراء قد اعتادوا الاتصال به والتشاور معه، وسؤاله عن رأيه في المجال الأمني .

وخلال الفترة التي سبقت انخراطه في حكومة حزب العمل، أجرى حواراً هادئاً مع يوسي بيلين توطئة لانخراط الاثنين في إطار حكومة رابين .

وخيل لبراك ، أن بيلين يسعى إلى ضمه إليه وإلى حاييم رامون ، كي يقود الثلاثة ثورة الشباب والجيل الجديد في مواجهة جيل الوسط الذي بدأ يهرم ويشيخ، من أمثال شوحط وعوزي برعام وبن اليعيزر، على الرغم من أن براك أقرب في عمره إلى جيل الوسط من جيل الشبان .

لقد كان يوم تعيينه هو ويوسي بيلين وزيرين في حكومة رابين ، بمثابة يوم عيد لحزب العمل وقد كان براك يدرك، أن رابين سيعرض اسمه واسم بيلين على مركز الحزب.

كانت أول المهام التي يتوجب عليه إتمامها ، هي بلورة طاقم شخصي مقرب منه. وكان أول المعينين هو يوني كيرن ، فقد عينه براك مديراً لمكتبه وعين (يرون يعكبس)مستشاراً رفيعا – وهو شاب متدين عمل ضابطا في شعبة الاستخبارات العسكرية إبان ترؤس براك للشعبة ، ثم حصل على رسالة الماجستير والدكتوراة في العلوم القضائية.

كان براك لا يزال غرا سياسيا، لذا كان يحتاج إلى مستشار سياسي كفء، قادر على إدارة دفة الأمور. وقد اختار لهذا المنصب شابا مغمورا يدعى

رولي بوندي بتوصية من عيني. ومن الجدير بالذكر أن بوندي لا زال مع براك حتى اليوم . وبقي منصب المساعد الشخصي، فمنحه لأمير تماري، وهو جاره، وحاصل على الليسانس في العلوم السياسية والحقوق . وقد أوصى به صهره .

وفي نهاية آب ١٩٩٥ تسلم براك منصبه وزيراً للداخلية. وبعد حوالي شهر، جمع جميع رؤساء البلديات والمدن والقرى في إحدى القاعات الكبيرة في تل أبيب ، وقرأ عليهم خطاباً مؤلفاً من أربع وعشرين صفحة ، حلل فيها فهمه ، ما يتعلق بوزارة الداخلية، وحل المشاكل والميزانيات، والمهام التي يلقي بعبئها على نفسه وعلى مكتبه، وأساليب العمل .

كان براك، وعلى عكس غالبية الوزراء، يدرك التفاصيل، وبوصفه رئيساً للأركان، في فترة إجراء المفاوضات السلمية، فقد كان مطلعاً على الكثير من الأمور، وإن لم يكن دائماً راضياً عن الخطوات المتبعة .

وقبل التصويت في الحكومة، عاش ليلة صعبة للغاية، فقد كان يدرك أنه لا يستطيع التصويت لصالح القرار. وقد اجتمع لهذا السبب في غضون الأسبوع الماضي مع بيرس ورابين ، ورغم أنهما كانا يدركان موقفه تمام الإدراك . إلا أنه أراد إعطاء نفسه فرصة أخرى . وخلال لقائه مع بيرس ، قال له : لن أستطيع التصويت لصالح الانسحابات الإضافية، وقد أبدى بيرس استياءً شديداً ،وثار بين الاثنين جدل شديد .

أما رابين فقد أصغى إليه حينما قال له ذلك بهدوء، ولم يعقب .

ولم يخف براك رأيه خلال الاجتماعات المغلقة، فقد أبدى معارضته لأسلوب الانسحابات السريعة . وقال إن تسليم الفلسطينيين غالبية مناطق الضفة الغربية والقطاع في غضون عام ونصف العام ، وقبل بدء مناقشة القضايا الصعبة المتمثلة في القدس ، وحق العودة ، والحدود الدائمة .. إلخ – يعتبر خطأ تكتيكياً جسيماً . "فمناطق الضفة الغربية هي أفضل ورقة مساومة في أيدينا وها نحن نتخلى عن هذه الورقة قبل أن تبدأ المساومة الحقيقية. واقترح إطالة مدة الانسحابات ، ونشرها على المدة الفاصلة حتى الانتهاء من النقاشات حول التسوية

الدائمة أو تقديم التسوية الدائمة ، بحيث يتم تنفيذها في نفس الوقت الذي ستسلم فيه الأراضي ، أو خلال زمن قريب منها .

كان براك يدرك أن من الصعب إقناع شمعون بيرس ، بيد أنه كان يأمل أن يجد أذنا صاغية لدى اسحق رابين ، الذي كان بينهما لغة مشتركة معه . لكن آماله خابت ، حيث أصغى رابين إليه ، لكنه لم يقتنع .

لم يغمض لبراك جفن ليلة التصويت على القرار وكان يقول لنفسه : هذا أول تصويت لي في الحكومة، ويجب علي أن أصوت ضد الرجلين اللذين يقودان المسيرة، وأدخلاني إلى الحكومة وفي نفس الوقت لا أستطيع التصويت لصالح القرار .

وكان براك يدرك أن التصويت ضد القرار سيعتبر بمثابة تحد لرابين وبيرس، بل وبمثابة خيانة لهما، لكنه وكلما قتل الوضع تمحيصا ودراسة، كلما أدرك، أكثر فأكثر، أنه لا يستطيع أن يكذب على نفسه .

بدأت الجلسة في التاسعة صباحا، وأعطي لبراك حق الكلام في نهايتها، فقام وألقى خطابا مطولا برر فيه موقفه ، وعندما راقب وجوه الوزراء المرهقة، لم يلاحظ تفهما لما يقول غير لدى يوسي سريد ومائير شطريت .

وأجمل كلمته بالقول : لقد أصغيت إلى كلمات الوزراء، خلال النقاش، وأنا أدرك المزاج السائد وأعرف ماهية القرار الذي ستتخذه الحكومة اليوم، ورغم ذلك لا أستطيع أن أصوت لصالح القرار .

كان براك على قناعة بأن اسحق رابين يعرف بأنه يعتزم التصويت ضد القرار أو سيمتنع عن التصويت . حينما وصلته ورقتان صغيرتان ، احداهما من مني حريش والثانية شوحط ، وقد كتب الاثنان له :" لا تصوت ضد القرار، ولا تمتنع عن التصويت، أنت ترتكب خطأ جسيما، يجب أن تؤيد رئيس الحكومة " .

وحينما حلت لحظة التصويت امتنع براك وشطريت عن التصويت على القرار، في حين وافق باقي الوزراء عليه. وبينما الحكومة لا زالت منعقدة، خرج رئيس الحكومة من غرفة الاجتماعات وطلب أن يحضروا له جيورا عيني، وقال

له: " أنظر ما الذي فعله بي ، في أول تصويت في الحكومة، فعـــل بـــي ذلـك ". فقـال عيني : " دعني أتحدث معه ". وقد أدرك عيني أن عليـــه بـــذل قصـــارى جـهده بغيـــة إطفاء الحريق ، الذي أوقده بـــراك.

بدا رابين شديد الغضـب ، فـهو لـم يكـن يتصـور أن بـراك يعـتزم حقـا الامتناع عن التصويت . لقد شعر أنه مس بــه وخانــه .

لم يتكلم رابين مع براك، ولم ينظر نحــوه، بـل اتجـه إلـى مكتبـه مباشـرة، بيد أن إيتان هابر همس لبراك: هل جننت ؟؟ فـي أول تصويـت تفعـل ذلـك ؟؟ فقـال براك:" لا أستطيع التصويت ضد ضمـــيري، ورابيــن يعــرف موقفــي ، لقـد تحدثـت معه ومع بيرس، ولم أستطع النوم طيلة الليل ،ولو أن رابين بعـــث لــي بورقـــة يرجـــو مني أن أصوت لصالح القرار، لما استطعت رفض ذلـــك، بيـد أنــه لـم يفعـل ذلـك، وأنا واثق من أنه يتفهمني، كما أن عدم تصويتي لن يضر بنـا علـى المـدى البعيـد ".

أثار امتناع براك ضجة إعلاميـــة كبـيرة، حيـث أشـارت وسـائل الإعـلام، إلى أن وزير الداخلية يعارض اتفاقيات أوسلو. وهكـذا وجـد بـراك نفسـه فـي حالـة دفاع عن النفس، فقال : "كان في اتفاقيـــات أوســلو حسـم تـاريخي، وأنــا أؤيـد هـذا الحسم من كل قلبي، بيد أنه يجب أن نتفهم التفـــاصيل فـالخير والشــر موجــودان فــي التفاصيل الصغـيرة ".

لقد استخدم براك هذا التصويت في مرحلة لاحقة كـــي يوضــح الفــارق بينــه وبين بيرس، فقال : إن بيرس لا يقف أمام التفـــاصيل الصغـيرة، فـهو يـرى الـهدف الاستراتيجي، يرى الحلـم، والنبـوءة، أمـا أنـا فـأرى التفـاصيل الدقيقـة، وأتعـامل وكأنني في ساحة قتال، علـــى النمـط الرومـــاني- اليونـــاني القديـم : قواعـد محـددة وتقدم صعب ،ومثابرة داخل حلبة محدودة، مــع ضـرورة النضـال بشـدة مـن أجـل الفوز. بيد أن كل ذلك لم يساعده في تسوية الأمـــور مــع رابيــن.

وبعد عدة أيام عمل عيني على عقد اجتمـــاع مصالحـة بينـهما. وبـدا رابيـن شديد الإرهاق بعد أسبوع متواصل من العمل. وأخذ يدخـــن ويشــرب بشــراهة، وبعـد زجاجة البيرة الثانية التي تناولها براك معه، قال : " أنــا آسـف جـداً حقـا لمـا سـببته

لك ، فلا أود أبداً أن أغضبك أنا لست آسفاً على موقفي المبدئي، لكن لو أنك بعثت إلي ورقة صغيرة أثناء الجلسة لصوت معك ، لقد اعتدت خلال الجلسات التي جمعتنا معاً ، أن ترسل لي الأوراق وتوجهني، فلماذا لم تفعل ذلك هذه المرة أيضاً ؟؟".

فقال رابين : "يجب أن تعلم أنني لم أعمد في أي جلسة إلى إرسال بطاقة لوزير كي أقول له كيف يصوت ، فالوزراء يصوتون حسب ضمائرهم ".

وبعد ساعة من الحديث ، بدا أن الأمور تسير باتجاه المصالحة، بيد أن براك كان يدرك في داخله، أن رابين لا زال يحمل شعوراً بخيبة الأمل والإحباط تجاهه، وقد ساعد في تكريس هذا الشعور، بعض مقربي رابين، الذين ما كانوا يضيعون فرصته دون التغني بخيانة براك .

وبوصفه وزيراً للداخلية أكثر براك من التجوال هنا وهناك، فقد كان يحب الاحتكاك بالمواطنين وسماع مشاكلهم عن قرب .

وفي أول جولة لبراك إلى بلدة راهط البدوية ذهب مع رابين، وهناك استقبل بالترحاب الشديد، ثم توجه الاثنان إلى أوفليم، وهناك استقبلهم حاخامات البلدة على أبوابها بالخبز والملح . ومن الجانب الآخر ، كان متظاهرو الليكود يقفون لهم بالمرصاد، حاملين الشعارات القائلة :"رابين خائن، رابين سافل " كانت تلك أول مرة يرى فيها براك هذه الأقوال واليافطات ضد رئيس الحكومة، رغم أنه كان يسمع من وسائل الإعلام أن متظاهري اليمين والليكود ينتظرون رابين في كل زاوية لإهانته وتوجيه أقذع السباب له .

وقد وجد متنفسا لمشاعر الغضب التي اجتاحته في الاجتماع الحزبي الذي عقد في تل أبيب في نفس الليلة، وقف ايهود براك على المنصة، وقال : " أي وقاحة تلك أن يصفوا رابين بالخائن، إن رابين هو أحد محطمي أسوار القدس عام ١٩٤٨ في الوقت الذي كان نتنياهو ما يزال في المهد، ورابين كرئيس للأركان وحّد القدس قبل أن يلتحق نتنياهو بالجيش، لا يجب أن نسمح لذلك بالحدوث، ولا يجب أن نغض الطرف عنه .

وتطرق براك إلى نظريته السياسية فتحدث عن حـــق الإســـرائيليين فـــي هـــذه البلاد–بما فيها غالبية المستوطنات وقال إننا نعيش فـــي مرحلـــة يمكننـــا فيـــها التنـــازل من موقف القوة والثقة الذاتيـــة بـــالنفس، مـــن أجـــل إنجـــاز الســـلام، والـــذي ســـيوفر لإسرائيل الأمن الشـــامل .

وخلال الجولات التي كان يقوم بها فـــي مجـــالس المســـتوطنات كـــان بـــراك يستقبل بحفاوة كبيرة . وكان المستوطنون لا زالـــوا يذكـــرون العلاقـــات المتينـــة التـــي أقاموها معه إبان توليه منصب قائد القطـــاع الأوســـط ، وكـــان بـــراك يطـــرح عليـــهم نظريته الأمنية ، فيقولون له نحن نعرفك ونقـــدرك لأنـــك تقـــول لنـــا وتطـــرح أمامنـــا الأمور كما هي، ولا تحاول تجميـــل الوقـــائع .

كانت الزيارة للقدس مثـــيرة بشـــكل خـــاص، وقـــد اســـتقبله رئيـــس البلديـــة، ورئيس شركة تطوير القدس الشرقية ،وقام بجولة في نفـــق القـــدس. وقـــد حـــاول ايلـــي سويا – مسئول اللواء والبلدية، ووزير الداخلية حاليـــا – تجنيـــد موافقـــة بـــراك لصـــالح مشروعات مثل البناء في جبل أبو غنيم ورأس العامود وفتـــح نفـــق القـــدس .

واصطحب مثـــاي دان – ممثـــل المليونـــير اليـــهودي ارفينـــي موســـكوفيتش براك في جولة بالقدس الشرقية، مثلما يلاحظ . كما حـــاول ايلـــي ســـويا إغـــراء بـــراك على الموافقة على البناء فـــي رأس العمـــود. وقـــد تلـــت هـــذه المحـــاولات محادثـــات هاتفية من ميامي من المليونير نفســـه ، صـــاحب الأرض .

لقد لاحظ براك فوراً المادة السياســـية المتفجـــرة الكامنـــة فـــي هـــذه القضيـــة، ورغم ذلك، أثنى على مواصلـــة أعمـــال البنـــاء فـــي القـــدس مـــن ناحيـــة، وواصـــل التشاور مع اسحق رابين مـــن الجـــانب الآخـــر، وقـــد اتفـــق الاثنـــان بالتعـــاون مـــع المستشار السياسي لوزارة الداخلية، على إرجـــاء مشـــروع رأس العمـــود إلـــى إشـــعار آخر .

كان نفق القدس مكتملا، ويحتاج إلى عمل لمدة نصـــف يـــوم فقـــط مـــن أجـــل فتحه، بيد أن الكادر السياسي لم يصادق على ذلك. ولـــم يســـتطع بـــراك إبـــان الجولـــة التي قام بها في النفق، أن يخفي تأثره الشـــديد مـــن ذلـــك، وقـــال: مـــن المـــهم أن يتـــم

افتتاح هذا النفق للجماهير في أسرع وقت ممكن، إننا نخوض طريقا سبق أن خاضه آلاف اليهود وهم في طريقهم إلى الصلاة في الهيكل إنني أشعر بارتفاع معنويات تاريخي .

بيد أن المشاعر والجولات شيء، والواقع شيء آخر، حيث لم تعمد الحكومة إلى إشعال الضوء الأخضر خلال النقاشات التي أجرتها حول فتح المغامرة فقد قرر بيرس ورابين، وايهود ، الانتظار لموعد أفضل . وبشأن جبل أبو غنيم، كان الوضع أيضا مماثلا، فقد عرض ايلي سويا على براك خطة البناء لليهود في جبل أبو غنيم، وللعرب في رأس العامود، كما طرحت مسألة هدم المنازل غير المشروعة في القدس الشرقية. وقد أقر براك بالعمل على دفع المخططين – للعرب واليهود – إلى الأمام. كما طلب تقديم إنذار قبل اثنتين وسبعين ساعة من هدم أي منزل عربي غير شرعي وبالتعاون مع مساعده يعكبتس. وهكذا، وفي كل مرة كانوا يعتزمون هدم منزل عربي، كانوا يطرحون الأمر للتشاور لدى وزير الداخلية .

بذل براك جهودا مضنية جدا في وزارة الداخلية، ولم يكن يعلم أنه سيضطر لمغادرتها قبل مضي ستة أشهر على توليه . لقد أراد أن يترك بصماته على الوزارة، لذا، تجاوز الصغائر، وعكف على المشروعات الكبيرة والأفكار والقضايا الهامة. بيد أن جميع الجهود التي بذلها، لم تكن تعده لما كان سيحدث في الرابع من تشرين الثاني ١٩٩٥.

الفصل الرابع والعشـــــــرون

اليمين الإسرائيلي يقتل رابين

اغتيال رابين أذهل براك وحال دون تجسيد طموحاته

أخذت الأوضـــاع تتدهــور تدهــورا خطــيرا، فكلمـــا تقدمــت عمليــة تنفيــذ اتفاقيات أوسلو، كلما تصاعدت الأعمال الإرهابية التي تقــوم بــها حمــاس. ممــا حــدا بنشطاء اليمين الإسرائيلي للخروج إلى الشوارع. وكـــانت المظــاهرات التــي تلاحــق اسحق رابين أينما ولى وجهه، شديدة جدا، ومطلقة العنـــان. وأشــد تلــك المظــاهرات كانت تلك التي يعقدها نشطاء اليمين المتطرف بالقرب من مـــنزل رابيــن ظــهر يــوم الجمعة، بانتظار عودته، كي يكيلوا له الســباب والشــتائم والتــهديدات.

وفي أعقاب المظاهرة التي شهدها براك فــي اوفكيــم، قــرر عــدم الســكوت، بل التحدث مع رابين، وقال لــ"كيرن" يجب أن يتحمـــل رابيــن المســئولية، لان هــذه الأحداث، لن تنتهي بما يحمد عقبــــاه.

ثم وقع حادث معهد(واينجيط)، فقد كان رابيــن فــي زيــارة للمعـــهد، وهنـــاك كان المتظاهرون بأعداد كبيرة في حين كان حـــراس رابيــن قلــة قليلــة، ممــا مكــن المتظاهرين من الاقتراب من رابين إلى درجة مـــهددة ومخيفـــة. لقــد اصطــدم رابيــن عن كثب، بجماهير غاضبة حاقدة تطل الكراهية مـــن عينيــها، والتــي أخــذت تســبه وتشتمه.

حاول ايهود براك تنظيم مجموعات مـــن مؤيــدي الحــزب لمرافقــة رابيــن، أينما حل، للدفاع عنه، وقد اقـــترح عليــه(كــيرن) تشــكيل مجموعــة مــن خريجــي الوحــدات المقاتلــة المؤيديــن لحــزب العمــل لمصاحبــة رابيــن فـــي تجوالـــــه. فتحدث(كيرن) مع عومر بارليف-ابن رئيس الأركان الســـابق، وبالتعــاون مــع (بنــي كبلان) سكرتير مجلس عمال بيسان، حـــاولوا إخــراج المشــروع إلــى حــيز التنفيــذ الفعلــي، والــذي اقــترح أن يتــم العمــل علــى تجنيــد وحــدات حمايــة بواســـطة الهستدروت. بيد أن وسائل الإعلام اكتشفت المحاولة، وجعلـــت منــها روايــة كبــيرة، مما اضطر القائمين عليها لإلغائـــــها.

في الثاني من تشرين الثاني-الموافــق يــوم الخميــس- اجتمــع ايــهود بــراك ورابين في مكتب رئيس الحكومة، حيث كان علـــى بــراك أن يســافر إلــى الولايــات المتحدة، للتشاور وقد خصص لها رابين ربع ســـاعة فقــط.

استغرقت المقابلة بين رابين وبراك ساعة ونصف الساعة، تحدثا فيها عن كل شيء: المسيرة السياسية، الحزب، الحياة، وجميع المناحي الأخرى، وقد سجل براك خلال اللقاء، عدة ملاحظات على ورقة جاء فيها: داني يتوم لرئاسة الموساد، حاييم رامون يجب أن يعود إلى الحزب، ايتان بن الياهو قائدا لسلاح الجو.

وحينما طرحت القضية السياسية قال براك: أنه يشعر بالقلق الشديد جراء وضع الشارع، بيد أن رابين بدا أقل قلقا، وقال: لا أولي استطلاعات الرأي العام أي اهتمام، ولست قلقا من منافستي لنتنياهو على رئاسة الحكومة، وفي نفس الوقت أدرك أن هناك ضرورة لإجراء تغييرات داخل الحزب، لتنشيطه.

قال براك: اسحق، لقد وعدت الجماهير بصنع السلام، وها نحن قبل الانتخابات بسنة واحدة، والمفاوضات مع السوريين تراوح مكانها وليس من الواضح، فيما إذا كنا سنتمكن من استكمال المسيرة مع الفلسطينيين أم لا؟

وأضاف..."المفاوضات حول التسوية الدائمة ستبدأ في أيار ١٩٩٦، أي قبل ستة أشهر من الانتخابات، ولا شك في أن الفلسطينيين سيقدمون خلالها مطالبهم، بشأن القدس واللاجئين وغير ذلك وهذا الوضع غير صحي، فقد تجد نفسك قبل الانتخابات بستة اشهر، أمام طريق مغلق، مع السوريين، وأيضا مع الفلسطينيين، والإرهاب يتجول في ربوعنا حرا، وفي هذه الحالة، لا أدري ما الذي سيحدث".

سأل رابين، براك، ما الذي يقترحه عليه؟؟ فلم يتردد براك، وقال:" اقترح أن نتوقف، وأن نقول للجماهير الحقيقة الان، وليس في أيار ١٩٩٦، لان هذا التاريخ، سيكون قريبا جدا من الانتخابات، وسيبدو وكأنه مناورة، ولا شك أن الأمر لن يكون صعبا بالنسبة لك، نظرا للتاريخ العسكري الذي تحمله، أما بالنسبة لبيرس، فسوف يكون الأمر أصعب".

وأضاف٠٠" يجب على الجماهير أن تفيق من حلم السلام السريع، ويجب عليك أن تقول لهم ذلك، أن تقول لهم: اعتمدوا علي، وأنك ستجلب لهم السلام في نهاية المطاف، بيد أن الأمور يجب أن تسير بصورة أبطأ، وأن تدافع عن أمن الدولة ولا تتخلى عنه، شريطة أن يكون الطريق طويلا وآمنا.

اقترح براك على رابين أن يعمل على إرجاء بدء مفاوضات التسوية الدائمة من أيار ١٩٩٦، إلى كانون الثاني ١٩٩٧، وقال له: ليس جيدا أن تبدأ المفاوضات قبل الانتخابات. إن هذه المفاوضات صعبة للغاية، ولا شك أن بدايتها ستشهد انفجارات، وهذه الانفجارات ستعكس نفسها على الانتخابات لذا ليس جيدا أن تبدأ المفاوضات قبل الانتخابات".

وتحدث براك عن ضرورة الوصول إلى الناخب الشاب، وجماهير المهاجرين الروس، وأكد ضرورة إعادة حاييم رامون إلى الحزب.

وافق رابين على غالبية مقترحات براك، أما بشأن القضية المركزية المتمثلة في تهدئة وتيرة المفاوضات ومخاطبة الجماهير فقد أصغى، ووعد بالتفكير في ذلك.

وفي نفس الليلة، سافر براك إلى نيويورك، حيث كان سيحل ضيف شرف، وخطيبا مركزيا على رابطة أصدقاء متحف المحرقة، في الولايات المتحدة وقد صحبه كيرن في رحلته.

وفي الرابع من تشرين الثاني، خرج الاثنان للتجول، ثم عادا في ساعات المساء، حيث دخل براك إلى غرفته لوضع اللمسات الأخيرة على الكلمة التي يعتزم إلقاءها، وفجأة دق جرس الهاتف، ومن الطرف الآخر جاءه صوت زوجته نافا: براك لقد أطلقوا النار على اسحق".

براك: أطلقوا النار على من؟؟

نافا: على اسحق، هل تصدق؟؟ وسمع براك البكاء في صوتها وهي تقول: أنا في الطريق إلى ليئا زوجته، فنحن لا ندري بعد ما حدث.

براك: وكيف حاله؟

نافا: لا أدري، إنه في الطريق إلى المستشفى، كما يبدو أهم أطلقوا عليه النار من مسدس. وما كاد ايهود براك يضع السماعة، حتى دق جرس الهاتف، وجاءه صوت داني يتوم-السكرتير العسكري لرابي، وصديق براك الشخصي:" ايهود انتبه لقد أطلقوا النار على رابين، ثلاثة عيارات من مسافة قريبة، والذي أطلق النار يهودي، الوضع صعب وخطير للغاية، وهو في طريقه إلى المستشفى.

أخذ براك يدور في الغرفة كأسد سجين، ويضرب رأسه بين الفينة والأخرى متمتما: رابين؟ لماذا رابين؟ أنا لا أعرف الكثير من الناس الذين أطلقت عليهم ثلاثة عيارات عن قرب ونجوا من الموت.

فتح براك وكيرن التليفزيون وأخذا يراقبان بث شبكة(سي إن إن) من تل أبيب مباشرة،وفجأة شاهد أحد حراس رابين الشخصيين ينفجر بالبكاء، فقال لكيرن: هذا هو، لقد قتل رابين". وفي نفس اللحظة دق جرس الهاتف، ومن الطرف الآخر جاءه صوت يتوم قائلاً: لقد توفي رابين، حالاً سيتم الإعلان عن ذلك، وقطع الاتصال.

وفيما كان يفكر في الكلمات التي سمعها، ظهر على شاشة التليفزيون وجه (ايتان هابر) أمام شاشة التليفزيون، وقال:" حكومة إسرائيل تعلن بذهول تام ....".

وضع براك يديه على وجهه وقال لكيرن: لماذا لم تنجح في مشروع الحماية؟؟ لماذا لم تعد مجموعات لمرافقته وحمايته؟؟ لو أننا فعلنا ذلك، لما نجح القاتل في الاقتراب منه.

اتصل براك (بليئا رابين)، التي عادت لتوها من المستشفى تاركة خلفها جثمان زوجها:" (ليئا) قلبي يغص بالحزن والأسى، ونحن نعيش ألمك".

فقالت: نعم، نعم أنا أعرف"، لقد بدا أنها لا زالت تحت تأثير الصدمة.

ثم اتصل ببيرس:" شمعون لقد وقع على رأسك جبل، العبء كله الآن على كاهلك، وسنبذل كل ما في وسعنا لمساعدتك، (يوسي بيلين) هنا في الفندق، وسنعود فوراً لمساعدتك".

بدا بيرس هائجاً، مسعوراً، وقـال: سـأعقد جلسـة فوريـة للحكومـة وسـتعد مراسيم الجنازة، ثم سنعمل على موازنة الوضـع فـي إسـرائيل".

وحال شيوع نبأ مقتل (رابين)، تدفقت قـوات الأمـن الأميركيـة إلـى الفنـدق وأحاطت به، وأخذت تفتـش الداخليـن والخـارجين. وقـد أدرك (بـراك) أن الأمـر لا يتعلق بإجراء أمني عابر، بل لقد تم بـالترتيب مـع جـهاز الأمـن العـام الإسـرائيلي، فقد خشي الجهاز أن تكون عملية الاغتيال جـزءاً مـن انقـلاب واسـع فـي إسـرائيل. وحتى (شمعون بيرس) الذي أصبح بمجرد وفاة رابين رئيساً للحكومـة أخـذ مـن قبـل مسئولي جهاز الأمن العام رغم أنفه، ووضع فـي مكـان آمـن حتـى تمـر العاصفـة. أما الأميركيون فقد احضروا (يوسي بيلين)، الذي كـان هـو الآخـر يـنزل فـي نفـس الفندق، ووضعوه في جناح براك، وأغلقوا جميع مداخـل ومخـارج الجنـاح.

ولن ينسى براك طيلة حياته رحلة العـودة إلـى إسـرائيل، فقـد تجمـع فـي الطائرة حشد كبير من الإسرائيليين والحزن يخيم عليـهم، وبينـهم (بيليـن) و(بـراك). وفي طريقه طلب براك من يعكبتس أن يستوضح الوضع القـانوني فـي أعقـاب مقتـل (رابين)؛ فاتصل (يعكبتس) بالمحامي (حاييم تصدوق)، الـذي أوضـح لـه أن الوضـع القانوني الآن يتمثل فـي تعييـن قـائم بأعمـال رئيـس الحكومـة، وتشـكيل حكومـة انتقالية، ثم إجراء انتخابات ...الـخ.

وسأل يعكبتس: متـى بالإمكـان إجـراء انتخابـات". فقـال المحـامي: فـي غضون ستين يومـاً. وحـال هبوطـه فـي المطـار وجـد بـراك بانتظـاره زوجتـه ويعكبتس. الذي أعلمه بالوضع القانوني في أعقـاب مقتـل رابيـن.

أيد براك إجراء الانتخابات فـوراً، وفـي غضـون شـهرين. أو أقصـى حـد في غضون ثلاثة أشهر، للحصول على ثقـة الشـعب.

كانت العلاقة بين رابين وبين الملـك الحسـين وطيـدة بشـكل خـاص. فقـد عمل الحسين، الذي كان يقدر العسكريين جـداً، علـى تنميـة علاقـات ثقـة وتقـارب فريدة من نوعها مع رابين. كان لديهما لغـة مشـتركة، وقضيـا سـاعات طويلـة فـي

أحاديث خاصة. وكان الملك يثق برابيـن ويـدرك أنـه صـاحب كلمـة جـادة، وفـي إحدى اللحظات، قرر الملك أن يبرم مع رابين سـلاماً حقيقيـاً وعلنيـاً.

وعندما تلقى الملك الحسـين نبـأ مقتـل رابيـن، بلـغ بـه الأسـى والحـزن الذروة. بل أن مقربيه لم يسبق لهم أن رأوه في مثل هـذا الوضـع مـن الحـزن. لقـد رفض تصديق النبأ، وأصيب بصدمـة.

كان الحسين طيلة الوقت يخشـى علـى حياتـه هـو، فقـد جـرت عشـرات المحاولات لا لاغتياله من قبل معارضيه المختلفين، بيـد أنـه تمكـن فـي كـل مـرة، بطريقة أو أخرى، من النجاة، ولم يكن يعتقد أن بالإمكـان وقـوع حـادث اغتيـال فـي إسرائيل، وخصوصاً لاسحق رابين، رئيس الأركـان المجيـد، المولـود فـي إسـرائيل والذي يحظى بشعبية كبيرة، والشجاع، والمحبوب، والذي شـق لأبنـاء شـعبة طريـق السـلام.

وهاهي الرصاصات الثلاث التي أطلقها ييغـآل عمـير تصيـب منـه مقتـلاً، لقد شعر الحسين وكأنها أصابته هو، وأدرك أنـه إذا كـانت الرصاصـات قـد أصـابت رابين، فإن أي شخص آخر قد يتعرض لـها أيضـاً، وأدرك أن الطريـق إلـى السـلام، منذ الان، ستصبح أصعـب.

وصلت العائلة الملكية إلى منزل ليئـا رابيـن تحـت حراسـة متشـددة جـداً، وبينما وجد صعوبة بالغة في إخفاء دموعه، توجـه الحسـين إلـى ليئـا رابيـن وقبـل وجنتيها، ثم جلس الملك والملكة في إحدى زوايا مكـان الجلـوس فـي الشـقة الكبـيرة، مرتبكين مهمومين، يراقبان ما يـدور حولـهما.

بدت ليئا تحت تأثير الصدمة، وكـانت بيـن الفينـة والأخـرى تتمتـم لنفسـها ثلاثة عبارات، لقد أطلق عليه ثلاثة عيارات، وكان أحـد المعزيـين يتوجـه إليـها بيـن الفينة والأخرى ويهمس بشيء ما، وسـط الأجـواء الحزينـة، أجـواء الكارثـة الثقيلـة والصدمة والحزن العميـق.

وفجـأة لاحظـت ليئـا أن الملـك والملكـة جالسـان فـي إحـدى الزوايـا مصدومين وخجلين، فقالت: " ليقدم لهم أحد شيئا ما يأكلانـه"، فتـذوق الملـك والملكـة

مما قدم لهما، في حين حاول براك ونافا التخفيف عنـــهما، قـدر المسـتطاع. لقـد بـدا على وجه الملك، أن هذا الحادث كان أحد الأحداث القاسـية فـي حياتـه، وكـان حزنـه بادياً للعيان، ويمسح بين لحظة وأخرى دموعه. لقد ثكـل الحسـين أحـد حلفائـه واشـد أصدقائه المقربيـن.

قرر بيرس فـي أعقـاب مقتـل رابيـن أن يسـعى لتشـكيل" حكومـة سـلام حقيقية" مثلما طلب منه أعضاء حزب ميرتس وأعضاء الكنيســت مـن اليسـار، وعـدم إجراء انتخابات مبكرة وأمن بأن بمقـدوره إحـلال السـلام، أو علـى الأقـل التوصـل إلى اتفاق ما مع سورية قبل الانتخابات ولم يرغب فـي أن يتـم انتخابـه رئيسـاً علـى دماء رابين المسفوحة. لقد حلم بشرق أوسط جديد، وحلـم بلقـاء درامـي مـع الرئيـس الأسد، وحلم بالسلام الشامل والكلي. لقـد اراد أن يفـوز بالانتخابـات لأول مـرة فـي حياته، بقواه الذاتيـة، لـذا لـم يسـتطع الالـتزام أمـام المفـدال، بتجميـد المبـادرات السياسـية.

كان براك يدرك في أعماقه أن قرار بيرس خـاطئ- رغـم أنـه لـم يجادلـه. كانت هناك ضرورة لتشكيل حكومة جديـدة، والسـؤال الـذي كـان يقـض مضـاجع ايهود براك هو: هل سيعينه بـيرس وزيـرا للدفـاع، أم سـيحتفظ بـالمنصب لنفسـه؟ كان يبدو ظاهرياً، أن تسليم ملـف وزارة الدفـاع إلـى بـراك، هـو مسـألة طبيعيـة، فبراك كان رئيساً للأركان، وبالتالي، فإن بمقدوره إعفاء بـيرس مـن عـبء العمليـات الإرهابية والجانب الأمني ويتيح له الفرصة لقيادة المســيرة السـلمية. وقـد أيـد عـدد من أعضاء الكنيست، وعلى رأسهم عـوزي برعـام، الفكـرة، كمـا شـرعت وسـائل الإعلام بالإشارة إليه، وأخذ مقربو بـراك يتحدثـون عنـه، أمـا بـراك، فقـد حـاول الحفاظ على هدوئه التـام.

وبعد عدة أيام مـن الاغتيـال، التقـى بـيرس وبـراك فـي مكتـب رئيـس الحكومة، وبدا بيرس منهكاً ومتوتراً وحزينـاً، وقـال لـبراك :" لقـد بقيـت وحيـداً، صدقني إنني افتقد اسحق جداً، لقد كنت على اسـتعداد للتخلـي عـن منصـب رئيـس الحكومة برضًا تام. لقد سلمت بشراكتنا، كنـا نعيـش فـترة جيـدة وتعاونـا، وعملنـا

معا، لقد تعلمنا كيف يقدر كل منا الآخر، وفجأة يحدث ذلك. في أعقاب جميع النزاعات التي وقعت بيننا، وبعد جميع الرواسب، أدركنا أننا نستطيع، معا فقط، أن نجلب السلام، وأننا بحاجة أحدنا إلى الآخر.

والآن، لم يعد موجودا. بعد عدة أيام ساعلن عن تشكيل الحكومة الجديدة، وقبل أن أعلن عنها أرغب في سماع رأيك".

كان براك يدرك أن بيرس لازال مترددا بشأن وزارة الدفاع، ولم يرغب في ممارسة ضغوط عليه، لانه آمن بأنه سيتخذ قراره بهذا الشأن لأسباب موضوعية، فقال:" أنا أدرك جسامة المسئولية التي تتحملها، ولا أحسدك عليها، ولا أعتزم ممارسة أي ضغوط عليك، وكل قرار تتخذه ساقبله، وزير الدفاع، وزير الخارجية، لا، أجد غضاضة في ذلك، لكن قبل أن تتخذ قرارك أود أن أقول لك عدة أشياء.

ألمح براك خلال حديثه أن تسليمه وزارة الدفاع، سيعتبر بالنسبة له بمثابة خطوة طبيعية جدا في ظل الأوضاع الحالية، رغم أنه أكد قبوله للقرار الذي سيتخذه بيرس أيا كان."وقبل أن تتخذ قرارا: فكر في الفترة التي ستخوض غمارها، ونحن سنخوض مرحلة قاسية جدا، وستقع عمليات صعبة للغاية. وسترى حافلات تتفجر، وربما منازل تهوي في عمليات (الإرهاب)، بل أن الامر لم يكن سهلا على اسحق، لقد مزقته العمليات، ومزقت قلبه، في حين كان أقوى منك على الصعيد الجماهيري في مواجهة هذه الأحداث. وأنا على استعداد لتحمل هذا العبء، ولدي الخلفية الأمنية المطلوبة، ولا أتردد للحظة في الوقوف أمام الجماهير، في مثل هذا الوضع. والان الوضع رهن بك، فيما إذا كنت تريد الاقتداء باسحق رابين، وتتسلم وزارة الدفاع، إلى جانب منصبك كرئيس للحكومة، أو تقتدي باسحق شامير وتكتفي بمنصبك كرئيس للحكومة، ولا شك أن هناك ميزة في الاحتفاظ بوزارة الدفاع، حيث سيمكنك الإشراف دون وساطات الجهاز الأمني مما سيساعدك في تنفيذ الاتفاقيات مع الفلسطينيين".

ومن الجانب الآخر لن تتمتع بالمزايا التي تمتع بها شامير في حينه، حيث لم يكن عليه الوقوف في وجه المستوطنين مثلا.

لقد قال براك ما ينبغي قوله، كانت أحاسيسه مختلطة ومتضاربة، فمن ناحية، كان تواقا جدا لتولي منصب وزير الدفاع، في هذا المنصب، سيجد نفسه، لانه نما وترعرع في هذا المجال، ويعرف جميع خباياه، أضف إلى ذلك، أن توليه هذا المنصب، سيتيح له مواصلة بناء نفسه على الصعيدين السياسي والجماهيري. ومن الناحية الأخرى. أدرك براك، أن المنصب قد يصبح بالنسبة له مصيدة قاتلة، فهو يدرك أن الفترة القادمة ستشهد عمليات انتحارية خطيرة، وبوصفه وزيرا للدفاع، سيتوجب عليه أن يدفع الحساب، إزاء كل ما سيحدث.

وفي نفس الوقت، كان براك يدرك أنه لن يحظى بمنصب وزير للدفاع، وأن بيرس سيتوق لهذا المنصب لانه يريد الاقتداء برابين، وارتداء ردائه، كي يحظى بالتقدير الذي تاق إليه طيلة حياته.

إن الرجل الذي أسهم أكبر الإسهامات في بناء أمن إسرائيل، يبدو في نظر الإسرائيليين كسياسي ليس إلا.

وقبل يوم من إعلان بيرس حكومته، قال لبراك: أنه يعتزم تعيينه وزيرا للخارجية، فشكره براك، رغم الإحباط الذي شعر به، وقال له: "أرجو الا يندم أي منا على هذا التعيين".

الفصل الخامس والعشرون

براك وزيرا للخارجية

أيهود بدا غرا سياسيا في مواجهة أحداث حساسة

قدم رئيس الحكومة شمعون بيرس حكومته الجديدة أمام أعضاء مركز الحزب في قاعة" أوهل-شم" في تل أبيب وقرأ أسماء الوزراء وسط مظاهر الحداد العميقة على اسحق رابين: بيلين وزير في مكتب رئيس الحكومة، ايهود براك وزير للخارجية حاييم رامون وزيرا للداخلية.

وفي نفس الليلة، أعلن مكتب رئيس الحكومة عن تعيين (أوري سابير)- عراب اتفاقيات أوسلو،منسقا أعلى لمحادثات السلام، وخاضعا مباشرة لمكتب رئيس الحكومة.

بدأت الشائعات تفيد بأن أوري سابير مطلع على الأمور أكثر من رئيسه- ايهود براك، وأن الأمور بشأن اتفاقية السلام، ستمر عبر سابير وبيرس، وتتجاوز براك، لذا عمد براك إلى قطع الشك باليقين، وطلب من سابير البقاء في منصبه كمدير عام لوزارة الخارجية، واعدا إياه بالتعاون فيما بينهما، وأنه في حاجة إليه، في هذا المنصب، فوافق سابير على ذلك.

وخلال المقابلة بينهما، قال له سابير: أود أن أوضح لك شيئا، أنا سأكون خاضعا لك ولرئيس الحكومة، وأعدك أنك ستكون أول من يطلع على مجريات الأمور. فوافق براك على أن يصدر هو، وليس بيرس كتاب تعيين سابير منسقا أعلى لمحادثات السلام. وهكذا، أكد براك، على الصعيد الرمزي، مسئوليته عن سابير، وعن المسيرة السلمية، رغم أن سابير كان في الحقيقة يعمل مع بيرس.

وعاد براك للاجتماع ببيرس، وطلب هذه المرة أن يطلع على المعلومات السرية، التي يزود بها الجهاز الأمني رئيس الحكومة، فوافق بيرس على ذلك على أن يتلقى براك هذه المعلومات مباشرة من شعبة الاستخبارات العسكرية، كي لا يخضع لرغبات مسئولي مكتب بيرس. وعد بيرس، بإطلاعه على الصورة بأكملها وأوفى بوعده.

وخلال مراسيم تسليم براك وزارة الخارجية بدا بيرس حميما مع براك، وسأله عن طبيعة الانتخابات التي سيتم إجراؤها، وسأله بصورة مفاجئة: ما رأيك

أن تتولى الحملة الانتخابية"!وهكذا ولــدت فــي هــذه اللحظــات الفكــرة التــي أثــارت خلافات جمة بين براك وحاييم رامـــون.

لقد قبل بــراك المهمــة، وقــال لبــيرس: سأســعد بذلــك، وليســت لــدي أي مشكلة. بيد أنه اكتشف حال اقتراب موعد الانتخابات أن حاييم رامـــون قــد تسـلم هــذا المنصب.

لم تمض سوى ثلاثة أيام على توليه منصبـــه الجديـد، حتــى كــان عليــه أن يحضر مؤتمر برشلونه. وهي المهمـــة التــي كــانت تبــدو مســتحيلة. فــالمؤتمر هــو مبادرة من مبادرات الاتحاد الأوروبـــي، وهـــي ترمـــي إلــى عقــد لقــاء بيــن وزراء خارجيــة حــوض البحــر المتوســط: أوروبييــن وعــرب وإســرائيليين ومســـيحيين ومسلمين ويهود. والمؤتمر هو أحد الأحداث العالميــة النــادرة، التــي يمكــن أن نعــثر خلالها على وزراء خارجية من سورية ولبنان وإسرائيل حــول طاولــة واحــدة، وهــم جميعا يجلسون مع بعضهم البعض، متظاهرين بأن جميع الأمور علـــى مــا يــرام.

وقد أعلم مسئولو وزارة الخارجيــة بــراك، بــأن الوزيــر الســابق- شــمعون بيرس- كان يعكف على إعداد خطاب مؤتمـــر برشــلونه اشــهرا طويلــة. فقــد كــان يعتبر هذا المؤتمر، بمثابة فرصة لا تعوض لدفع الشرق الأوســـط إلــى الأمــام باتجــاه الشــرق الأوســط الجديــد، ولإقامــة اتصــالات مــع وزيــري الخارجيــة الســـوري واللبنـاني.

كان براك غرا جاهلا في الشئون الخارجيــــة، والدبلوماســية- ولــم يــدر مــا الذي يجري الحديث حوله وكيف ولمـــاذا ورغــم ذلــك قــرر أن يمثــل إســرائيل فـــي المؤتمـر.

وحال توليه منصبه عقد براك اجتماعـــا لكبــار مســئولي الــوزارة حضــره: أوري سابير المدير العام، ونائبه ايتــــان بــن تســور، ومديــر شــعبة أوروبــا ميكـــي بابلي، وسرعان ما تلاشت الشكوك التي كانت تمـــلأ قلــوب هــؤلاء المســئولين تجــاه قدرة بــراك.

وفي برشلونه قابل ايهود براك ياسر عرفات لأول مرة. لقد تعرف على عرفات قبل ذلك عبر عمله كرئيس لشعبة الاستخبارات العسكرية. وخلال المفاوضات، كان أمنون شاحك هو الذي يحتك بالفلسطينيين، أما براك فقد حافظ على بعد معين من عرفات.

دعا ملك إسبانيا جميع وزراء الخارجية إلى مقره لحضور حفل استقبال لهم. وقد قدم جميع الوزراء في السيارات المعدة، باستثناء اثنين، قدما في سيارات مصفحة، وتحت حماية مشددة: عرفات وبراك.

كان القصر لا يزال خاليا من الضيوف عندما وصل براك، فتجول في جنباته متأملا الصور المعلقة، وفجأة شاهد بيانو في إحدى زوايا القاعة وبدأ يعزف. وفجأة، لاحظ أن حارسه الشخصي يبدي عدم ارتياح، فسأله عن الأمر، فقال الحارس: يجب أن تدرك أن عرفات سيصل إلى القاعة بعد قليل. وقبل أن يكمل الحارس كلامه، كان عرفات يقف إلى جوار البيانو.

ألقى عرفات السلام، وقال: لقد سمعت عنك الكثير، وأنا سعيد بلقائك، وآمل أن تتاح لنا فرصة للحوار.

صافح براك عرفات وقال: أنا أيضا سمعت عنك الكثير، وقبل زمن طويل من استقبالك في القصور الأوروبية، لقد تتبعتك كعسكري وكرئيس لجهاز المخابرات. وأنا سعيد للقائك في الوقت الذي أصبح كل شيء وراء ظهورنا، ورغم أنني أدرك أن أمامنا خلافات صعبة، ولحظات قاسية.

حاول براك طيلة الجلسات إجراء اتصال مع وزير الخارجية السوري، دون جدوى، فقد كان الشرع يتهرب منه ويتجاهله، ويحرص على عدم إجراء أي اتصال مباشر معه، وكان وزير الخارجية الهولندي يتولى أعمال الوساطة بنيهما.

جرى اللقاء الأول بين براك وعرفات في جناح عرفات. وقد جرت اللقاءات التمهيدية للمقابلة بين مساعدي براك، وعرفات، وعلى رأسهم مروان كنفاني. وقد وصل براك إليها بصحبة كيرن، ويعكبتس وايتان بن تسور، في حين أحيط عرفات بمساعديه ومن بينهم أبو مازن وكنفاني.

وخلال اللقاء الذي استغرق حوالي ثلاث ساعات، عقد عرفات وبراك اجتماعا مغلقا استغرق حوالي ساعة. وفي حوالي الساعة الخامسة صباحا عقد الاثنان مؤتمرا صحفيا. لقد اتضح لبراك أن (الشيطان) لم يكن سيئا إلى هذا الحد الكبير، الذي كان يظنه.

لقد بلغ براك الذروة خلال مؤتمر برشلونه عندما ألقى كلمته الختامية أمام الحضور، فقد وجه نظرة مباشرة إلى وزير الخارجية السوري، ودعاه إلى استئناف الحوار بين الدولتين، وأن يتحدث معه بصورة مباشرة، ودون أي شروط مسبقة. حول السلام، وأن يوقف الدائرة الدموية، وقال: "إسرائيل تمد يد السلام إليكم".

شهدت فترة خدمة براك في وزارة الخارجية عدة قضايا مثيرة، من بينها، افتتاح مكتب المصالح التونسي. وقد أدار براك المحادثات مع وزير الخارجية التونسي الحبيب بن يحي، بوساطة أميركية فاعلة. وفي كانون الأول ١٩٩٥، وإبان الزيارة الرسمية التي قام بها إلى بودابست، اجتمع براك مع بن يحي. وقد عقد الاجتماع في جناح براك في فندق(فوروم) في العاصمة الهنغارية، وتم خلاله الاتفاق على عملية فتح ممثليات متبادلة، والاتفاق على توقيع الاتفاق خلال شهر كانون الثاني في واشنطن.

وفي الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩٩٦ استضاف وزير الخارجية الأميركي وارن كريستوفر وزيري الخارجية الإسرائيلي والتونسي.

كانت الوثائق معدة سلفا، ومن الواضح للطرفين أن الاجتماع هو اجتماع مراسيم رمزي، سيوقع الوزيران في نهايته على الاتفاق، ويتصافحان أمام عدسات أجهزة التصوير.

وعندما جاء دور بن يحي لإلقاء كلمته، كاد الحاضرون أن يغمى عليهم، فقد فتح بن يحي المفاوضات من جديد، وكأنه لم تجر طيلة اشهر مناقشات واتصالات، وكأن سيئا لم يحدد سلفا، وتحدث عن شهر رمضان وعن الصيام، وعن المشاكل العديدة التي تحول دون فتح المكتب التونسي في تل أبيب.

لقد تم الاتفاق على أن يفتتح البلدان ممثلين في آن واحد، بيد أن بن يحيى قال في حقيقة الامر: أن بلاده لا تستطيع فتح المكتب في تل أبيب، أو بمعنى آخر قال: هناك صفقة متفق عليها، لكن لا توجد بضائع للتبادل.

وفي ساعات ما بعد الظهر، بدأ روس أعمال الوساطة بين الطرفين، وفي نهايتها تم التوصل إلى تسوية، تنص على استكمال الطرفين الإجراءات الخاصة بفتح المكتبين حتى الخامس عشر من نيسان.

أوفت إسرائيل بتعهدها، وقام ممثلها بفتح المكتب الإسرائيلي في تونس في الخامس عشر من نيسان، في حين تأخرت تونس في فتحه، ولم يصل ممثلها إلى إسرائيل الا بعد حوالي شهر من الموعد المذكور. وتم فتح المكتب في نهاية المطاف قبل وقت قصير من الانتخابات الإسرائيلية، التي جرت في التاسع والعشرين من أيار ١٩٩٦.

وفي الثامن من أيار- ثلاثة أسابيع قبل الانتخابات الإسرائيلية- استضاف براك في جناحه في واشنطن وزير الخارجية العماني يوسف بن علوي. وقد أعرب بن علوي عن قلقه على الرئيس السوري حافظ الأسد، وقال أنه مريض ويتعاطى كمية كبيرة من (الكورتيزون)، وأن ذاكرته بدأت تخونه، وفي لحظة ما، سينسى كل شيء، وتذهب جميع تفاهماتكم معهم أدراج الرياح[3].

تواصلت الاتصالات الإسرائيلية في تلك الآونة مع الكويت والبحرين. وعلى عكس سلطنة عمان وقطر- اللتين أقامتا علاقات مباشرة مع حكومة اسحق رابين وبيرس- فقد فضلت الكويت والبحرين إقامة علاقات سرية.

وكان هناك على جداول الأعمال لقاء محتمل بين براك وولي العهد البحريني، إضافة إلى العديد من اللقاءات التي أجراها ممثلو هاتين الدولتين مع ممثلين إسرائيليي

الفصل السادس والعشرون

-الصراع على الرئاسة-

العمليات الانتحارية تمزق شعبة بيرس
وتمهد الطريق أمام براك لزعامة حزب العمل

منذ أن خسر براك قيادة الحملـــة الانتخابيـــة لصـــالح حـــاييم رامـــون، وهـــو يشعر بعدم الارتياح للتصورات الانتخابيـــة الحزبيـــة، لقـــد اعتقـــد أن مـــن الضـــروري مهاجمة نتنياهو جبهويا، قبل أن يحظى بانتشـــــار جمـــاهيري.

وفجأة، بدأت العمليات الانتحاريـــة التـــي شـــنتها حركـــة حمـــاس فـــي قلـــب إسرائيل، وقد تمكنت أول هذه العمليـــــات مـــن تدمـــير حافلـــة علـــى (خـــط ١٨) فـــي القدس. وأسفرت عن مقتل، وجرح عشرات الأشـــــخاص، وأخـــذت الصحـــف ووســـائل الإعلام تنشر صور الرعب على صفحاتـــــها الأولـــى.

بدا شمعون بيرس مهموما، إثـــر الحـــادث، وقـــد اتصـــل بـــه بـــراك قبـــل أن يغادر بيته إلى مكتبه، وطلب منه عـــــدم الذهـــاب إلـــى مكـــان الحـــادث، وقـــال لـــه : "شمعون لا يوجد ما يجب عليك أن تذهب من أجله، فحتـــى إســـحق رابيـــن، مـــا كـــان ليذهب إلى هناك في مثل هذه الحالات ولأنه إذا ما ذهبـــت الآن، فســـوف تحـــدد نمطـــا يصعب عليك، في المستقبل عدم العمل به، وأول ما يجـــب عليـــك عملـــه، هـــو تجميـــد المحادثات السياسية حتى إشعار آخر، وأن تفعـــل ذلـــك الآن فـــورا، وقبـــل أن تفحـــص أو تدرس شيئا، فنحن لا نتحدث عن الســـلام فـــي الوقـــت الـــذي تقـــع فـــي العمليـــات الانتحارية، فالجماهير لن تتحمل إجـــراء مفاوضـــات، فـــي الوقـــت الـــذي تتنـــاثر فيـــه الجثث اليهودية، يجب أن تعقد اجتماعا طارئـــا لجميـــع الجـــهات الأمنيـــة، وأن تعطـــي انطباعا بوجود حالة طوارئ، وتعلن عن إغـــلاق المنـــاطق، وتتخـــذ خطـــوات أخـــرى لإعطاء الجماهير انطباعا، بأنك تعـــالج القضيـــة".

لم يقبل بيرس الاقتراحات التي قدمـــها إليـــه بـــراك، وذهـــب صبيحـــة نفـــس اليوم، إلى مكان العملية، وقد كانت هناك حاجـــة لتخصيـــص قـــوة أمـــن كبـــيرة جـــدا، للفصل بينه وبين المتظاهرين الهائجين، الذيـــن أطلقـــوا الشـــعارات المعاديـــة والشـــاحبة لشمعون بـــيرس.

وقد اختلق شمعون بـــيرس آنـــذاك المقولـــة المعروفـــة : "ســـنواصل الســـلام وكأن الإرهاب غير موجود أو سنحارب الإرهاب وكأن الســـلام غـــير قـــائم".

كان بيرس يصر على مواصلة المسيرة السلمية وعدم منح حماس جائزة، وعدم صب الحب في طاحونة الإرهاب بتجميد المسيرة السلمية.

وبعد أن أفاق بيرس من الصدمة، أمر كبار وزرائه بأن يعدوا خطة فصل عن الفلسطينيين فقد كان يدرك أن عليه إقناع الجماهير الإسرائيلية بأن لديه حلا، لقد كان يعارض طيلة حياته، الفصل عن الفلسطينيين ويؤمن بدمج الأجهزة وبالتعاون في "الشرق الأوسط الجديد" أما الآن- وأمام الجثث الممزقة، وتدني شخصيته في نسب استطلاعات الرأي العام، فقد أدرك أن عليه تغيير اتجاهه، فطلب من ايهود براك جمع الوزراء، وعرض خطة فصل.

وقعت العملية الانتحارية الأولى، يوم الأحد الموافق الخامس والعشرين من شباط ١٩٩٦، وفي الثاني من آذار ١٩٩٦، عقد براك اجتماعا في مكتبه حضره حاييم رامون وبنيامين بن اليعيزر ويوسي سريد وموشيه شاحل ويوسي بيلين ، وقد احضر وزير الداخلية شاحل- الذي كان أحد أشد أنصار الفصل بين إسرائيل والفلسطينيين- خطة فصل متكاملة ومطبوعة وتنتظر فقط التوقيع، بيد أن الحاضرين رفضوها رفضا مطلقا، فلم يكن أي منهم على استعداد لمنح شاحل شرف القول بأنه تنبأ بما سيحدث وأعد العدة لمواجهته.

وفي نهاية الجدل الذي نشب بين الحاضرين، تم الاتفاق على قيام المجموعة، ببلورة خطة فصل مفصلة يتم حفظها سرا، وفي صبيحة اليوم الثاني يعقد شمعون بيرس اجتماعا للحكومة، ويتم إبعاد الصحفيين والتعتيم بصورة متكاملة على النقاشات، وتتواصل الاجتماعات والنقاشات حتى ساعات المساء، دون تسريب أي شيء، ثم يعقد بيرس مؤتمرا صحفيا، يعلن فيه عن الفصل بين الجانبين، كحل للإرهاب، وتعلن الحكومة أنها تأمل في علاقة حسن جوار مع الفلسطينيين، بيد أنها معنية بالفصل التام بين الجماهير.

ويقوم بيرس بتعيين طاقم وزاري لتطبيق الخطة، في أسرع وقت ممكن، مما سيؤدي إلى تهدئة روع الجماهير، وعودة بيرس للسيطرة على الوضع.

كان الاعتقاد السائد، أنه لن نقع أي عمليات أخرى حتى الانتخابات، كما أن خطة الفصل ستكون بمثابة مهدئ فعال، يساعد بيرس في إعادة تحسين وضعه، وقد سأل الوزير بن اليعيزر : ما الذي سيحدث إذا ما عارض عرفات هذه الخطة؟ فقال براك يجب أن نعد بندا مناسبا للرد على هذا الرفض في الخطة نفسها، وفعلا تم صياغة بند ينص على أن "تنفيذ خطة الفصل سيأتي متوافقا مع جميع الاتفاقيات التي وقعت عليها إسرائيل، بما فيها اتفاقيات أوسلو.

وفي حوالي الساعة الثالثة صباحا، تمت بلورة خطة الفصل التي يجب على حكومة إسرائيل أن تصادق عليها، على النحو التالي :

١- أن العمل من أجل بلورة واقع تعايش سلمي بأمن وسلام بين إسرائيل والفلسطينيين يجعل الحكومة تتخذ قرارا ينص على العمل للفصل بين الجماهير الإسرائيلية والفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة.

٢- على طول مساحات الفصل، ولغرض الرقابة والسيطرة على وسائط النقل، والمشاة والبضائع العابرة من الضفة الغربية وغزة إلى إسرائيل والعكس، يتم إقامة معابر منظمة.

٣- ضمان صورة مناسبة لعبور وسائط النقل والبضائع وفقا للتصاريح الخاصة بذلك.

٤- بذل الجهود للحيلولة دون الدخول غير المشروع لوسائط النقل، والأشخاص من المناطق الواقعة بين المعابر.

٥- تعزيز الوضع الأمني في القدس عبر تعزيز الجهات الاستخبارية وتعزيز الشرطة في المدينة.

٦- المصادقة على ميزانية لتنفيذ القرار بقيمة ٢٤٧ مليون شيكل على سنتين، ويقوم رئيس الحكومة ووزير المالية ووزير الداخلية، بتحديد مصادر التمويل.

٧- يتم تنفيذ القرارات المذكورة مع احترام الاتفاقيات الدولية التي وقعت عليها إسرائيل بما فيها اتفاقيات أوسلو.

٨- يقوم وزير الأمن الداخلي، وبالتنسيق مع الجهات المختصة بالعمل على تنفيذ القرار.

وفي حوالي الساعة الثالثة والنصف، توجه براك إلى منزل بيرس، الذي قرأ الخطة ووافق عليها، ثم أخذها براك بعد أن أعلمه بما سيتم غدا خلال جلسة الحكومة، وتوجه إلى فندقه في القدس، واستلقى ليأخذ قسطا من النوم قبل بدء جلسة الحكومة.

ما كاد براك يغمض عينيه، حتى سمع صوت انفجار كبير في مركز المدينة، لقد وقع انفجار اخر بعد أسبوع بالضبط من الحادث الأول، وفي نفس حافلات الخط ١٨ ومرة أخرى، في ساعات الصباح الباكر، ومرة أخرى عشرات القتلى والجرحى وأعضاء بشرية متناثرة، وهيجان جماهيري وغضب عارم، قوض الانفجار الثاني نظرية بيرس حول إمكانية السير إلى الأمام، وأدرك أنه يخوض حربا، ويجب أن يزيل القفازات من يديه، لذا أمر بفرض الإغلاق التام على الضفة وغزة، لقد أدرك أن المنظمات المتطرفة، تسعى لإهارة حكومته وتخريب المسيرة السلمية، في الوقت الذي وقف عاجزا دون حول أو قوة، فيما الكوارث تتوالى فوق رأسه.

عرض شارون اقتراحا على بيرس بين الانفجارين، ينص على توليته وزارة الدفاع، كانت الفكرة مثيرة للاهتمام، أن يتم تشكيل حكومة وحدة وطنية إزاء الوضع الأمني المتدهور، ويقوم شارون، عبر وزارة الدفاع، بمعالجة الوضع الأمني.

وقد سأل احد الأشخاص المشاركين في الاتصالات السرية شارون : وماذا نفعل مع نتنياهو؟؟ فقال شارون : دعوه لي، أنا سأتدبر الأمور معه.

استدعى بيرس ايهود براك، وقال له : شارون اقترح أن نوليه وزارة الدفاع، خذ يوسي بيلين وحاييم رامون، وتشاورا، وعودوا إلي بعد الظهر بآرائكم. طرح بيلين مزايا وعيوب ضم شارون إلى الحكومة كوزير للدفاع، فوجد الثلاثة ان العيوب أكثر من المزايا، وجاء ردهم سلبيا.

وبينما الإسرائيليون لا زالوا يلعقون جراحـــهم وقــع الحـــادث الثـــالث، والـــذي كان أشد وأخطر من الحادثين السابقين، فقد وصل الانتحـــاري هـــذه المـــرة إلـــى قلـــب تل أبيب، وفي شارع ديزنغوف عشية عيد المساخر، وبـــدا أن الرعـــب والفـــزع الـــذي أخذ بتلابيب الجماهير الإسرائيلية هو أكبر من القـــدرة علـــى التحمـــل.

اتصل يوسي بيلين بايهود براك، وقال لـــه : تعـــال نجلـــس مـــرة أخـــرى أنـــا وأنت وحاييم رمون لنتدارس الأمر من جديـــد، وألمـــح إلـــى أنـــه يرغـــب فـــي إعـــادة النظر بقضية تعيين شارون وزيـــرا للدفـــاع.

اتصل براك بجيورا عيني، وقال له : إن يوســـي يقـــترح عليـــه الاجتمـــاع بـــه هو وحاييم رمون، فسأله عيني، هل بـــيرس يعـــرف بذلـــك؟؟ فقـــال بـــراك "لا، إنـــه لا يعرف"، فنصحه عيني بعدم الذهاب قائلا : تخيـــل أن بـــيرس ســـيعلم أنكـــم تجتمعـــون من وراء ظهره، وسيفكر بما ســـتقولونه وحدكـــم".

أخذت الجماهير تتجمع في مظاهرات عضويـــة وهـــي تصـــرخ بمـــلء الفـــم : لا نريد سلاما، نريد حربـــا.

اتصل بيرس ببراك، وقال له أنه يريـــد أن يـــراه علـــى انفـــراد، فذهـــب إليـــه براك، وبدا أن هناك اتهاما يحلق في جو الغرفة، ويتعلـــق بعـــدم تعييـــن بـــيرس لـــبراك وزيرا للدفاع، وبدا أن بيرس نادم على ذلك، بيـــد أن الأوان كـــان قـــد فـــات، لقـــد فقـــد بيرس مرة واحدة، المكانة والإجماع الكبـــير الـــذي التـــف حولـــه فـــي أعقـــاب مقتـــل رابين.

لقد حطمت الانفجـــارات الشـــعور بالســـلام والأمـــن، وحولـــت بـــيرس بيـــن عشية وضحاها إلى عدو الجمـــاهير.

انضم إلى المقابلة رئيس الأركـــان ورئيـــس شـــعبة الاســـتخبارات العســـكرية وضباط آخرون، وحاولوا بلورة خطة، أمنية ما، كان مـــن الواضـــح للجميـــع ضـــرورة عمل شيء ما، لكن لا يوجد من يدري مـــا هـــو.

وفي حوالي الساعة الخامسة والنصـــف، عقـــدت الحكومـــة جلســـتها، ونقلـــت شبكات التلفزيون في بث حي الأحداث الدرامية التـــي تحـــدث.

فجأة بدأت أجهزة الإرسال الموجودة بحوزة عدد من الصحفيين في إصدار ذبذبتها، وأفادت أن حاييم رامون وبراك ويوسي بيلين عقدوا اجتماعا في مكتب رامون، وخططوا لمؤامرة ضد بيرس، يجبرونه خلالها، على تعيين براك وزيرا للدفاع، فسارع المراسلون إلى بث هذا النبأ على الهواء مباشرة، مما أشاع جوا من الثورة والتمرد والانقلاب داخل الحكومة الإسرائيلية.

قدم آفي بينهو، مستشار رئيس الحكومة لشئون الإعلام وهمس في اذان بيرس بالنبأ الشائع، فالتفت بيرس إلى براك، وقال بغضب : ما هذا؟؟

- براك : لا توجد لدي أي فكرة عما تتحدث عنه.
- بيرس: إذا أخرج إلى الصحفيين وكذب النبأ..
- براك : لقد سمعته لتوي، قل لمن سربه أن يكذبه لا علاقة لي به أبدا.

لم يدرك براك بوصفه غرا سياسيا حقيقة ما يحدث، لم يدرك أن من سرب النبأ يقصد الإيحاء إلى بيرس بأن براك يسعى للإطاحة به.

وفي النهاية خرج بينهو إلى الصحفيين وأكد أن الخبر عار عن الصحة تماما.

كانت الأيام التي تلت الانفجارات الثلاثة شديدة المرارة، فقد قام الجهاز الأمني الإسرائيلي بأمر مباشر من بيرس بتشديد قبضته على الفلسطينيين، واصبح الإغلاق محكما، ووصل الوضع في الضفة إلى حافة الجوع. بدأت العملية الانتخابية تدخل مرحلة سريعة جدا، وعاد براك للمطالبة باتحاد إجراءات متشددة في مواجهة نتنياهو، لقد أقلقه الخطر المعتدل الذي انتهجه مسئولو الحملة الانتخابية.

وفي الحادي عشر من نيسان، شن الجيش الإسرائيلي حرب "عناقيد الغضب"، على أرضية قيام حزب الله بقصف مستوطنات الشمال بالكاتيوشا كانت تلك الحرب شبيهة بحرب "يوم الحساب" التي قادها براك، إبان توليه منصب رئاسة الأركان.

وعادت المناظر المألوفة إلى الظهور، من جديد، طائرات سلاح الجو الإسرائيلي تهاجم القرى اللبنانية، وآلاف اللاجئين يتدفقون شمالا، والحكومة اللبنانية تستغيث طلبا للنجدة، ودول العالم تشجب إسرائيل.

بيد أن العملية انهارت في أعقاب قيام الجيش الإسرائيلي بقصف معسكر الأمم المتحدة في قرية (قانا) ومقتل مائة شخص من اللاجئين، وإصابة العشرات بجراح، وهكذا، شاهد بيرس مرة أخرى عمله يذهب أدراج الرياح، وفقدت إسرائيل مبرراتها لشن الحرب على الصعيد العالمي، كما فقد بيرس أصوات الناخبين العرب في إسرائيل.

ورغم ذلك، أمل أن يكون نجح في تحسين صورته الأمنية، حيث أخذ يتجول، إبان الحرب وبين وحدات الجيش، وهو يرتدي سترة عسكرية زرقاء، وكان يأمل أن يحظى بفترة راحة من العمليات، لأنه كان يدرك أن الانفجار القادم سيقضي على أي فرصة أخرى بالفوز في الانتخابات.

وفي الثامن والعشرين من أيار، أي قبل يوم واحد من التوجه إلى صناديق الاقتراع توجه براك إلى (بني براك) واجتمع هناك مع مقربي الحاخام أليشيب كبير الحاخامات الحراديم وقال لهم : لقد أتيت إليكم نظيف اليدين، غدا الانتخابات وبالتالي لا أستطيع أن اكسب شيئا من هذه الزيارة، بيد أنني أؤكد بها على أن بيننا حوارا، وآمل أن يتواصل بعد الانتخابات. وظهر نفس اليوم وصل بعكبتس الى مكتب براك في تل أبيب، وأحضر معه نتائج الاستطلاع الذي أجراه (حانوخ سميث) الليلة الماضية، وكانت النتائج تشير الى أن نتنياهو حصل على ٥١,١% في حين حصل بيرس على ٤٨,٥% كان هذا الاستطلاع أول استطلاع لمكتب براك الذي يشير الى فوز نتنياهو، وقد حدث ذلك عشية الانتخابات.

وصل براك الى مركز الحملة الانتخابية الذي يديره حزب العمل، وبدلا من أن يجد عملا منظما وجد كومة من الناس، غالبيتهم قدموا لقتل الوقت. وفي داخل المكتب الرئيسي، بدا (موشيه شاحل) رئيس يوم الانتخابات وكأنه نصف نائم، في حين كان بيرس يتصل بصورة نصف هستيرية برؤساء البلديات

والمجالس المحلية العربية، في محاولة لدفعهم للتصويـت، كـانت التقـارير تشـير الـى وجود نسب ضئيلة من المصوتين العرب، ممـا يعنـي هزيمـة سـاحقة لبـيرس، لقـد وصلت حالة اليأس ببيرس إلى الدرجة التي جعلتـه يتصـل بـالعرب الذيـن يعرفـهم، وكاد أن يتوسل إليهم لإنقـاذه.

عاد براك الى فندقه، فقد أدرك أنه لم يعد هنـاك مـا يمكـن عملـه، وهنـاك شاهد ، مع كورن وبعكبتس، النمـوذج الانتخـابي للقنـاة الأولـى والثانيـة، واللذيـن أكدا على تفوق طفيف لبـيرس.

توجه براك الى مركز الحملة الانتخابية فوجد زعامـة الحـزب كلـها هنـاك، سعداء بالنتائج التي عرضها التلفزيون، وفي حوالي منتصـف الليـل بـدأ الفـارق بيـن الاثنين يتقلـص.

ذهب براك للنوم، وفـي السـاعة الخامسـة والنصـف، وصـل الـى الفنـدق روني بوندي، وقال له لم يعد هناك أي أمل لقد فـاز نتنيـاهو.

وفي حوالي الساعة العاشرة صباحا اجتمع براك مـع بـن اليعـيزر وشـوحط لتناول وجبة الإفطار كانت الأجواء صعبة للغايـة، ووجـوه الزعمـاء الثلاثـة عابسـة، وفجأة قال شوحط وبن اليعيزر، "براك، لقـد انتـهى الأمـر، يجـب أن تمسـك بزمـام الأمور"، كان الاثنان يدركان معنى الهزيمة التي مني بـها بـيرس، إن الهزيمـة تعنـي أنه انتهى، والأمور لن تسير دون نضال "جميع العيـون سـترنو إليـك ويجـب عليـك ان تأخذ الأمور، بيديك، ويجـب أن تـدرس أيضـا إمكانيـة تشـكيل حكومـة الوحـدة الوطنية، أدرس ما الذي يفكر فيه نتنياهو بـهذا الصـدد".

وهكذا تشكل التحالف الأول بعد الانتخابات بين ايـهود بـراك وبـن اليعـيزر وشوحط، وقد وقفا الى جانبه في المسيرة التي قادته الـى رئاسـة الحـزب.

عقد اللقاء الجدي الأول بين بيرس وبراك بعـد أسـبوع مـن الانتخابـات فـي منزل بيرس، وقد استهل بيرس الحديث قائلا : ايـهود أنـا أدرك مغـزى مـا حـدث، سنضطر للامساك بالأعنة وقيادة الحزب في مواجهـة نتنيـاهو، أمـا أنـا فسـأجد مـا أفعله، لا أعتزم البقاء في البيت، سأحاول مواصلـة العمـل مـن اجـل السـلام، وآمـل

أن تنجح في معالجة نتنياهو، إن هذا الرجل لا يفقـه شـيئا ممـا يفعـل، وسـرعان مـا سيجد نفسه خاضعا لشارون الذي سيتحول الـى أقـوى شـخصية فـي الحكومـة، لقـد جلب له ارئيل شارون أصوات الحراديم، لذا فإنه مدين له بـالفوز، وأنـا، رغـم ذلـك، أتوقع له أن يتحطـم.

فقال براك : بيرس، أنت مخطـئ، أنـت تعـرف ارئيـل شـارون، والجـهاز القديم للعمل، أما أنا فأعرف القـانون الجديـد والانتخـاب المباشـر، لقـد قـرأت عنـه بصورة موسعة، وكذلك نتنياهو يعرفه حقـا نتنيـاهو لا يتمتـع بخـبرة علـى صعيـد إدارة الدولة، لكن لديه قدرة جيدة على صعيـد اسـتخدام القـوة الممنوحـة لـه شـرعيا ولا أعتقد أن شارون أو أي جهة أخرى تستطيع إيقافـه، فالقـانون يمنحـه قـوة غـير محدودة بل إن نتنياهو سيحاول بادئ ذي بدء، إبعاد شارون نظـرا لكونـه قويـا.

عاد بيرس الـى الوضـع الحزبـي، فقـال : أنـا أدرك مغـزى مـا حـدث، وسأنقل إليك عصا القيادة يجب العثور على أسـلوب لنقلـها إليـك بسـرعة، وسـأعمل على تقديم جميع المساعدات التي تطلبـها منـي.

عاد براك الى منزله، فـي سـاعات الفجـر الأولـى وقـال لزوجتـه : تبـدو الأمور جيدة جدا فهو يعتزم نقل القيادة لـي بإرادتـه الحـرة بيـد أن زوجتـه رفضـت تصديق ذلـك.

وبعد عدة أيام اجتمع براك بعدد من مقربيـه فـاتضح لـه أن بـيرس تراجـع عن فكرة تسليمه زمام الأمور، وأنه بـدأ يتحـدث عـن إرجـاء الانتخابـات التمهيديـة الداخلية (البرايمرز) لرئاسة الحزب، وعـن ضـرورة العمـل علـى ترميـم الحـزب، والانضمام الى حكومة وحدة وطنية، لقد أدرك بـراك، أن بـيرس لـن يـترك منصبـه بإرادته ويجب أن يريه الطريـق.

اجتمع عضو الكنيست دان مريدور ليكود قبـل يـوم واحـد مـن الانتخابـات بنتنياهو، وقال له : إذا فـزت غـدا يجـب أن تشـكل حكومـة وحـدة وطنيـة فوافق نتنيـاهو.

وفي صبيحة يوم الفوز استدعي نتنياهو مريدور وقال له : اذهب الى براك وتحدث معه حول تشكيل حكومة وحدة وطنية فسأله مريدور، فيما إذا كان جادا؟؟ فقال نتنياهو أنا جاد جدا، تحدثوا حاليا حول الشروط والنية، لكن ليس عن الوزارات. اجتمع مريدور ببراك وبعد أن حصل براك على موافقة متحفظة من بيرس وناقش صورة تشكيل حكومته وحدة وطنية وبنيتها واتفقا على أن تكون مختلفة عن حكومة الوحدة الوطنية السابقة.

عاد مريدور الى نتنياهو وأعلمه بالتقدم الذي حدث على صعيد مباحثاته مع براك فقال له نتنياهو : "جميل واصل التفاوض"، وقد اجتمع مريدور، بهذا الخصوص، مع شوحط وبيلين وحينما عاد الى نتنياهو أبدى حماسا بالغا لما آلت اليه الأمور.

وبعد حوالي أسبوع، اكتشف مريدور، أنه يدور في حلقة مفرغة، فقد كاد نتنياهو يستكمل تشكيل حكومته، دون أن يشير الى حزب العمل، واتضح له أن نتنياهو كان يستغله في عملية تضليل لأشغال حزب العمل، ولم يفكر أبدا في تشكيل حكومة وحدة وطنية.

اجتمع براك وبيرس عدة مرات في محاولة لتحديد تاريخ متفق عليه لانتخاب رئيس للحزب ولبلورة الإجراءات وفي نهاية هذه الاجتماعات بقي بيرس جريحا ومهانا، وهو منذ ذلك اليوم يحتقر براك، ويرفض سماع اسمه، ترى ما الذي حدث خلال هذه اللقاءات؟؟

حاول بيرس في البداية، المساومة على تاريخ لانتخاب رئيس الحزب الجديد، وذكر عام ١٩٩٩ ثم تراجع الى كانون الثاني ١٩٩٨، بيد أن براك وانطلاقا من القوة، أفهمه أنه لا يوجد ما يمكن الحديث حوله، هناك قانون للحزب، وسنعمل وفقا له، يجب أن نعيد ترميم الحزب ولا وقت لدينا.

وفي نهاية المطاف تم الاتفاق على انتخابات داخلية مبكرة في الثالث من حزيران ١٩٩٧.

ثم نشب جدل جديد، تم الاتفاق في نهايته علـــى أن تحـــدد فــترة انتقاليــة بعــد الانتخابات يكون هناك الحــق للرئيــس القديــم وبالتشــــاور مــع الرئيــس الجديــد، اختيــار الــوزراء الذيــن سيشــــاركون فــي حكومــة الوحــدة الوطنيــة إذا مـــا تشــــكلت مثل هذه الحكومـــة.

لقد التقــى بــيرس وبــراك لإجمــال الإجــراءات والاتفــاق عليــها، ويطلــق المطلعون على خفايا تلك المقابلة اسم (المحادثة الصعبة)، وهــــي التــي تركــت بــيرس جريحا حتى اليــوم.

طالب بيرس إن تمتد الفترة الانتقاليــة انفــة الذكــر لمــدة ســتة أشــهر، مــن شهر حزيران موعد انتخــاب الرئيــس الجديــد، وحتــى كــانون الأول بيــد أن بــراك عارض ذلك فتنازل بيرس حتى تشرين الثاني، بيــد أن بــراك عــارض حتــى وصلــت الأمور الى أيلول، ثم بدأ الجدل حــــول الأيــام، فــاقترح بــراك الخــامس عشــر مــن أيلول، بيد أن بيرس أراد ان يحدد اليــوم بنهايــة شــهر ايلــول، نظــرا لان عيــد راس السنة صادف نهايــــة أيلــول، وأراد بــيرس أن يقضــي العيــد وهــو يحمــل شــعورا بامكانية تشكيل حكومة وحدة وطنيـــة.

رفض براك ذلك رفضا باتا، فقال لــــه بــيرس لا اعتقــد ان عــدة ايــام هــي مسألة مهمة، فقال براك: إذا لم يكــن مــهما فلمــاذا لا تتنــازل وإذا كــان مــهما لــك، فلماذا لا يكون مهما لي أيضـــا؟!؟

بيرس : "أنت تجادل على مسالة هامشية وتافهة علــى عــدة أيــام"؟!

براك : شمعون، هذه ليست مسألة شــــخصية أنــت تعــرف أننــي اكــن لــك احترامــا كبيرا، بيد أنه يجب وضع حد للوضع فــي مرحلــة مــا، ويجــب عمــل ذلــك، وهــذه مسألة مبدئية بالنسبة لي، ولست على اســـتعداد للتنــازل.

وانتهت المقابلة حتــى هنــا، وبــــيرس يتـــــعر أنــه جريـــح ومــهان إهانة لا تغتفــر.

قال له عيني : لقد بالغت مع بـــيرس.

براك : لم أبالغ، لقد كان من الضرورة وضع خط أحمر في لحظة ما، ولو لم أفعل ذلك، لوجد شيئا آخر.

وهكذا تم الاتفاق على أن يظل بيرس حتى الخامس عشر من أيلول بالصفة التي أشرنا إليها آنفا.

وفي اليوم نفسه، دعا بيرس مسئولي الحزب كي يعلمهم بما تم الاتفاق عليه، بينه وبين براك، بيد أنه استدعى براك قبلهم بساعة، وهناك بدا الجو هادئا وبدا بيرس مسلما بالأمر وراضيا، وجرت المقابلة على احسن وجه، وفي الثالث من حزيران تم انتخاب براك رئيسا لحزب العمل بأغلبية ضئيلة تزيد قليلا عن ٥٠% من أصوات أعضاء الحزب، وفي المكانة الثانية جاء يوسي بيلين وفي المكانة الثالثة شلومو بن عامي، وفي المكانة الرابعة أفرايم سنية.

الفصل السابع والعشرون

- معركة حياته -

براك ارتكب أخطاء جسيمة وخيب ظن حزب العمل

في أوج أزمة الخليج استدعي رئيس الحكومة نتنياهو، براك لإطلاعه على الأوضاع، وفي أعقاب المقابلة، وجد براك خارج قاعة الاجتماعات، عددا كبيرا من الصحفيين والمصورين بانتظاره، كي يلقي كلمة ما، أو يدلي بحديث، وبدأ يتكلم وهو قريب جدا من أجهزة التصوير التلفزيونية، ويحملق فيها، وفجأة اقترب منه شاي بزاك مستشار رئيس الحكومة للشئون الإعلامية – وهمس في أذنه بشيء ما، وتراجع الى الخلف، لقد قالا له : لا تقترب الى هذا الحد من الكاميرات، لأن صورك ستخرج الى الشاشة بشعة كعين السمكة.

ولا نجد أدق من هذا الوضع كي يشهد على وضع أهود براك، في نهاية عام من تسلمه مقاليد الرئاسة في حزب العمل، إن الرجل الذي كان أمل الحزب في تحقيق الانتصارات في المستقبل، بقي مصلوبا على المدرج، ولم يستطع التحليق أبدا.

لقد ارتكب سلسلة من الأخطاء الجسيمة، وأدلى بالعديد من التصريحات الفاشلة، وارتكب أعمالا خاطئة، مما حوله الى هدف للهجمات والانتقادات من الداخل، والخارج، لقد توقع أعضاء حزبه أن يقودهم الى عودة سريعة للسلطة، بيد أن هذا لم يحدث، وبدلا من ذلك، حصلوا على استقالات من قبل موظفي وعمال الحزب، وتصريحات بائسة في البرنامج التلفزيوني الذي حضره مع جدعون ليفي، حينما قال : لو كنت شابا فلسطينيا لالتحقت بمنظمة إرهابية، وسلسلة من التعيينات الفاشلة، والعقبات، بل لقد كان بمقدور شخص كسكرتير الحزب رعنان كوهين أن يتحداه في أوج الأزمة ويخرج من المعمعة بسلام.

ترى ما الذي حدث لايهود براك؟ ولماذا لم ينجح في التحليق؟؟؟ واين اختفت الامال الكبيرة التي جالت في قلوب مؤيدي الحزب عندما حظي براك برئاسة الحزب؟؟

لقد سيطر براك على الحزب بصورة تذكرنا بالأسلوب الذي سيطر فيه بنيامين نتنياهو على حزب الليكود، بالإصرار، والتخطيط الدقيق، واستغلال الأوضاع، والقسوة، والوحشية، لقد كان يدرك أن الهزيمة في الانتخابات أهارت

الحزب وخلقت فراغا، وأدرك أنه إذا لم يحتل هـــذا الفـــراغ، فسـيحتله شـخص اخـر، فاندفع قدما، مستغلا نقاط الضعف لدى الخصم، ونجـــح فـــي مســعاه وحينـــها اكتشــف براك حزب العمل، والفوارق القائمة بينه وبيـــن الليكــود.

فحزب العمل على عكس حزب الليكود الذي يمكـــن الســيطرة عليـــه بســـهولة نسـبية، حـــزب مفـــرق ديموقراطـــي بصـــورة خاصـــة، ذو مؤسســـات كثـــيرة، وبيروقراطية الى حد كبير، يستحيل السيطرة عليها مـــن قبـــل شـــخص وحيـــد، وعلـــى وجه الخصوص عندما يتعلق الأمر بغر سياسي كايهود بـــراك، والـــذي لا يوجـــد الـــى جانبه حتى شخصية كافيجدور ليبرمـــان يشـــد أزره.

وأول سقطات براك تمثلت في رسائل الإقالة التـــي بعـــث بـــها الـــى موظفـــي الحزب، هذه القضية التي خرج منها مهانا وجريحا، ومعترفا بأنــــه ارتكــب خطـــأ.

وعندما تسلم براك رئاسة الحزب، اكتشـــف وضـــع الحـــزب المـــالي، والـــذي كان مأساة في حد ذاتـــه، كـــانت العجـــوزات الحزبيـــة تتضخـــم شـــهريا بمعـــدل ١,٢ مليون شيكل، ونفقاته تصل الى ٣,٧ مليـــون شـــيكل شـــهريا، مقـــابل دخـــول لا تزيـــد عن ٢,٥ مليون شهريا، ووجد ديونا متراكمة تربـــو علـــى مائـــة مليـــون شـــيكل اخـــذة في النمو والزيادة، وأدرك أنه لا يستطيع العمل فـــي هـــذا الوضـــع.

وفي أعقاب المشاورات التي أجراهـــا، اتفـــق الجميـــع علـــى ضـــرورة عمـــل شيء ما عاجل، يجب بتر قسم من اللحم الحي، وعندمـــا طلـــب مـــن مســـئولي الحـــزب المساعدة في تقليص النفقات، تهربوا منه ولم يلـــق أذانـــا صاغيـــة.

قام براك بتشكيل لجنة لفحـــص الوضـــع المـــالي للحـــزب واقـــترح الحلـــول، ولم يجد أمامه إلا أن يقيل عمالا من الحـــزب، وقبـــل أن تنتـــهي اللجنـــة مـــن وضـــع تقريرها النهائي، ومن مكان تواجده آنذاك في بـــاريس أصـــدر أوامـــر الإقالـــة للعمـــال، لقد تصرف كعسكري وليس كسياسي، كان في الجيـــش يعـــرف أنـــه يجـــب أن يحـــافظ على روحية المبادرة، وأن الجبهة التي توجه الضربـــة الأولـــى تحظـــى بـــالنصر، لقـــد سمع أن العمال سيقدمون التماسا الى المحكمة لاســـتصدار أمـــر يمنعـــه مـــن إقالتـــهم، فقرر استباقهم، وأصدر أوامر الإقالة، ولـــو أنـــه انتظـــر حتـــى تنشـــر اللجنـــة نتـــائج

الفحص، لحظي، في حالة إصدار أوامر الإقالة بالتـأييد، علـى أسـاس أن هـذا الحـل هو المخرج الوحيد، بيد أن هذا لم يحدث، لقد تلقـى نصـائح غـير مناسـبة واضطـر في نهاية المطاف للاعتراف بخطئـه.

لقد ورث العجز من سلفيه بيرس ورابين، بيـد أنـه رفـض توجيـه أصـابع الاتهام عليهما، وتحمل وحده جميـع الانتقـادات.

إن أزمة إقالة العمال تعكس بصـورة جيـدة مشـاكل ايـهود بـراك، منـذ أن خاض غمار السياسة، فهو عديم التجربـة، مـتردد، فـي الوقـت الـذي لا ينفـع فيـه التردد، وباتر حينما لا يجب البـتر، ويصغـي أكـثر ممـا ينبغـي للنصـائح السـيئة، ويحيط نفسه أكثر مما ينبغي بأناس غير محـترمين، ويفتقـرون الـى التجربـة، وهـو جنتلمان في عالم مـن المخـادعين، ويحـاول أن يشـق طريقـه فـي غابـة السياسـة الكثيفة، وهو يرتدي قفازا أبيض بدلا من التسلح بسـكين بـاتر قـاطع.

وعلى الصعيد الإعلامي، فقد استبدل مستشـاريه الإعلاميـين مثلمـا تسـتبدل أوراق الشجر في الخريف، وهـو لا يولـي أهميـة كبـيرة للاستشـارات الإعلاميـة، لأنه لا يدرك، حتى الآن، القـوة الهائلـة التـي تتمتـع بـها وسـائل الإعـلام فـي المجتمع العصري، وهو يؤمن بأن فـي مقـدوره الفـوز بالانتخابـات بقـوة الجوهـر وليـس بقوة التلفزيـون.

لقد كان على براك أن يسـتقي العـبر، فيتخـذ مـن شـمعون بـيرس قـدوة، فيوسي بيلين وآفي جيل، وأوري سابير، كانوا جميعا وسـائل ناجعـة، مؤهلـة، وكفـؤة ومخلصة تفرش الطريق أمام بيرس فـي العـالم الدبلوماسـي والسياسـي، ولـم يقـم أي منهم بتدبير المكائد لـه، أو يعمـل علـى إحباطـه، بـل بذلـوا قصـارى جـهدهم لإنجاحه، وإعلاء شـأنه.

ورغم أن الكثيرين يعتقدون أنه تـوأم لنتنيـاهو إلا أنـه فـي الحقيقـة يختلـف عنه، وهناك أيضا جوانب مشـتركة بينـهما، فـهما خريجـا دوريـة الأركـان وهمـا شكاكان، ومركزيان في تعاملهما، بيد أن براك قضى حياتـه كلـها فـي الجيـش، فـي حين قضى نتنياهو معظم حياته أمـام التلفزيـون.

ونتنياهو إنسان ميكانيكي أتوماتيكي كالإنسان الالي، وهو الة إعلامية رهيبة وفذة، ولا يمكن أن يضبط وهو غير مستعد، ولا يمكن إحراجه علنا، وهو يتحدث بلباقة، ويقول لكل شخص ما يود أن يسمعه، ويضفي جوا من الضبابية على الأشياء حينما يرغب في ذلك، ويخطط مسبقا لكل ايماة وحركة، وكل كلمة يتفوه بها.

أما براك، فهو إنسان خجل، منطو، على نفسه، منغلق، ولا يميل للكشف عن شخصيته ويكثر من الملاطفة.

وعندما سأله المراسل : ماذا كان سيفعل لو أنه كان شابا فلسطينيا؟؟ لم يتردد ورد ردا حقيقيا، وهو الأمر الذي ما كان يحدث أبدا لنتنياهو، وبراك لماح، ويدرك الأمور فورا، بيد أنه يتخذ القرار أحيانا بصورة بطيئة، وهو يكثر من التشاور، والارتباك، والتخبط، وإشراك الدنيا بأسرها في قراراته، في حين تؤدي زيادة المعلومات في بعض الأحيان الى تشويش الوقائع الاستراتيجية.

وبراك على عكس نتنياهو، على استعداد للضحك على نفسه، وبراك مثل رابين يحب الحزب فعندما يكون في الحزب، لا يكون حقيقيا ويشبه عصفورا في قفص.

وعلى عكس نتنياهو، فإن براك لا يجتاز المقابلات التلفزيونية بصورة طبيعية ويرفض بشدة اتخاذ دورات بهذا الصدد، وهو يدرك الثمن الباهظ الذي يدفعه جراء ذلك، بيد أنه يؤمن بأنه قادر على الانتصار، بالصدق والمصداقية التي يحملها.

وهناك نوع من السذاجة في شخصيته، فهو لا يعد بما لا يستطيع تنفيذه، ويقول ما يشعر به فعلا.

وعندما ينظر براك الى الخلف يمكنه أن يبتسم فقد وصل الى قيادة الحزب في وقت قياسي وهو في موقف الانطلاق الى المكانة التي تاق إليها توقا شديدا وبراك المعروف بعدم تأثره تحت الضغط، يحاول ضبط نفسه، بحيث لا يتأثر، وهو يحاول تعلم الكثير عن الحركة، واستقاء العبر، وتجنيد مؤيدين وهو

بانتظار الزلة القادمة لنتنياهو، وهو لا زال الأمل الكبير لحزب العمل في العودة الى السلطة في إسرائيل في عام الألفين، أو حتى قبل ذلك.

الفصل الثامن والعشـــرون

براك في منتصف حياته

يبلغ ايهود براك من العمـــر ٥٦ عامـــا، وهـــو الآن يواجـــه أكـــبر التحديـــات في حياته : الصراع على قيادة الدولـــة.

لقد مرت ثلاث سنوات منذ أن دعاه اســـحق رابيـــن وشـــمعون بـــيرس أخـــر عمالقة حزب العمل، للانضمام الى الحزب، لا سيما وأنـــهما وجـــدا فـــي شـــخصيته مـــا كانا يبحثان عنه فـــي شـــخص الزعيـــم القـــادم للحـــزب مـــن عميـــق التفكـــير، الفـــهم التاريخي، الاتزان، الشعور بالمسؤولية، وحســـن القيـــادة.

لقد عمل رابين وبيرس مع براك منذ ســـنوات طويلـــة، رابيـــن – منـــذ أيـــام دورية هيئة الأركان، عندما كـــان ايـــهود ملازمـــا صغـــيرا، وبـــيرس – منـــذ عمليـــة إطلاق سراح رهائن (سابينا) وعندما كـــان وزيـــرا للمواصـــلات.

وفي غضون أقل من ثلاث سنوات، شـــغل بـــراك منصـــب وزيـــر الداخليـــة، ووزيـــر الخارجيـــة، انتخـــب للمركـــز الأول فـــي الانتخابـــات الداخليـــة الحزبيـــة (البرايمرز)، وانتخب زعيمـــا للحـــزب ومرشـــحا لرئاســـة الحكومـــة بأغلبيـــة كبـــيرة، تفوق ما حظي به رابين ونتنياهو فـــي الســـابق.

وقد احتفظ براك في استطلاعات الرأي العام التـــي تجـــري منـــذ عـــدة أشـــهر بالتفوق الواضـــح علـــى بنيـــامين نتنيـــاهو، وفـــي اللحظـــات الحاســـمة، كالاحتفـــالات بمرور خمسين عاما على قيـــام الدولـــة اليهوديـــة، كـــانت اســـتطلاعات الـــرأي العـــام تشير الى تساوي النسب بينهما، وكمـــا يبـــدو، فـــإن الجمـــهور يمنـــح بـــراك، أفضليـــة واضحة مقابل نتنياهو، أو مقابل أي مرشـــح آخـــر فـــي الســـاحة السياســـية، فـــي كـــل اســـتفتاء ثقـــة أو مصداقيـــة، بيـــد أن الاســـتطلاعات لا تحســـم الانتخابـــات فـــوزا أو خسارة، لذا يدرك براك أنه ما يزال في منتصـــف الطريـــق.

وللحقيقة، اعتاد براك حتـــى اليـــوم الفـــوز فـــي المنافســـات السياســـية التـــي خاضـها ليس هذا فحسب، بل اعتاد الفـــوز فـــي كـــل حياتـــه، فـــهو شـــخصية تتمتـــع بالذكاء وسرعة البديهة، تجيد التعلم من الأخطاء، وإصلاح مـــا ينبغـــي إصلاحـــه.

في بعض الأحيان، يميل براك الى استعادة ذكرياته في دورية هيئة الأركان، الجيش، الحروب، العمليات، ذكريات الأصدقاء والقادة، ذكريات النصر وذكريات الألم لفقدان الأصدقاء.

وإذا ما تمكن براك من الفوز في انتخابات عام ٢٠٠٠، أو قبل ذلك، فسيكون أسرع زعيم يصل الى مكتب رئيس الحكومة، منذ دخوله الحياة السياسية في تاريخ إسرائيل، فاسحق شامير انتخب بعد سبع سنوات من دخوله الحياة السياسية، نتنياهو بعد ثماني سنوات من عودته من الأمم المتحدة، أما اسحق رابين فقد انتخب بعد حرب تشرين ١٩٧٣، فيما وصل بيرس الى مكتب رئيس الحكومة، في إطار حكومة الوحدة الوطنية التي تشكلت عام ١٩٨٤.

ويثق براك بأنه يبني خطا سليما وجازما، وهو لا يخشى القيام بخطوات لم يخطها سابقوه، أو ربما لم يجرؤوا على ذلك، كطلب العفو من أبناء الطوائف الشرقية على المعاناة القاسية التي عاشوها في الخمسينات، المعارضة الشديدة لقانون التهويد وقانون العفو العام، رغم الضغوطات الكثيرة التي مورست عليه.

كذلك، يبدو موقف براك على المسار السياسي، أكثر وضوحا وحدة من سابقيه فهو يتحدث عن فصل طبيعي بين الإسرائيليين والفلسطينيين مع الحفاظ على خطوط حمراء، تسوية مؤلمة، لكن يفرضها الواقع، من وجهة نظره.

في أيار ١٩٩٨، بادر براك الى طرح مشروع لتجنيد المتدينيين الورعين (الحراديم) في الجيش الإسرائيلي كانت خطوة شجاعة، لم يجرؤ أحد من زعماء حزب العمل في السابق على طرحها، وهو يثق بأن القانون المقترح، سيحظى في نهاية المطاف، ليس فقط بقبول الجمهور العلماني، بل بقبول المتدينيين الورعين (الحراديم)، الذين سيرون فيه منفذا للخروج من الضائقة: ومسح الوصمة التي التصقت به كمجتمع فقير.

لا شك في أن براك يدرك طبيعة الانتقادات الموجهة إليه من داخل الحزب وخارجه، وخلافا لشمعون بيرس، وكما كانت الحال عليه بالنسبة لرابين، لم يتجاهل براك الانتقادات، ولم يتهرب من مواجهة واقع صعب، لكن وضع

الحزب اليوم، أفضل بكثير مما كان عليه في السبعينيات والثمانينات، عندما دمر كل معسكر رابين ومعسكر بيرس الآخر، الأمر الذي ألقى بالحزب الى المعارضة.

يحب براك المقولة التالية : "يختار الإسرائيليون الزعيم بالقلب والعقل معا، وثلاثة أسئلة فقط ستحسم الاختيار :

- بمن أثق.
- على من اعتمد في قيادة الدولة.
- من أكثر اهتماما مني كمواطن وإنسان، من يشعرني بالاحترام وأشعر بأنه يخدمني أكثر مما أخدمه.

ويثق براك بأن الإجابات عن الأسئلة الثلاثة، ستحوله في وقت قريب جدا، من جندي (رقم –١) الى زعيم من الطراز الأول.

الكتب الصادرة عن دار الجليل

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
١-	عمود النار ، الأسطورة التي قامت عليهاالسرائيل		غازي السعدي
٢-	الأستيطان ، التطبيق العملي للصهيونية طبعة جديدة (مزيدة ومنقحة)	عبد الرحمن ابو عرفة	
٣-	حرب الجليل ، الحرب الفلسطينية ـ الأسرائيلية ، تموز ١٩٨١	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٤-	الكتاب السنوي ١٩٨١ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة .	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
٥-	الكتاب السنوي ١٩٨٢ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
٦-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (١) شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٧-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٢)	مايكل جانسن	محمود برهوم
٨-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٣) وثيقة جرم وادانة	غازي السعدي	
٩-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٤) اهداف لم تتحقق	غازي السعدي	
١٠-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٥) معتقل انصار ـ وصراع الارادات	سليم الجنيدي	
١١-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٦) الحرب المضللة	زئيف شيف و ايهود يعاري	غازي السعدي
١٢-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٧) فظائع الحرب اللبنانية		زكي درويش
١٣-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٨) هزيمة المنتصرين وانتصار القضية	اللجنة ضد الحرب في لبنان	
١٤-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٩) الأسرى اليهود وصفقات المبادلة	غازي السعدي	
١٥-	رسائل من قلب الحصار من ابو عمار الى الجميع		
١٦-	يوميات من سجون الاحتلال ـ زنزانة رقم (٧)	فاضل يونس	

١٧- المثلث الايراني : العلاقات السرية الاسرائيلية ـ الأمريكية الايرانية في عهد الشاه	الصحفي شموئيل سيجف	غازي السعدي
١٨- هل يوجد حل للقضية الفلسطينية ؟ مواقف اسرائيلية	الوف هرابين	غازي السعدي
١٩- عملية الدبويا كما يرويها منفذوها	المحامي درويش ناصر	
٢٠- مراكز القوى في اسرائيل ١٩٦٣- ١٩٨٣ ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل	دكتور نظام بركات	
٢١- مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧- ١٩٨٥	منير الهور وطارق الموسى	
٢٢- غوش ايمونيم ـ الوجه الحقيقي للصهيونية	داني روبنشتاين	غازي السعدي
٢٣- عش العصفور ـ قصة للأطفال	منير الهور	
٢٤- رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات	د . احمد صدقي الدجاني	
٢٥- أيام دامية في المسجد الأقصى المبارك	الدكتور احمد العلمي	
٢٦- حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير	يوسف قراعين	
٢٧- الأحد الأسود: تصور امريكي صهيوني للعمل الفدائي الفلسطيني	حسن اسماعيل مشعل	
٢٨- خارطة فلسطين ـ وهي خارطة تمثل سهــول وهضاب وجبال ووديان ومدن وقرى فلسطيــن (ملونة)		
٢٩- بروتوكولات حكماء صهيون ـ المجلد الاول	عجاج نويهض	
٣٠- بروتوكولات حكماء صهيون ـ المجلد الثاني	عجاج نويهض	
٣١- الاردن وفلسطين ـ وجهة نظر عربية	د . سعيد التل	
٣٢- الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام	د . فؤاد حمدي بسيسو	
٣٣- الاستعمار وفلسطين	رفيق شاكر النتشة	
٣٤- الحرب من اجل السلام	عيزر وايزمن	غازي السعدي
٣٥- الموساد ، جهاز المخابرات الاسرائيلي السري	دنيس ايتبرغ ، ايلي لانداو اوري دان	
٣٦- التوازن العسكري في الشرق الاوسط	مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب	نبيه الجزائري
٣٧- بطاقات فنية (لوحات فنية تعبر عن الانتماء الفلسطيني)	د . كامل قعبر	
٣٨- بطاقات فنية (مجموعة) بطاقات على شكل دفتر الشيكات	د . كامل قعبر	
٣٩- الكتاب الأسود عن يوم الأرض ٣٠ آذار ١٩٧٦		
٤٠- في سرية الصحراء	سميح القاسم	

٤١- الخيار النووي الاسرائيلي شاي فيلدمان غازي السعدي

٤٢- انتهاك حقوق الانسان في الأراضي المحتلة سليم ابو غوش
شهادات مشفوعة بالقسم

٤٣- نقاط فوق الحروف
مناقشة لردود الفعل تجاه مبادرتي الأمير فهد خالد الحسن
وبريجنيف

٤٤- قراءة سياسية في مبادرة ريغان خالد الحسن

٤٥- فلسطينيات خالد الحسن

٤٦- الاتفاق الأردني الفلسطيني للتحرك المشترك خالد الحسن

٤٧- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (١) يعقوب الياب غازي السعدي
جرائم الأرغون وليحي ١٩٣٧- ١٩٤٨

٤٨- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٢) غازي السعدي
مجازر وممارسات ١٩٣٦- ١٩٨٣

٤٩- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٣) د . حمدان بدر
دور الهاغاناه في انشاء اسرائيل

٥٠- ملصق يوم الأرض سليمان منصور

٥١- ملصق جمل المحامل سليمان منصور

٥٢- ملصق قبة الصخرة - صورة تبرز معالمنا التاريخية
والدينية في القدس

٥٣- فلسطين تاريخا ونضالا نجيب الأحمد

٥٤- فلسطينيات في سجن النساء الاسرائيلي طيـور المحامي وليد الفاهوم
نفي ترتسا

٥٥- المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضـوء بشير البرغوثي
اسرائيل عسكر وسلاح (١)

٥٦- اتفاقيات السلم المصرية - الاسرائيلية في نظر
القانون الدولي محمد الرفاعي

٥٧- الجذور - وثيقة الأوقاف الاسلاميـة فتحي فوراني

٥٨- فلسطين .. الأرض والوطن (١) قرية الدوايمة موسى عبدالسلام هديب

٥٩- خط الدفاع في الضفة الغربية أريه شليف غازي السعدي
وجهة نظر إسرائيلية

٦٠- تشريقة بني مازن د . عبداللطيف عقل

٦١- القمع والتنكيل في سجن الفارعة لجنة الحقوقيين الدوليين
القانون من أجل الانسان

٦٢- صورة العربي في الأدب اليهودي (١) الدكتورة ريزا دومب عاطف عطاري

٦٣- الشخصية العربية (٢) في الأدب العبري الحديث غانم مزعل
١٩٤٨- ١٩٨٥

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٦٤-	فلسطين أرض وتاريخ	د. محمد النحال	
٦٥-	القدس ماضيها، حاضرها، مستقبلها	فايز فهد جابر	
٦٦-	القضية الفلسطينية في القانون الدولي .. والوضع الراهن	د. جابر الراوي	
٦٧-	شوكة في عيونكم	مئير كهانا	غازي السعدي
٦٨-	حرب الاستنزاف	د. محمد حمزة	
٦٩-	القرار - ألفان واثنا عشر يوما في سجون الاحتلال	رشاد أحمد الصغير	
٧٠-	المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية المجاورة	بشير شريف البرغوثي	
٧١-	أزمة الاستخبارات الاسرائيلية	تسفي لنير	قسم الدراسات
٧٢-	اسرائيل عام ٢٠٠٠ (تصورات اسرائيلية)		
٧٣-	دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي، والعرب في الفترة ١٨٧٨- ١٩٤٨	أريه . ل . افنيري	بشير البرغوثي
٧٤-	ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل والروح الجماعية		
٧٥-	سميح القاسم - قصائد - شخص غير مرغوب فيه		
٧٦-	القضية الفلسطينية	أكرم زعيتر	
٧٧-	فلسطين الأم وابنها البار - عبدالقادر الحسيني	عيسى خليل محسن	
٧٨-	عرب التركمان - أبناء مرج ابن عامر	علياء الخطيب	
٧٩-	المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي	ميسون العطاونة الوحيدي	
٨٠-	نادية برادلي - الفدائية المغربية الشقراء		غسان كمال
٨١-	الاعلام الاسرائيلي	غازي السعدي ومنير الهور	
٨٢-	تقرير الأرض المحتلة المقدم الى الدورة (١٨) للمجلس الوطني الفلسطيني	قسم الدراسات والأبحاث	
٨٣-	الوجه الحقيقي للموساد	د. وجيه الحاج سالم وانور خلف	
٨٤-	العمق الاستراتيجي في الحروب الحديثة		بدر عقيلي
٨٥-	شخصيات صهيونية (١)	مذكرات الجنرال رفائيل ايتان	غازي السعدي
٨٦-	شخصيات صهيونية (٢) وتهجير يهود العراق	شلومو هيلل	غازي السعدي
٨٧-	شخصيات صهيونية (٣) ثيودور هيرتسل عراب الحركة الصهيونية	قسم الدراسات	
٨٨-	شخصيات صهيونية (٤) شارون بلدوزر الارهاب الصهيوني		غازي السعدي
٨٩-	شخصيات صهيونية (٥) آباء الحركة الصهيونية		عبدالكريم النقيب
٩٠-	شخصيات صهيونية (٦) موشيه ديان .. أنا وكامب ديفيد		غازي السعدي

العنوان	المؤلف	الناشر
٩١- شخصيات صهيونية (٧) بن غوريون والعرب		غازي السعدي
٩٢- شخصيات صهيونية (٨) رسائل بن غوريون		الأميرة دينا عبدالحميد
٩٣- شخصيات صهيونية (٩) حياتي .. غولدا مائير		دار الجليل
٩٤- شخصيات صهيونية (١٠) حركة التصحيح الصهيونية من عهد جابوتنسكي الى عهد شامير	ليني برينر	دار الجليل
٩٥- شخصيات صهيونية ١/١١ مذكرات اسحق رابين - القسم الأول		دار الجليل
٩٦- شخصيات صهيونية ٢/١١ مذكرات اسحق رابين - القسم الثاني		دار الجليل
٩٧- شخصيات صهيونية ١٢ مذكرات ناحوم غولدمان		دار الجليل
٩٨- ششخصيات صهيونية ١٣ مذكرات اسحق شامير		دار الجليل
٩٩- من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الأول	زياد عودة	
١٠٠- من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الثاني	زياد عودة	
١٠١- الحركة العمالية العربية في فلسطين	سليم الجنيدي	
١٠٢- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (١) سلاح الجو الاسرائيلي	زئيف شيف	دار الجليل
١٠٣- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٢) سلاح الاستخبارات الاسرائيلي	عوديد غرانوت	دار الجليل
١٠٤- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٣) سلاح الهندسة	عمي شامير	دار الجليل
١٠٥- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٤) سلاح المشاة	تتان روعي	دار الجليل
١٠٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٥) سلاح المظليين	ايلان كفير	دار الجليل
١٠٧- دراسات في تعليم الكبار	د . عدنان أبو عمشة	
١٠٨- وجه قبيح في المرآة	بروفيسور ادير كوهن	غازي السعدي
١٠٩- تاريخ ما أهمله التاريخ	عبدالهادي جرار	
١١٠- الاعلام الفلسطيني	د . حسين أبو شنب	

١١١- النزاع العربي ـ الاسرائيلي بين فكي كماشة الدول العظمى	موشه زاك	دار الجليل
١١٢- تحت السياط	فاضل يونس	
١١٣- الغضب	اكرم النجار	
١١٤- جلسات في رغدان	د . يوسف هيكل	
١١٥- منجل في النجمة السداسية (التجسس السوفياتي في اسرائيل)	ايسر هرئيل	بدر عقيلي
١١٦- اشكالية الديمقراطية والبديل الاسلامي في الوطن العربي	خالد الحسن	
١١٧- تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا	د . عبدالقادر يوسف	
١١٨- صرخة في وجه العالم (اليوم الانتفاضة)	دار الجليل	
١١٩- الاستخبارات والأمن القومي	المقدم احتياط تسفي عوفر والرائد آفي كوبر	دار الجليل
١٢٠- الاحزاب والحكم في اسرائيل	غازي السعدي	
١٢١- ربيع الحياة	د . يوسف هيكل	
١٢٢- قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية	صباح السيد عزازي	
١٢٣- اشتعالات حمدان ـ مجموعة قصصية	اكرم النجار	
١٢٤- الحافلة رقم ٣٠٠ و(فضيحة الشين بيت)		احمد بركات
١٢٥- آه يابلدي ـ رواية	اكرم النجار	
١٢٦- معجم المصطلحات الصهيونية	افرايم ومناحم تلمي	احمد بركات العجرمي
١٢٧- من القمع الى السلطة الثورية	قدري أبو بكر	
١٢٨- أيام الصبا صورة من الحياة وصفحات من التاريخ	د . يوسف هيكل	
١٢٩- معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية	فؤاد ابراهيم عباس وعمر شاهين	
١٣٠- صناعة قرارات الأمن الوطني في اسرائيل		بدر عقيلي
١٣١- قمع شعب شهادات ميدانية مشفوعة بالقسم		بشير شريف البرغوثي
١٣٢- جليلة .. وهج في جذور الانتفاضة ـ رواية	اكرم النجار	
١٣٣- اسلحة وإرهاب وجهات نظر اسرائيلية في ثلاثة ابحاث		دار الجليل
١٣٤- حدود (أرض اسرائيل)	موشيه رافر	بدر عقيلي
١٣٥- هذه قضيتك ياولدي	سليم عبدالعال القزق	
١٣٦- حرب سيناء ١٩٥٦ ـ تصورات اسرائيلية		بدر عقيلي
١٣٧- المثلث الايراني ـ الكتاب الثاني ـ دراما العلاقات الايرانية ـ الاسرائيلية ـ الامريكية	شموئيل سيجف	دار الجليل
١٣٨- الفاشية الاسرائيلية	المحامي درويش ناصر	

الكتاب	المؤلف	الناشر
١٣٩- النظرية العسكرية الاسرائيلية - دفاع وهجوم	اريئيل لفيتا	دار الجليل
١٤٠- الأمن القومي العربي ونظرية تطبيقه في مواجهة الامن الاسرائيلي	العميد محمد يوسف العملة	
١٤١- سياسة اسرائيل الأمنية	المحرر زئيف كلاين	بدر عقيلي
١٤٢- دقيقتان فوق تل ابيب	محمد أزوقة	
١٤٣- الهجرة اليهودية حقائق وارقام	د . عمران ابو صبيح	
١٤٤- انتفاضة	زئيف شيف وايهود يعاري	دار الجليل
١٤٥- جواسيس المخابرات الاسرائيلية تاريخ .. وجغرافيا	يوسي ميلمان ودان رافيف	دار الجليل
١٤٦- ' دولة ' اسرائيل - زائلة	يعقوب شريت	دار الجليل
١٤٧- الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية	محمد خالد الأزعر	
١٤٨- بقايا من خبز وكتاب	اكرم النجار	
١٤٩- اسرائيل في حرب الخليج	غازي السعدي	
١٥٠- المثلث المحتوم الولايات المتحدة - اسرائيل والفلسطينيون	احمد عزالدين بركات	
١٥١- الاستيطان الاسرائيلي جغرافيا وسياسيا	بروفيسور أليشع إيفرات	دار الجليل
١٥٢- حرب السكاكين في نظر الاسرائيليين	زياد ابو صالح ورشاد المدني	
١٥٣- انتفاضة العصافير	نجوى قعوار فرح	
١٥٤- موسوعة عشائر وعائلات فلسطين (١) القدس مدنها وقراها	فائز أبو فردة	
١٥٥- انهيار نظرية الأمن الاسرائيلية	عمنوئيل فالد	احمد بركات العجرمي
١٥٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٦) سلاح الدروع	حشافيا أريه	دار الجليل
١٥٧- بولارد قصة جاسوس	برنارد ر . هندرسون	دار الجليل
١٥٨- أبو عجاج العينبوسي الدكتور الثائر	عيسى خليل محسن	
١٥٩- قناع القناع	محمد نورالدين شحادة	
١٦٠- الأسلحة الكيماوية والبيولوجية - وتأثيراتها البيئية -	د . عادل احمد جرار	
١٦١- دولة مجدو	عبدالله عواد	
١٦٢- الشبْح	عبدالله عواد	
١٦٣- طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين - وثيقة اسرائيلية -	بني موريس	دار الجليل
١٦٤- الاستشراق وابحاث الصراع لدى اسرائيل	ابراهيم عبدالكريم	
١٦٥- دليل المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة (١٩٦٧- ١٩٩١)	د . عمران ابو صبيح	

١٦٦- حرب في الخليج (ابعاد على اسرائيل) — تقرير طاقم مركز الأبحاث الاستراتيجية الاسرائيلي : يافه — بدر عقيلي

١٦٧- فلسطين في سيرة البطل عبدالحليم الجيلاني — د. حسن صالح عثمان

١٦٨- ثلاثون قضية استخبارية وأمنية في اسرائيل — يوسف أرجمان — دار الجليل

١٦٩- الادب العربي في جزر البليار — د . عبدالرزاق حسين

١٧٠- الشرق الاوسط الجديد — شمعون بيرس — دار الجليل

١٧١- الاعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود — غازي السعدي

١٧٢- اسلحة الدمار الشامل — وليام بورووس وروبرت ويندرم — دار الجليل

١٧٣- المفصل في تعلم اللغة العبرية بمعلم وبدون معلم — بدر عقيلي

١٧٤- القاموس العلمي / عبري - عربي — امين ابو عيسى — دار الجليل

١٧٥- مكان تحت الشمس — بنيامين نتنياهو — محمد عودة الدويري

١٧٦- احـاديث في العلم والقيم — يشعياهو ليفوفيتش — سلمان الناطـور

١٧٧- فلسـطين بلا هوية — صلاح خلف — دار الجليل

١٧٨- الحوار الفلسطيني - الامريكي — د. محمد ربيع — دار الجليل

١٧٩- دوائر القـمر — عبد الرزاق حسين — دار الجليل

١٨٠- قرية جمزو — يوسف النجار — دار الجليل

١٨١- الانقـلاب السـيـاسي في اسرائيل الاسرار والخفايا — اورلي ازولاي — بدر عقيلي

١٨٢ - مشـكلة الاراضي في النزاع القـومي بين اليـهود والعرب منذ وعد بلفور — جـاك كـنـو — محمد عودة الدويري

١٨٣ - الموساد في العراق انهيـار الامال الاسرائيلية والكردية — شلومو نكديمون — بـدر عقيلي

١٨٤ - دولة فلسطين الوضع القانوني — سالم أحمد قواطين

١٨٥ - اسحق رابـين اغتيال سياسي — د. أمنون كابليون — بـدر عقيلي

١٨٦ - نايف حواتمة يتحدث — عمـاد نـداف

١٨٧ - سـوخـي قصة للشبيبة عن الحب والمغامرات — عاموس عوز — دار الجليل

١٨٨ ـ البستان	بنيامين تموز	دار الجليل
١٨٩ ـ سورية واسرائيل من الحرب الى صناعة السلام	البروفيسور موشيه ماعور	ليا وهيب
١٩٠ ـ اتفاقيات أوسلو الاتفاقيات الاسرائيلية الفلسطينية حول الضفة الغربية وقطاع غزة		دار الجليل
١٩١ ـ الحرب الاقتصادية (١٠٠) سنة من المواجهة الاقتصادية بين اليهود والعرب	يوفال اليتسور	محمد الدويري بدر عقيلي
١٩٢ ـ انثولوجيا الوجه الآخر قصص عبرية مختارة		دار الجليل
١٩٣ ـ المسيرة ..... خفايا أوسلو.... من الألف الى الياء	أوري سبير	بدر عقيلي
١٩٤ ـ أوسلو ..... والسلام الآخر المتوازن	نايف حواتمة	
١٩٥ ـ ايهود براك... الجندي الأول رئيس الوزراء الاسرائيلي المحتمل	بن كسبيت وايلان كفير	بدر عقيلي ونور البواطلة

طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة ـ هاتف ٤٨٩٤٩٤١ ـ ص.ب ١٥٢٨٦








أيهود براك .. الجندي الأول

رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل



بن كسبيت



ايلان كفير

هذا الكتاب

يضع الجنرال أيهود براك تحت المجهر ، استعداداً للانتخابات القادمة ، حيث ظلت إنجازاته العسكرية طي الكتمان ، باعتبارها سراً لا يمكن أن يجتاز مقص الرقيب .

يعتبر أيهود براك عسكرياً من الصف الأول ، يرصد الكتاب بعضاً من إنجازاته ، والعمليات التي قادها أو خطط لها ، إضافة إلى ترجمة حياة الرجل ، بمراحلها المختلفة والمراكز التي تبوأها من خلال سجل عسكري حافل ، يرى فيه اليهودي المحقون بالخوف صمام أمان وأمن .

يتزامن صدور هذا الكتاب ، مع الاستعدادات الإسرائيلية لخوض الانتخابات المبكرة ، المقررة في ١٧ أيار ١٩٩٩ ، ولأن براك يعتبر قطب الرحى، ومنافس نتنياهو الأول ، كرئيس لحزب العمل المعارض ، فإن الضرورة تقضي باطلاع جمهور القراء العرب ، على مسيرة حياة رجل ربما يكون رئيس وزراء إسرائيل القادم، وقد كنا فعلنا ذلك ، قبيل الانتخابات الماضية عام ١٩٩٦ ، حيث نشرنا كتاب «مكان تحت الشمس» لنتنياهو ، الذي تنبأنا فيه باحتمالات نجاحه ، الأمر الذي يكسب كتاب براك أهمية خاصة ، ذلك أننا نحن العرب ، بتنا ننتظر نتائج الانتخابات الإسرائيلية على أحر من الجمر ، أو ربما نضرع إلى الله ، أن يكون رئيس الوزراء القادم ، حمامة وليس صقراً .

المؤلفان :

بن كسبيت : عمل في السابق مراسلاً لجريدة معاريف في نيويورك ، ويعمل حالياً محرراً سياسياً في الصحيفة ، يقدم برنامجاً صباحياً في التلفزيون الإسرائيلي ، ومقرب من الزعامة .

إيلان كفير : كان مراسلاً صحفياً لـ «معاريف» و«حداشوت» ، يعمل اليوم مخرجاً إعلامياً .

ويصنف المؤلفان من كبار الصحفيين الإسرائيليين ، والعمل المشترك الذي يجمعهما يعتبر تحفة رائعة جديرة بالقراءة .

وكتاب (أيهود براك) ، هو العمل المشترك الثالث للاثنين حيث أصدرا عام ١٩٩٦ كتاب «الانتحار» الذي يتحدث عن قصة حزب العمل منذ مقتل رابين ، وحتى فقدانه السلطة ، وفي عام ١٩٩٧ صدر لهما كتاب «نتنياهو .. الطريق إلى القوة» ، كما شاركا في العام ذاته ، في إعداد البوم (إسرائيل - ٥٠) .

هل سيكون أيهود براك رئيس وزراء إسرائل القادم ؟ ربما .

فمن هو هذا الجنرال الذي انتزع كرسي رئاسة حزب العمل . وهل هو خليفة رابين حقاً ؟ الكتاب كفيل بالرد ويستأهل القراءة المتأنية .

بدر عقيلي ونور البواطلة من أسرة الدار ، وهما ينقلان مادة الكتاب من العبرية إلى «الضاد» ، يضعان بين يدي المواطن العربي ، كتاباً يجمع بين أمانة الترجمة وصدق المشاعر الوطنية ، فجاء سلساً يشد القارىء إلى المتابعة من الألف إلى الياء .

إصدار دار الجليل للنشر

عمان - ص.ب ٨٩٧٢ ، تلفون : ٥١٥٧٦٢٧ فاكسيميلي ٥١٥٣٦٦٨